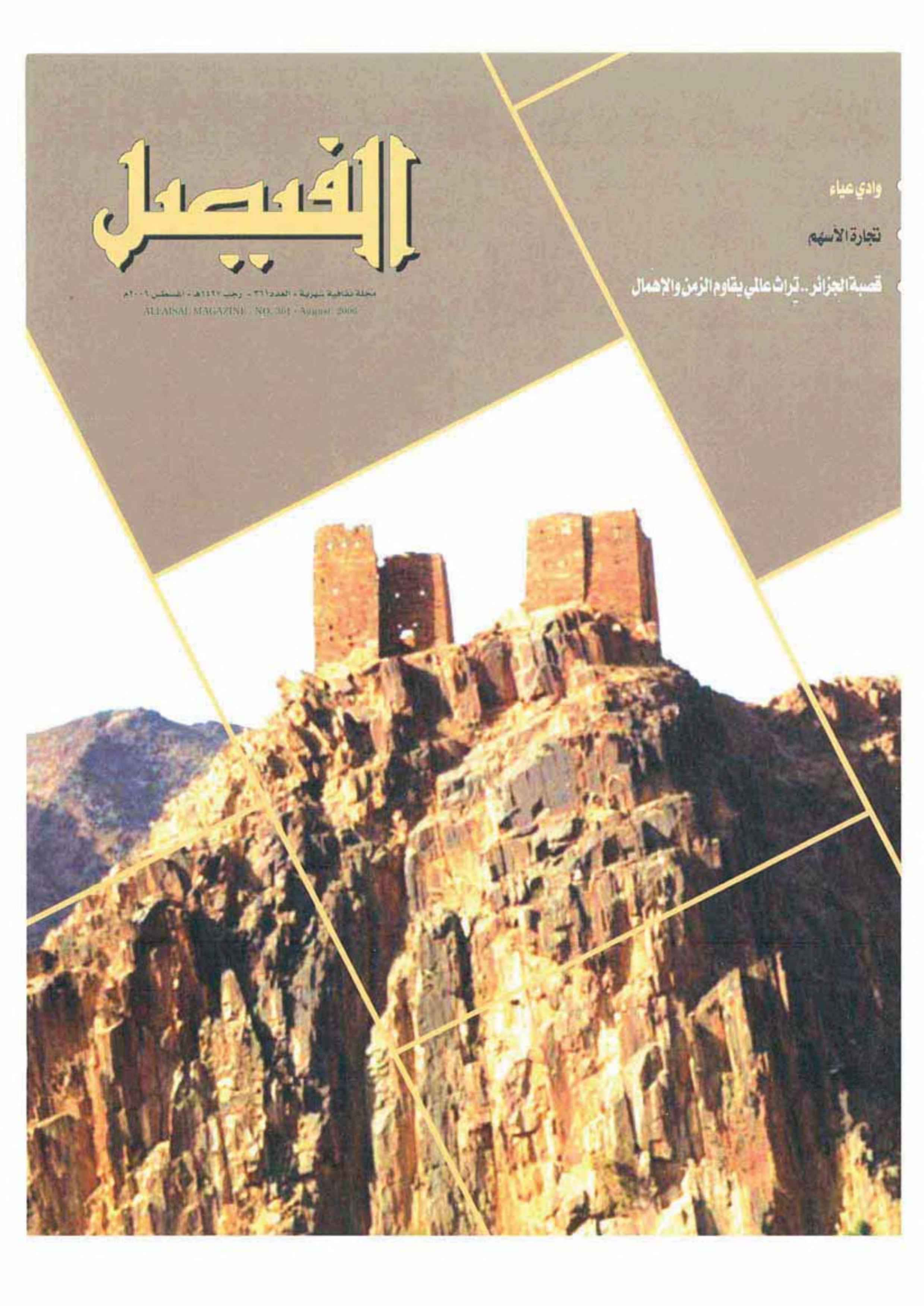

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦١ - رجب ١٤٢٧هـ - أغسطس ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 361 - August 2006
وادي عياء
تجارة الأسهم
قصبة الجزائر.. تراث عالمي يقاوم الزمن والإهمال



الفيصل

مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٦١- رجب ١٤٢٧هـ . أغسطس ٢٠٠٦م

ALFAISAL MAGAZINE - No.361 -August 2006

الباب	الموضوع	الكاتب	الصفحة
استطلاع	وادي عياء	عوض بن خزيم آل سرور الأسمري	٦
اقتصاد	تجارة الأسهم	غسان أبو السعود	١٨
تاريخ	من هم الأكراد؟ وما أصولهم؟	محمد سعيد المولوي	٣٤
قضايا معاصرة	الصورة المشوهة لإله المسلمين عند الغرب: الرحمة أم القسوة؟	بسام ساعي	٥٠
تعليم	التعليم والنمو الاقتصادي	عبدالله بن محمد بن صالح المالكي	٦٢
آثار	قصبة الجزائر.. تراث عالمي يقاوم الزمن والإهمال	إنشراح سعدي	٧٨
قصص قصيرة	بطاقتا مسرح	محيي الدين شيخاني	٩٠
قصائد	اللوحة التي لم تكتمل	هشام مصطفى	٩٦
	في صمتها الطرب	بهيجة مصري إدلبي	٩٧
	الموت خلف لحظة الرحيل	حمزة قناوي	٩٨
رحلة في كتاب	فلسفة جديدة للقمر	ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي	١٠٠
حوار	الدكتور محمود المناوي: التعريب اختراق والتغريب احتراق	حسين حسن حسين	١١٠
المسابقة			١٢٥
العالم الثقافي			١٢٧
خاتمة المطاف	البحث عن الحقيقة	عبدالمؤمن بن عبدالله القين	١٤٢

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هنالك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هنالك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

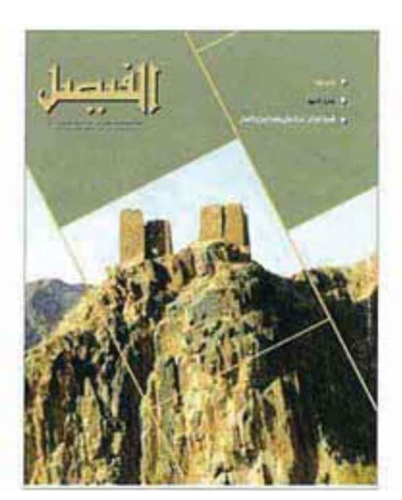
السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ , ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣ تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦. قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤. الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢. البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١. الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥. المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٢ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



وادي عياء

يعدّ وادي عياء، الواقع على المنحدرات الشرقية من منطقة بللسمر، من الأماكن التاريخية التي تحكي قصة أمة عاشت فترة زمنية قديمة غير معروفة، ولكنها ملأى بالحروب والخوف والجوع، كما تبدو من آثارهم.

في هذا المقال معلومات موثّقة عنهم، ودعوة للباحثين إلى الانطلاق لمعرفة حقيقة هؤلاء القوم، وفترتهم التاريخية، وسبب انقراض حضارتهم، التي لا تزال قصورهم الشامخة شواهد حية عليها.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



فضاء العقل والقلب

سرني ما تتحلون به من ثقة بأنفسكم، وأنتم تنشرون رسائل القراء بنصها، وهذا الأمر يؤكد لي مستوى ما وصلتم إليه من شوط العلاقة التبادلية مع محبيكم قراء وكتابًا على السواء.

ثمة ما يدفعني هذه المرة إلى التوجه إليكم، وبهذه السرعة والعفوية، وملاحظات صغيرة، ولكنها تشكل ضرورة لاستكمال صورة الفرح لسفيرتنا المتنقبة بنقاب الحب والاعتزاز والعفة والروعة، وسأختصر هذه المرة في نقاط سريعة لعلها تجد في أنفسكم مثلما استهوتني؛ ألا وهي:

◆ الغلاف الذي يشكل كما تعلمون وجه المطبوعة وإشراقتها، يجب أن يكون لوحة فنية ومضمونية، بمعنى أن يتناغم شكلاً ومضمونًا. والذي الاحظه عليكم أن نسبة النجاح مراوحة مع كل إصدارة فلم تتذبذب مقاييس الغلاف لديكم، ولم تحرمونا هذه الروعة بسهولة، وأنتم تمتلكون جاهزية عالية عمرها ثلاثة عقود، أوصلتكم إلى مرحلة الصبا والجمال بل والشرح.

◆ وتذرعتم معي، ومع كتابكم أنه ربما تغيير العنوان لدينا أحيانًا يتسبب في تأخير أو انعدام التواصل معنا، فبالنسبة إليّ لم يتغير عنواني البتة مذ عرفت طريقي إليكم، ومع ذلك، فعلى الرغم من دفعي موادي الأخيرة إليكم، ومنذ عام أو يزيد لم أتلق بعد ما يفيد، لا سلبًا ولا إيجابًا! مما يعيق، بل ويثبط درجة التواصل المطلوب الذي يترك أثره في العلاقة التبادلية المطلوبة أخيرًا.

.. وثمة ملاحظتان أخريان أيضًا بهذا الصدد: فالأولى مدى تطويركم لنمط المسابقة؛ فقد تكرر وعدكم بذلك، وها هي ذي المسابقة في نمطها الأخير تأخذ من عمرها ثلاث سنوات أو تزيد، وهي بحاجة ملحة إلى التطوير، وذلك لضيق رقعتها وتكرر نمطية أسئلتها الثلاثة أصلا في العدد الواحد.

وهناك أيضًا، ومن مسابقة العدد (٣٥٥) أوردتم سؤالاً حول صاحب مؤلف (طوق الحمامة)، وأجبتم بابن حزم الأندلسي، في حين نسيتم أن تذكروا أيضًا أن هذا العنوان هو من بين عناوين الإمام السيوطي الألف، وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية، ويقع في (٤٧) صفحة كان جوابًا لسؤال طرح عليه: في أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام.

كما أن نظام الملفات والتداول تتعاملون معه على خجل أو حياء في الوقت الذي هو بحد ذاته يعدّ من حصاد المطبوعة عادة، ودلالات إثمارها وتميزها، وبعد ..

ما كنت لأكرر التراسل معكم بهذه السرعة، ولو لا ثقتي المتزايدة، وتجاوب يراعي استشراف مساحة له عبر فضائكم الذي بات فضاء العقل والقلب لنا نحن العشاق المدنفون المولعون.

عبدالغني محمود عبدالهادي
ص ب ٨٥٤٥ عمان ١١١٢
عمان . الأردن

التحرير:

نشكر لك اهتمامك بإبداء ملاحظاتك وآرائك حول المجلة، وهذا ما نرحب به من جميع الإخوة القراء. بخصوص

الغلاف، لا مراوحة، ولكن العمل الإبداعي في عمومه يمثل وجهة نظر، وهذا ما يجعل الاختلاف عليه واردًا.

بخصوص المكاتبات، فإن أي رسالة ترد إلينا نقوم بالرد عليها وفق خطوات مرسومة، وفي حالة نشر الرسالة أو الرد عليها عبر باب «رسائلكم» أو يتم إخطار صاحبها بالبريد.

التطور الكبير في المسابقة سوف يكون من خلال راع يقدم جوائزها التي نأمل أن ترتفع حتى ترضي طموحات قرائنا الأفاضل.

ونشكر لك ملاحظتك، ونأمل تواصلك الدائم.

أبهى حلة

ما ألذّ ثمرة العمل الجادّ، هكذا هي مجلة الفيصل تخرج في أبهى حلة، كمًا وكيفًا فيلتهمها القراء؛ لتتحول إلى وقود يحرك العقول والنفوس معًا، فتزدهر الحياة ويعم الخير، ويتقدم المجتمع، وقد زادتها المسابقة بهاءً، إنها تدفع إلى المزيد من البحث والانكباب على التحصيل، وحبذا لو تكون هذه المسابقة مصحوبة باحتمالات؛ لأنه في كلتا الحالتين تحصل الفائدة، والخير يبقى وإن طال الزمان به».

نورة غرموك

مدنين. تونس

التحرير

نشكر لك إطراءك، وحرصك الدائم على الإسهام بآرائك، ومشاركتك في المسابقة، ورأيك يظل محل تقديرنا؛ لأن أي خطوة للمجلة لا تتم إلا بتلمس آراء القراء الأعزاء؛ الذين لا يبخلون علينا بما لديهم من ملاحظات واقتراحات.

ردود سريعة

الأخت منال صلاح فضل ـ الرياض ـ السعودية:

نهنئك بالنجاح، ونتمنى لك الالتحاق بالكلية التي ترغبين، كما نرحب بمشاركاتك، ونحن لا نهتم بالأسماء؛ بقدر اهتمامنا بقيمة المشاركة، فنأمل أن نتلقى مشاركاتك وسوف تجد طريقها إلى النشر بعد تقويمها.

الأخ محمد الصباغ ـ القاهرة ـ مصر:

نشكر لك إطراءك على إخراج المجلة ومادتها، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء، ونرحب بملاحظاتكم واقتراحاتكم التي تعيننا على تقديم الأفضل.

الأخ سعد عبدالله الشريف ـ الرياض ـ السعودية:

عدم وجود المجلة في بعض مراكز التوزيع مشكلة نحاول إيجاد حل لها بالتنسيق مع شركة التوزيع، وننصح الإخوة الحريصين على اقتناء المجلة بالاشتراك؛ لأنه الطريقة الأسهل للحصول على المجلة فور صدورها.

الأخ أسامة فيصل راشد ـ الخرطوم ـ السودان:

هناك استطلاعات كثيرة نشرناها عن السودان ومعالمه الحضارية، ونرحب بمشاركات جميع الإخوة؛ ممن لديهم القدرة على إعداد استطلاعات مصورة، على أن تكون المادة التحريرية موثقة، ومصحوبة بصور عالية الجودة.



استطلاع





وادي عياء

عوض بن خزيم آل سرور الأسمري

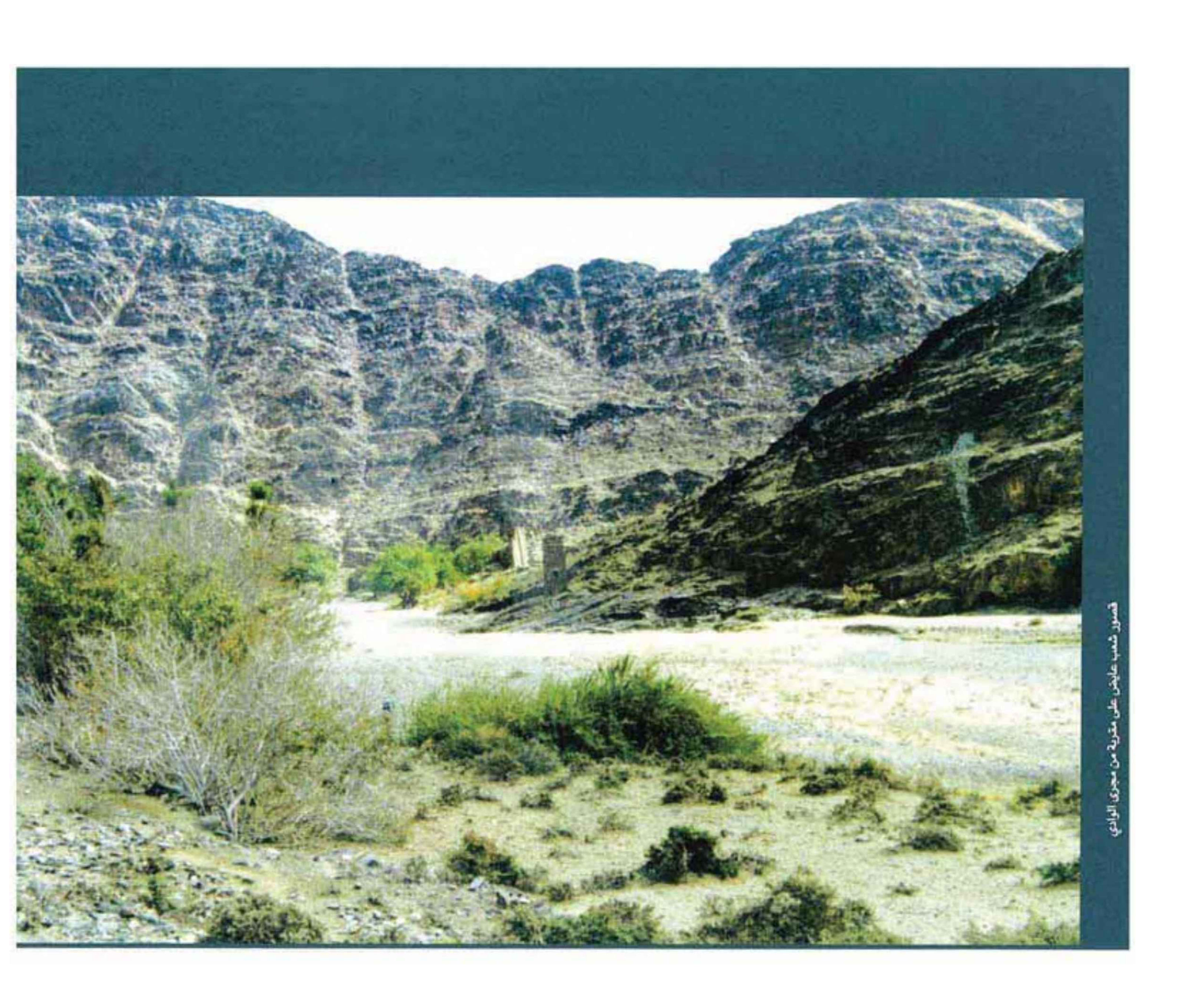
الرياض ــ السعودية

عِياء، بكسر العين المهملة، وفتح المثناة التحتية فألف وهمزة: واد كبير تُحيط به الجبال الصخرية من جانبيه. وهو يجمع عددًا من أودية السراة الكبيرة، ولعل من أشهرها وادي ذبوب وبيحان والعيص وشظي وعمق وصبح. ثم يسيل وادي عِياء في وادي ابن هشبل المتصل بوادي بيشة، وهو يبعد نحو ٢٠ كم من أعالي الجبال حتى يلتقي بوادي بيشة شرقاً .

يبلغ طول وادي عِياء نحو ستين كيلو متراً، وعرضه يزيد وينقص عن مئتين وخمسين متراً تقريباً . والوادي يتجه من الغرب إلى الشرق، شاقاً مجراه وسط صفين من الجبال المتوسطة الارتفاع، وهذه الجبال جرداء حيث تعرف بقلة النباتات، وبعض هذه الجبال يغلب عليها اللون الأحمر الكستنائي، والأسود المشوب بشرايين من العروق الشهباء والبيضاء، التي تسمى محلياً بالمرو. ويكاد يكون الوادي مستوي السطح، فلا حفر به سوى أخاديد غير عميقة، ويرجع ذلك إلى سعته؛ مما يجعل السيل يندفع فيه اندفاعاً. وبما أنني في هذا المقال أسرد فقط معلومات موثقة قدر الإمكان تسهيلاً على القراء والمختصين والباحثين، فإنني أرجو منهم الانطلاق إلى ما هو أهم. ألا وهو معرفة حقيقة هؤلاء القوم، وفترتهم التاريخية، وسبب انقراض حضارتهم، التي لاتزال قصورهم الشاهقة شاهدًا حيًا على تلك الحضارة القديمة.

الموقع

يقع وادي عِياء على المنحدرات الشرقية من

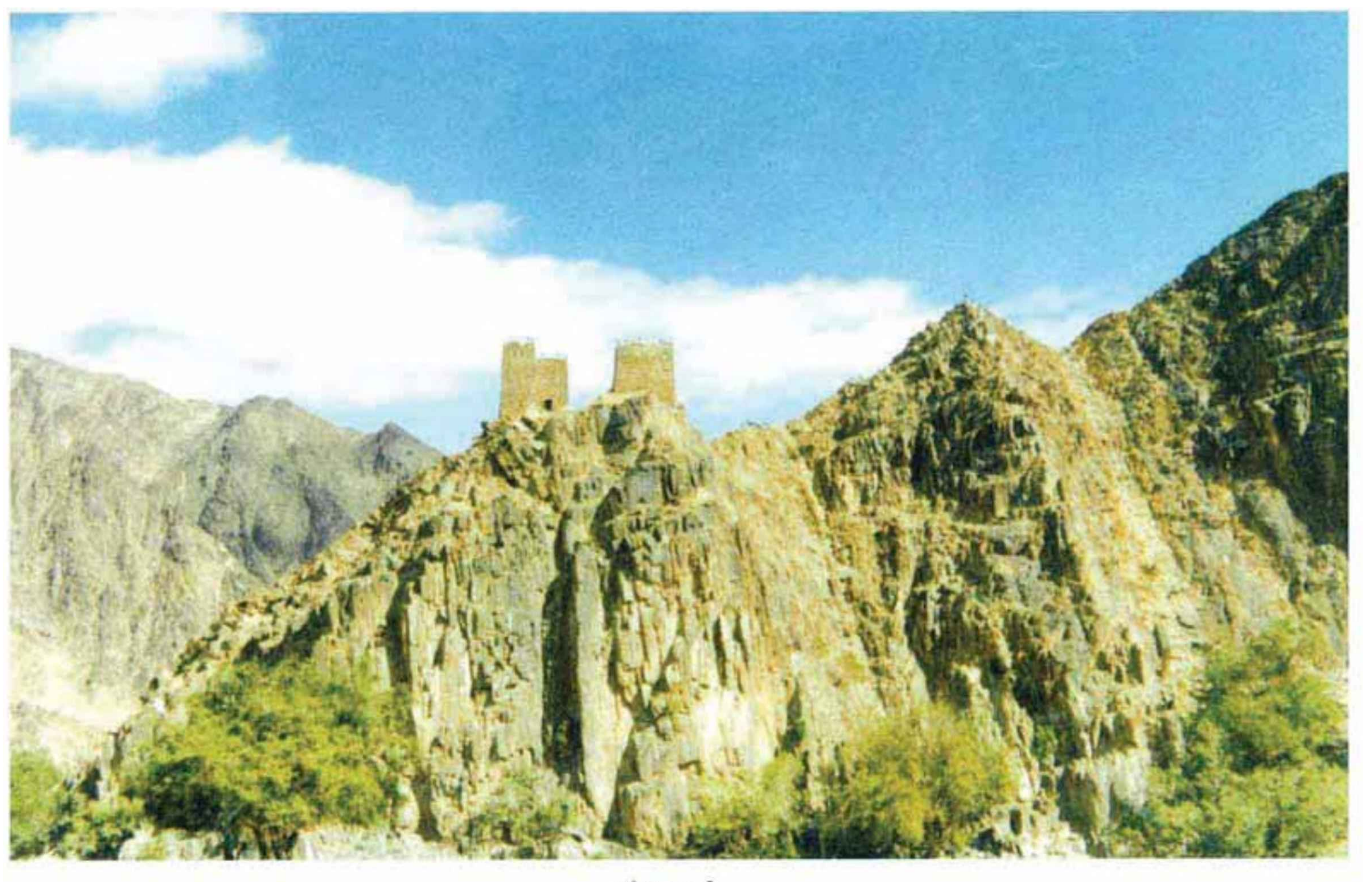


قصور شعب عايض على مقربة من مجرى الوادي

منطقة بللسمر، وهي الهضبة التي تنبسط تدريجياً من قمم السراة، وتنتهي قرب صحراء النفود، ويراوح ارتفاعها عند سطح البحر بين ١٠٠٠ و١٤٠٠ متر. ويحد وادي عِياء من الشرق بلاد شهران، ومن الجنوب باللحمر، وآل حمامة من بللسمر. يبعد وادي عِياء عن إمارة بللسمر (مركز الاثنين) نحو ٥٥ كيلو مترًا شرقاً. ويقع إلى الشمال من مدينة أبها بمسافة تقارب (١١٠) كم. ومن أشهر جبال وادي عِياء (التي ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية، أو بعض الأشعار المحلية) جبل سكران، وجبل قهبا، وجبل هاروب.

المناخ

مناخ وادي عِياء معتدل في فصل الشتاء، وحار في فصل الصيف حيث يحظى الوادي بنسبة منخفضة من الأمطار، ولكنه دائم الجريان نتيجة تجمع عدد من أودية السراة السالفة الذكر، التي تكثر فيها الأمطار في معظم فصول السنة. ويتميز وادي عِياء بالمياه الجارية التي تتدفق بغزارة، وفيها صفاء وعذوبة فريدة.



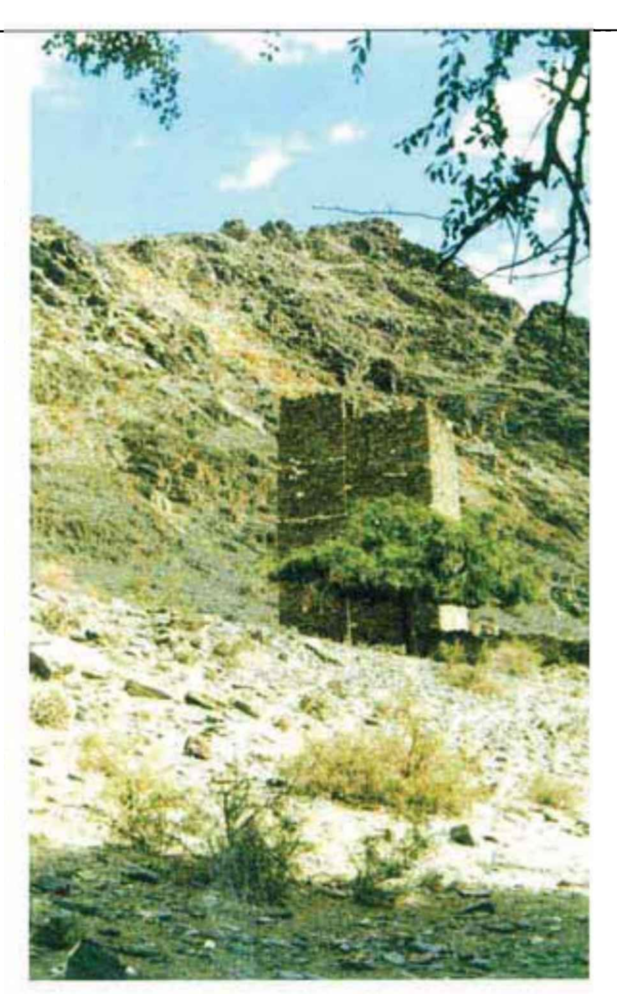
قصور حميران

الزراعة في وادي عياء

وادي عياء منطقة زراعية كبيرة قديماً وحديثًا. تشهد على ذلك التربة المحاذية لشاطئ الوادي الأيمن والأيسر، وجذوع النخل الكبيرة. وتوجد أشجار كبيرة جداً وسط الوادي وعلى جنباته قاومت السيول العاتية زمناً طويلاً، ومن هذه الأشجار: أشجار السدر، وأشجار الأثل، وأشجار النخيل، وأشجار القرض، وأشجار الماء. ويوجد بالوادي عدد كبير من الآبار. والجدير بالذكر أنه يوجد (حالياً) عدد من المزارع الكبيرة على جنبات الوادي ملأى بأشجار النخيل، والعنب، وأشجار الحمضيات، إضافة إلى زراعة الخضراوات والحنطة والشعير والذرة.

المواصلات

الطرق المؤدية إلى هذه المدينة الأثرية (عياء) صعبة جداً، ولا يمكن الوصول إلى الموقع إلا باستخدام سيارة ذات دفع رباعي، مثل سيارات تايوتا (جيب)، إضافةً إلى الحاجة الماسة إلى سائق محترف، ولديه معرفة سابقة بالطريق، أو بطرق مشابهة،



قصر آل جمعان في الجحور

ويجب أن يكون ذا لياقة عالية؛ لأن الطريق وعر جداً.

الطرق المؤدية إلى وادي عِياء

- الطريق السهل: هذا الطريق قريب وسهل نسبياً، ولكنه يفقد من يسلكه المناظر الخلابة لبداية وادي عِياء التي سوف نتطرق إليها في الطريق الأكثر وعورة.

يبدأ الطريق من وادي حوراء (قرية الفرعة مروراً بقرية آل عتمة، وآل محرز، ومن ثم قرى آل مارد (عطوف آل مارد)، وبعد ذلك خارف، حيث تسكن عشيرة آل جبل، وهذا الجزء من الطريق معبّد بالأسفلت، وبعد ذلك عن طريق وادي خُرّهُما إلى أن يلتقي وسط وادي عِياء حيث إن المِلاة على يمينك، ولن تمر عليها. ينتهي بك طريق خُرّهُما بين القهبتين والرهوة من وادي عياء. وهذا الطريق يعبر بلاد بني منبح من بللسمر.

- الطريق الأكثر وعورة: هذا الطريق أطول من الطريق السالف الذكر، وأكثر وعورة، ولكنه يعطيك إمكانية رؤية وادي عِياء من بدايته، حيث المناظر الخلابة من مياه جارية، وأشجار سدر ضخمة وكثيفة، ومناظر طبيعية جميلة.

يبدأ الطريق من رهو آل مداد (قرية آل مداد) الواقعة بوادي خرص باتجاه الشرق، ويعبر من خلال جبل شهم، ومن ثم إلى جبل عيار(١) (جبل الحيد) بمحاذاة الخفية. وهذا الجزء من الطريق يقع في بلاد بللسمر، وهو معبد بالأسفلت. وبعده خط ممهد إلى مخطط بللحمر. بعد ذلك نتجه جنوباً عبر منطقة تسمى المحلاة، تؤدي إلى بداية وادي عِياء. ومن ثم يعبر الطريق من وسط الوادي، حيث إنه لا يمكن استخدام هذا الطريق في أثناء مواسم الأمطار خوفاً من السيول.

وهذ الجزء من الطريق يمر من خلال بلاد بللحمر، بداية من مخططهم الواقع في الجزء الجنوبي من خارف، ونهاية بمنطقة اسمها المسابيب، التي هي بداية وادي عِياء الأسمري، الذي توجد به الآثار القديمة، التي نحن بصدد الحديث عنها في موضوعنا هذا. بعد المسابيب يعبر الطريق شعبًا يسمى أبا قفلة، يتجه إلى الغرب، وينتهي بمنحدرات متجهة إلى الشرق، تعرف بالعريجاء، وتنتهي بموقع يسمى (نيم) ينتهي في منطقة اسمها الحلاة تابعة لبللسمر من بلاد بني منبح.

تجد على ضفاف الوادي مواقع هواة تربية النحل، وخصوصاً في وقت ازدهار شجرة السدر. كما أن كثيرًا

من أبناء المنطقة، وخصوصاً السرويين من قبيلة بللسمر وبللحمر، أقاموا مزارع للنخيل والحبوب والفواكه والخضراوات مستغلين وفرة المياه.

يقول شاعر آل عياء وشيخهم (في حينه) بريق بن عبدالعلي العياعي قصيدة يصف فيها حدود قبيلته مع القبائل المجاورة له (بللحمر وشهران)، وقد يكون ذلك قبل نحو ٢٠٠ سنة:

حدنا الفرشة إلى نايف الشرقي هروب
واله ذبة قد صلحنا بدلو الزيدلي
يوم ثجات الدمي مثل ثجات الغروب
عادت الصبيان كلاً يقول الفيد لي
حدنا من المساييب للفرشه لشرقي هاروب
والمساييب وفرشه وشاميها

وفي قصيدة أخرى للشاعر نفسه:

ترى الصحن رأس حافظ جالس
وليا قرى الفرشه وحنا هيبته
وترى الأسد ما يذهن اللي جالس
يزيد يبهز به ويفتر هيبته

سكان وادي عياء

عِياء تعدّ مدينة أثرية قديمة جديرة بالبحث والتقصي، إذ إنها تحكي قصة أمة عاشت في فترة زمنية قديمة، لا أعلم بالتحديد تاريخها، ولكنها ـ كما يبدو من آثارهم ـ كانت عصورًا مملوءة بالحروب والخوف والجوع، ولكنها تكاد تكون أنسب منطقة للعيش في تلك المدة، وذلك لم ينعم به ذلك المكان من المياة الوافرة، والدائمة الجريان طوال السنة. إضافة الى سهولة تربية الماشية لتوافر أرض الرعي والماء، كذلك يوجد مزارع قديمة على ضفاف الوادي؛ لأن اختيار الموقع كان موفقًا لما يتمتع به من دفء في وقت الشتاء حيث البرد القاسي في جبال السراة الواقعة غرب هذا الوادي.

نسب قبيلة آل عياء : يُعد سكان وادي عِياء جزءًا من قبائل بني منبع الذين يعودون نسباً إلى قبيلة بني الأسمر (الأم)، وهي من قبائل رجال الحجر (تذكر بعض المصادر التاريخية أن آل عياء من قبيلة الأواس بن الحجر التي تذكر بأن الشاعر الصعلوك الجاهلي صاحب لأمية العرب والمعروف باسم «الشنفرى» والقائل:

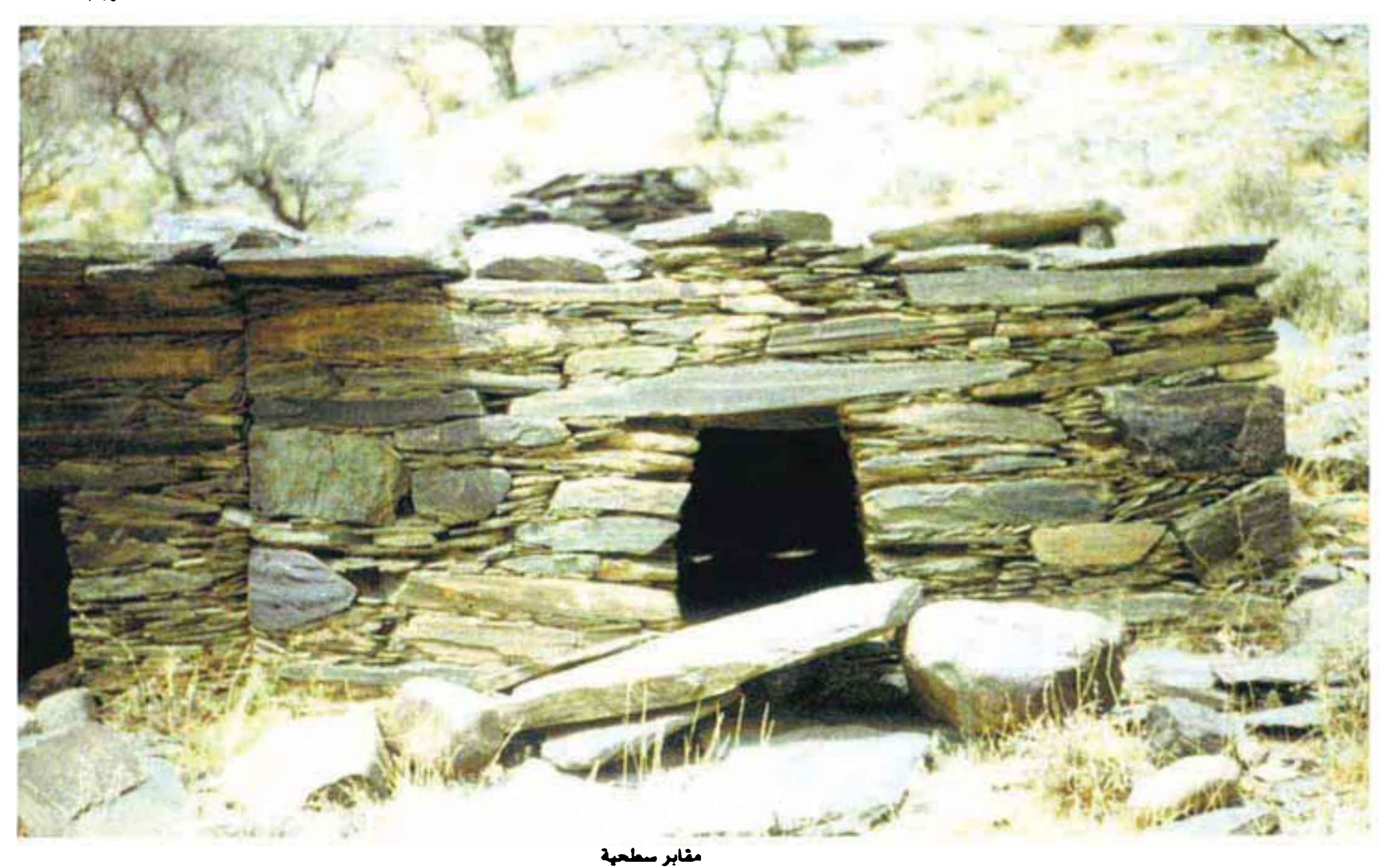
أليس أبي خير الأواس وغيرها
وأمي ابنة الخيرين لو تعلم ـنها

وذكر المصدر نفسه أن بني واس تبالة جزء من بني واس بللسمر من أهل وادي عِياء (٢). وسوف نورد قصة هجرة جزء من آل عياء إلى وادي تبالة، وتحالفهم مع خثعم. وذكرت بعض المصادر التاريخية أن من أسباب اندثار حضارة آل عياء دخول قوات سنان باشا بقيادة حسن باشا مخلاف بيشة، وامتد زحفهم على وادي عِياء من قرى بني الشنفرى، وهي من بطون بني الأواس بن الحجر حتى دخلوا الجهوة في طريقهم إلى النماص. وقد أزال جيشه من كان في وادي عياء. وينقسمون إلى أربعة أقسام، هي:

١-الرهوة: ويقال لهم: (آل عبد العلي).
٢-القهبة العليا والسفلى: (آل خاتمة من آل عبدالعلي).
٣- الجحور: ويقال لهم: (آل سمير).
٤-المَغلاّة: (آل مفضل شيوخ آل عياء قبل آل عبدالعلي، ومنهم جويبح، وعلي بن مفضل، وقد انتقلوا من عِياء).

وهذه القرى تقع في نهاية وادي عِياء وهم يحاذون بلاد شهران البادية.

يقول أحد الأخباريين: إن آل عبد العلي كانوا ثمانية (أفخاذ)، وكان كل فخذ يدفن على حدة، ويقال: إن آل عبد العلي أصلهم من الأشراف. أول موقع سكنوه بعد رحيلهم من تهامة إلى جبال السراة موقع في سراة بني الأسمر، يعرف حالياً بقرية آل مداد. وهم ثلاثة إخوة،



مقابر سطحية

حدثت لهم مشكلة، فنزلوا في هذه القرية، وحفروا بها بئرًا، لا زالت مشهدًا أثريًا قائمًا إلى هذه الساعة. وتعدّ من أعمق الآبار في المنطقة على الإطلاق، حيث حفرت

يبلغ طول وادي عياء نحو ستين كيلو متراً، وعرضه يزيد وينقص عن منتين وخمسين متراً تقريباً. والوادي يتجه من الغرب إلى الشرق. شاقاً مجراه وسط صفين من الجبال المتوسطة الارتفاع. وهذه الجبال جرداء حيث تعرف بقلة النباتات

في مكان مرتفع على شكل هضبة في وسط وادي خرص. وهي من الآثار التي يجب المحافظة عليها.

مكان هذه القرية عجيب جداً. فعندما تهطل الأمطار على بعض سطوح المباني، هناك مجريان لتصريف ماء السطح: شمالي، وجنوبي، الماء الذي يصب في الاتجاه الجنوبي يكون بداية وادي خرص باتجاه الجنوب، ومنها إلى الشرق، إلى أن يصب في وادي عياء، وبعد ذلك وادي ابن هشبل، ومنه إلى وادي بيشة. أما بالنسبة إلى الماء، الذي تم تصريفه باتجاه الشمال، فإنه يكون بداية وادي خرص المتجه إلى الشمال، ويلتقي مع وادي حوراء، ومن ثم وادي خارف، ومنه إلى وادي ترج، ومن ثم إلى وادي بيشة. من الملاحظ أن ماء السطح الواحد، الذي لا يفصله إلا

عدة سنتيمترات أو أقل، يفترق في اتجاهين متعاكسين، ولا يلتقيان إلا بعد مئات الكيلومترات. فهذه القرية تعدّ فاصلاً مشتركًا بين رافدين كبيرين من روافد وادي بيشة.

ومن العشائر (الأفخاذ) الأخرى التي ذكرت في بعض المصادر (٣): آل خاتمة - آل طيب - أهل المعلاة (بنو واس) - أهل العطف - آل سمير - آل عبد العلي - آل بريق - أهل القهبة - الجحور.

ويُقال: إنه لا يوجد في الوقت الحاضر في منطقة عياء سوى (فخذين) هم آل عبد العلي، وآل سمير؛ لأن منهم من هاجر، ومنهم من مات. ومن الأفخاذ التي هاجرت بنو واس الذين يسكنون بلاد بلحارث في الوقت الحاضر، وأصلهم من وادي عياء من المعلاة (٤). ويقال: إن سبب رحيلهم هو أن أهل عياء كانت عندهم عادة، إذا مات منهم أحد فإنه لا يدفن إلا في مقابرهم في وادي عياء، التي هي الأخرى آية في الجمال ودقة البناء. حدث أن ذهبوا إلى الحج مشيًا على الأقدام وبعد أن عادوا من الحج، وحين وصلوا بَقِرَة (اسم منطقة) في تهامة بني شهر مات منهم واحد أو اثنان فحملوهما على الجمال، ومع طول المسافة فسدت، وتعفنت الجثة، وصار لها رائحة كريهة. وفي الليل حين كانوا نائمين جاء الثعلب فأكل خد أحد الأموات. وعند صبيحة ذالك اليوم، وبعد ما رأوا ما حدث للجنازة، خافوا من أهل عياء، فدفنوا الجنازة، وعادوا أدراجهم مع الطريق نفسه متجهين إلى مكة المكرمة.

وفي الطريق حلوا ضيوفاً على إحدى القرى، فذبحوا لهم خروفاً، وكانت العادة في تلك المدة تقسيم الذبيحة إلى قطع صغيرة، وبدقة متناهية لا يعرفها إلا المتخصص؛ لأن لكل فرد من القبيلة قسمه المعروف، وخصوصاً علية القوم. كذلك الضيوف لهم جزء محدد من هذه الذبيحة. وصاحب البيت يجب أن يُحفظ جزؤه جانباً لكي يوزعه بالطريقة التي يراها على جار لم يحضر، أو صاحب حق. وكل قبيلة لها عاداتها وتقاليدها بهذ الخصوص. اللّحم نادر، والقرية تتجمع على الذبيحة الواحدة، وقد يزيد عددهم على الثلاثين شخصًا. حدث أنّ أحد الضيوف من (آل عياء) هو من تولى عملية التقسيم، فكان أحد رفاقه يقول له: واس (أي ساو اللحم)، فاطلق عليهم بني واس (٥). ويقول كبار السن من آل عِياء: إن هذه القصة حدثت قبل حكم آل سعود، وآل عائض بزمن طويل.

ويروي الأخباري قصيدة في بني واس قالها ظافر الأسيود ـ كبير بني واس (٦) ـ (٧):

مرحبًا يا سعيد ومن معك نغليه
مرحباً مرحباً بك يا عصابة راسي
يا حماة بلدنا وأنتم سبورها
أمن قبلي على حد نزلتوا فيه
فخف من الله وعيبك خُذت قسم الواسي
مظهر الشمس ويقفيه نورها
حنشل يستوي للشر والديواسي
والفتن جنبت وأقفى عصورها

فرد عليه سعيد بن رابعه من آل عياء بهذه الأبيات:

يا سلام على الدير ومن جاء فيه
وعلى الشيخ ظافر هو ودعوى الواسي

نجد على ضفاف الوادي مواقع هواة تربية النحل، وخصوصاً في وقت ازدهار شجر السدر. كما أن كثيرًا من أبناء المنطقة، وخصوصاً السرويين من قبيلة بللسمر وبللحمر، أقاموا مزارع للنخيل والحبوب والفواكه والخضراوات مستغلين وفرة المياه

عـــد من طاف بالكعـــبـــة وزارهـا
جـيـتك من وادي المال والبل فـيــه
غـيــر ودي بسـلام على ريع الوّاسي
لابه تورد الحـــارب قـــدارهـا
قـسـمك فـلا حن جـاحـدينك فـيـه
غير خذت المصالح واكتفيت الباسي
مـثل صـقـر تعلو في وكـورها
والله ياطالب الفـتنه فـلا داريه
والله إنا نجـزي له بلاءً قـاسي
مـا يشل الحـمـول إلا فـحـولهـا

المعالم الأثرية في وادي عِياء

القصور:

لقد بنيت القصور الطويلة، والبيوت العادية من الحجارة المقطوعة من الصخور النارية، وقد رص بعضها فوق بعض بعناية فائقة. بنيت القصور على شكل مستطيل من الأسفل إلى الأعلى، ويضيق قليلاً كلما ارتفع إلى الأعلى.

هنالك عدد كبير من القصور ما زالت ماثلة للعيان، وكلها مهجورة متهدمة لم يبق منها سوى الهياكل الخارجية فقط. ومعظم هذه القصور في مواقع مرتفعة حتى إن بعضها مرتفع جدًا لا يمكن الوصول إليه بسهولة. ومنها ـ على سبيل المثال ـ قصور حميران في المعلاة، ويلاحظ فيها وجود بعض الطيور الجارحة، مثل: الصقور والنسور، والحداء، والرخم، وغيرها. ويقول الشاعر العياعي عندما ارتحل من منطقة عِياء إلى بني عليان، وهم من بني واس (وهم في تبالة وشواص) الأبيات الآتية:

شـددنا وخلينا قـصـور وجـزعـة [٨]
ومنهـا حـمـيـران جـديد الكحـايل [٩]

لقد استفاد الإنسان في وادي عِياء من تضاريس المنطقة لاختيار مواقع منازله بحيث يصعب على الأعداء الوصول إليهم بسهولة.

وادي عِياء منطقة زراعية كبيرة قديماً وحديثاً. تشهد على ذلك التربة الجاذبة لشاطئ الوادي الأيمن والأيسر، وجذوع النخل الكبيرة. وتوجد أشجار كبيرة جداً وسط الوادي وعلى جنباته قاومت السيول العاتية زمناً طويلاً

مواد البناء:

استطاع مهندس البناء المعماري في هذه المنطقة أن يستخدم المؤونة المحلية. فقد استخدام مواد معينة في البناء هي الطين والحجر والخشب. وقد تستخدم قطع من الحجر الصغير لسد الفراغات بين الأحجار، إن لم يستخدم الطين، وذلك بعد أن تستقر الأحجار الكبيرة في مكانها، وتسمى الكَحَلَ. لتصبح متماسكة، وكأنها جدار واحد. ويستعمل الحجر في بناء الجدران الرئيسة للمبنى، والفواصل بين الغرف، سواء كانت في الطابق الأرضي أو الطوابق العلوية. كما تستعمل الأحجار المسطحة في تغطية بعض الأسقف والأرضيات.

أما الطين المخلوط بالتبن فيستخدم في تغطية الجدران من الداخل وأرضيات الغرف والممرات، والأدراج الداخلية المكونة من الحجارة الطويلة والمثبتة بانتظام على مسافات متساوية في جوانب الجدران الداخلية، وكذلك في تغطية أغصان الشجر وجذوعه المستعملة في بناء السقوف. أما الخشب المستخدم في عملية البناء فكان من شجر العرعر، واليراع، والسدر، والنخيل، أحياناً؛ إذ لا يزال في بعض هذه القصور سقوف فيها بقية من هذه الأخشاب. ومن

الملاحظ أن معظم هذه القصور واجهاتها شرقية.

شكل المباني الموجودة في وادي عياء ربما تكون تقريبًا متشابهة في الشكل الخارجي فالقصور تراوح بين ثلاثة وستة ادوار. ويختلف التصميم الداخلي لهذه القصور؛ إذ إن بعض هذه القصور يوجد في الطابق الواحد منها أربع غرف، وفي بعضها غرفتان حسب حجم القصر. فالدور الأرضي يعد لنزول الماشية، حيث يسمى (السفل)، كما تستخدم بعض غرف هذا الدور لحفظ الأعلاف، ومستودعات مواد الفلاحة. وبعض الغرف تخصص مستودعًا لحفظ الحبوب، حيث يوجد فيها مخازن مبنية من الطين. وقد عُثر على ذلك النوع في قصر حافظ.

وتشمل بقية الطوابق الأخرى عددًا من الغرف، التي خصص بعضها للطبخ، وبعضها الآخر للنوم، أما المجلس فغالباً ما يكون في الدور الأول، في حين تكون الغرف في الأعلى، والمطبخ في الدور العلوي.

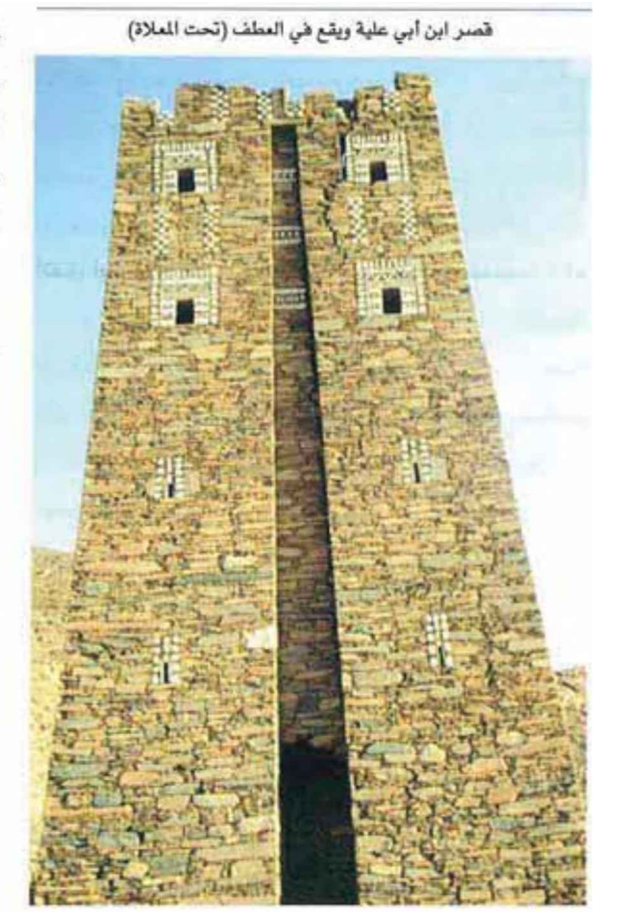
تتسم الغرف بصغر المساحة بسبب عرض الجدران الخارجية للقصور، حيث يراوح عرض الجدران بين ١ و١,٥ م. أما الأسقف والأبواب والنوافذ فتستخدم في صنعها جنوع الأخشاب القوية، التي توجد في المنطقة. تقطع على شكل شرائح وتثبت في الأبواب والنوافذ بمماسك ومقابض حديدية من الخارج، كما تزود بقواطع خشبية من الداخل، تقوم بوظيفة المزلاج تسمى (الضبة)، ويلاحظ على هذه القصور أنها تضيق كلما ارتفعت الجدران.

الأسلوب المعماري من الخارج

من خارج القصر وأمام مدخله الرئيس يوجد (النحر)، وهو انخفاض يمتد من أسفل البناء حتى أعلاه، ليشكل حماية لمدخل الحصن، ويوجد في نهاية (النحر) من الأعلى فتحة، من خلالها يمكن معرفة من يقف عند الباب الرئيس لمدخل القصر، ويوجد في هذه الفتحة صخرة يتم إنزالها من الفتحة للقضاء على العدو. وهذا النحر يقسم القصر نصفين من الخارج فقط. ومن هذه القصور قصر (ابن أبي علية) من آل عياء وهو رجل تاجر وكريم جداً، يضرب به المثل عند قبائله، ولكنه رجل عقيم لم يخلف ذرية.

هنالك عدد كبير من القصور ما زالت ماثلة للعيان، وكلها مهجورة متهدمة لم يبق منها سوى الهياكل الخارجية فقط. ومعظم هذه القصور في مواقع مرتفعة حتى إن بعضها مرتفع جدًا لا يمكن الوصول إليه بسهولة. ومنها ـ على سبيل المثال ـ قصور حميران في المعلاة

قصر ابن أبي علية ويقع في العطف (تحت المعلاة)





مقابر (رسوس) سطحية تقع بين القهبة والجحور في وادي عياء

كان هناك مكان معد للسلخ يسمى باللهجة المحلية (المعلاق)، حيث تعلق الشاة لسلخها. دائما به ذبيحة. اتفق ابن أبي علية مع عدد من البنائين عندما أراد بناء هذا القصر الجميل. فاختار احسن أربعة من البناة (في حينه)، وكلّف كل واحد منهم بناء زاوية (طرف) من زوايا القصر، وتعرف باللهجة المحلية (حَدّة) بفتح الحاء وتشديد الدال. واتفق مع كل واحد منهم على حِدَة، ووعده بأن يعطيه جائزة عظيمة تسمى اليوخة، لباس عظيم لا يلبسه إلا الشيوخ، وعلية القوم، فاهتم البناة باستقامة البناء، الذي يعدّ آية في الزخرفة والفن والهندسة. فلا تكاد تزيد

شكل المباني الموجودة في وادي عياء ربما تكون تقريبًا متشابهة في الشكل الخارجي. فالقصور تراوح بين ثلاثة وستة أدوار. ويختلف التصميم الداخلي لهذه القصور. إذ إن بعض هذه القصور يوجد في الطابق الواحد منها أربع غرف. وفي بعضها غرفتان حسب حجم القصر

الحواف على سنتيمتر واحد. وقد قاوم عوامل التعرية سنين طويلة، كما هو مبين بالشكل.

النوافذ:

تتميز هذه النوافذ بصغر حجمها من الخارج، وتتسع من الداخل، وقد زينت هذه النوافذ بحجر المرو الناصع

أسماء بعض هذه القصور:

قصر حافظ - قصر طارف - قصر مانع - قصر مشرف (في الرهوة) - قصر رابعة - قصر خازم - قصر آل خاتمة - قصر ابن طائف في القهبة - قصر آل جمعان (آل سمير) - قصر ابن آل بني خضراء - قصر ابن أبي علية (مغير بن أبي علية).



قصر حافظ

البياض، وبأشكال هندسية عجيبة، وهذه الأحجار الفاتحة اللون، التي تتعارض مع السمرة العامة للبناء الحجري حيث يعطي هذا التناقض اللوني لمسات جمالية بهيجة حيث هناك عدد من الأشكال المختلفة للزخارف، منها المستطيلة، ومنها على شكل مربع ومعين، ونوع آخر يأخذ شكل النخل، وهي آية في الجمال والإبداع.

بعض القصص أو الأحاديث التي تروى عن قصر حافظ:

قام ببناء هذا القصر سعيدان بن مقبل، وهو جد آل عياء. ويقال: إنه بُني في ليلة واحدة، وقد قال بعض الكهان لسعيدان بن مقبل: إن مات أحد أبنائه فإنه سوف يرحل عن الوادي بعد فترة، وقد حدث ذلك، إذ توفي حافظ بن سعيدان بن مقبل حين وقعت على رأسه صخرة، ويقال: إن قبر حافظ

داخل القصر في غرفة تعرف باسم تهامة وقد وضع سيفه تحت رأسه، والقصر ينسب الى حافظ، ويقال: إن هذه الأحاديث لأحد الأخباريين، وتدل الأحاديث والقصص عن هذا القصر (حافظ) على مكانة القصر عند سكان عِياء.

القبور:

مع أن الحصون الشامخة الموجودة تكفي دليلاً على وجود بشر في هذا الوادي، وحضارة واستقرار لمئات السنين، إلا أن وجود أنواع من المقابر القريبة كان لافتًا للأنظار في وادي عِياء، أعدت بشكل جذاب، وعناية كبيرة، فاختاروا للقبور مواقع مرتفعة عن الوادي، حيث بنوا بناية خاصة، ووضعوا موتاهم فيها، ثم زخرفوا هذه المباني بطريقة عجيبة، حتى يُخيل إليك أنها واجهة منزل، ثم ما تلبث أن تكتشف أنها قبر بداخله بقايا عظام.

التصميم العام لهذه القبور

تكثر المقابر بطريقة لافتة للنظر، وقد بنيت بالحجارة المزخرفة بالمرو بعدة أشكال، وهي بحد ذاتها تمثل فنًا معماريًا فريدًا في نوعه، يدل على التقدم والتميز الحضاري لسكان هذا الوادي، فهذه الحضارة جديرة بالبحث والدراسة. ويتكون البناء الواحد من عدة قبور، الواحد فوق الآخر، وقد تتكون بعض الأبنية من دورين، وبعضها من ثلاثة، وبعضها من اربعة، وقد زينت هذه الأبنية من الخارج بأشكال هندسية متعددة على شكل مثلث، أو بعض الأشكال الهندسية الأخرى، وقد استخدم في هذه النوع من الزخرفة حجر المرو الأبيض.

والسبب الرئيس لجعل هذه المقابر سطحية يعود إلى صعوبة الحفر في الجبال الصخرية، وعدم إمكانية الحفر وسط الوادي أو على ضفافه، إضافة إلى أن عدد الجنائز تكون كثيرة في حالة الحروب والأمراض.

يوجد هناك عدد من المساجد التي تختلف في حجمها حسب المستوطنات المجاورة للمسجد. والمسجد بشكل عام يأخذ شكل مستطيل يزيد طوله على عرضه بنسبة بسيطة، وهو مقسوم إلى جزأين: فناء مكشوف، ومصلى مسقوف. وهناك أماكن بداخل المسجد معدة لحفظ المصحف، وهناك دعامات (دعمة) تسند أخشاب السقف.

وقد لوحظ أن رصة جدران المساجد تختلف عن رصة جدران القصور، وأن الحجر يختلف، فبناء القصور يكاد يكون من مقطع واحد، ومتجانسًا وقديمًا، بينما جدران المساجد تكاد تكون أجدّ من القصور، وجمعت من أماكن مختلفة، وليست من مقطع واحد. فقد تكون بناية المساجد متأخرة، والله أعلم. هناك مساجد مزخرفة بالمرو، لكن زخرفتها لا ترقى إلى مستوى الزخارف الفائقة الجمال، التي تتمتع بها القصور. وهذا يعطينا إيحاء بسيطًا بأن هذه القصور قديمة، وبأن سكانها الأصليين لا يعتنون بالمساجد عنايتهم بالقصور. فقد يعود بناء هذه القصور إلى ما قبل العصور الإسلامية، أو إلى العصور الإسلامية المبكرة.

المراجع والهوامش

١. ورد اسم هذا الجبل في معجم البلدان، تاليف ياقوت الحموي في حرف (عين) وقال: هو هضبة حمراء تقع في ديار الأواس بن حجر. وقد وقع فيه معركة يوم (حراق) بين غامد والأواس. وهذه المعركة تعدّ من أيام العرب في الجاهلية، ولكنها غير مشهورة. يقول الشاعر الجاهلي زهير الغامدي:

تبغي الأواس بارضها وسمائها
حتى انتهينا في رواب تكبدا
حتى انتهينا في عيار كأننا
اظب وقد لبد الرؤوس من الندى

٢. سعيد بن عوض الأسمري، تاريخ رجال الحجر.
٣. عبدالله سعد الأسمري، «آثار منطقة وادي عياء في بلاد بللسمر. جنوب غرب المملكة العربية السعودية، محاولة لاستقصاء معلومات اثرية من خلال التراث الشفهي»، جامعة الملك سعود. ١٤١٠هـ - بحث غير منشور.
٤. مقابلة شخصية مع حامد العياعي.
٥. آثار منطقة وادي عِياء في بلاد بللسمر، مرجع سابق.
٦. تاريخ رجل الحجر، مرجع سابق.
٧. آثار منطقة وادي عِياء في بلاد بللسمر.
٨. جزعة: ما يملكونه من قصور وارض ومزارع.
٩. الكحايل: قطع صغيرة من الأحجار تستعمل لسدّ الفراغات بين الأحجار الكبيرة المستخدمة في البناء.

تجارة الأسهم

غسان أبو السعود

عمان - الأردن

يشتري الناس أوراق اليانصيب، على الرغم من الفرص القليلة في الفوز، ويتاجر المضاربون بالأسهم؛ طمعًا في الحصول على الأرباح، ومع أن مروجي الاتجار في الأسهم يسخرون من مشتري اليانصيب لضآلة فرصهم في الفوز، فإن بينهما الكثير من العوامل المشتركة. إن سلوك تجار الأسهم، والمشاركين باليانصيب يعلّمنا الكثير عن تطلعاتنا وأفكارنا وعواطفنا، كما يساعدنا على الإجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة بالتمويل، مثل: إنشاء المحافظ المالية، وطبيعة سعر الورقة المالية.

لاحظ كل من فريدمان وسافاج عام (١٩٤٨م) أن تجنب المخاطر، والسعي إليها يتبادلان الأدوار في سلوكنا: فالناس الذين يشترون بوالص التأمين يشترون في الوقت نفسه أوراق اليانصيب، بعد ذلك كتب ماركويتز ورقتين عمليتين تتحدثان عن وجهتي نظر مختلفتين، تتعلقان بالسلوك في الأولى عام (١٩٥٢م) تحدث عن مفهوم الوسط الحسابي والتباين[1]، وفي الأخرى عام (١٩٥٢م) توسع في شرح مفهوم فريدمان وسافاج الخاص بالتأمين واليانصيب، فالناس في المفهوم الأول على عكس الثاني لا يشترون أوراق اليانصيب أبدًا، فهم دائمًا يتجنبون المخاطر، ولا يسعون إليها أبدًا.

وفي مقالة أخرى عام (١٩٨٤م) أشار ماركويتز إلى الفرق بين مفهوم الوسط الحسابي والتباين، وبين مفهوم التأمين واليانصيب، إذ يقرر المفهوم الأول السلوك، في حين أن المفهوم الثاني يصفه، فالأول مبني على أساس أن سلوك تجنب المخاطر، مثل: شراء بوليصة تأمين، هو سلوك حكيم، أما

سلوك السعي إلى المخاطر، مثل شراء ورقة يانصيب، فهو تصرف غير رشيد، وبالمقابل فإن مفهوم التأمين واليانصيب مبني على أساس أن الناس، بغض النظر عما إذا كان التصرف غبيًا أو حكيمًا، في الواقع يشاركون في اليانصيب، ويشترون بوالص التأمين في الوقت نفسه، ومنذ عام ١٩٥٢م حتى الآن، فإن وجهة نظر ماركويتز الخاصة بالوسط الحسابي والتباين تحولت إلى مفهوم وصفي، وبُنيت النظرية المالية المعاصرة على أساس أن المستثمرين هم دائمًا متجنبون للمخاطر.

إن اختفاء السعي إلى المخاطر من النظرية المالية يعدّ أسهل من اختفائه من سلوكنا، فقد أشار برنشتين عام (١٩٩٦م) أن المقامرة تجذب إليها أناسًا أكثر من الذين تجذبهم ملاعب كرة القدم، أو دور السينما، كما أن المقامرة واضحة في مجال الاستثمار، وليس فقط في سلوك المتاجرين اليوميين، وإننا نضعف فهمنا للسلوك الاستثماري عندما نستثني السعي إلى المخاطر من وصفنا لهذا

السلوك، كما نضعفه إذا استثنينا منه عواطف مثل الأمل، والصداقة الحميمة، والتفاؤل. وفي هذه المقالة، سنتحدث عن هذه الأوجه، ونحاول أن نصف التطلعات والأفكار والمشاعر التي تجتاح المستثمرين.

لماذا الاتجار في الأسهم، وأوراق اليانصيب؟

إن أموال جوائز اليانصيب تأتي من جيوب مشتري أوراق اليانصيب، حيث تربح الأقلية، في حين تخسر الأغلبية، ولكن المقدار الإجمالي الذي يتلقاه الفائزون أقل من المقدار الإجمالي الذي يدفعه الخاسرون، والسبب في ذلك أن منظمي اليانصيب يأخذون جزءًا من النقود كمصاريف، ويحولون جزءًا آخر إلى خزينة الدولة. كريستيان عام (١٩٨٧م) قدّر ما يتلقاه الرابحون في اليانصيب في الولايات المتحدة بالمتوسط بما مقداره ٤٩٪ من كل دولار مدفوع من قبل مشتري اليانصيب؛ لذلك فإن العائد المتوقع من أوراق اليانصيب سالب، ويمثل ما مقداره ١٪ خسارة. إن شراء أوراق اليانصيب هي لعبة بحصيلة سالبة.

إن الاتجار في الأسهم هو أيضًا لعبة بحصيلة سالبة، مثله مثل شراء أوراق اليانصيب، إلا أن ذلك لا يبدو واضحًا تمامًا، فمن الملاحظ أن الناس يخلطون بين الاحتفاظ بالأسهم، والاتجار فيها فيرونهما لعبة بحصيلة موجبة؛ فمشترو الأسهم البعيدون عن المضاربات يمكنهم أن يتوقعوا الحصول بالمتوسط على أكثر مما أنفقوه، أما المضاربون بالأسهم، وفي غياب تكاليف الصفقات، والرسوم الإدارية، والنفقات العامة، فيمكنهم أن يتوقعوا تحقيق عوائد مساوية لعوائد المؤشرات الكلية، ولكن بعد أخذ تكاليف الصفقات في الحسبان، فيمكنهم أن يتوقعوا التخلف عن هذا المؤشرات، لقد وجد باربر وأودين عام (٢٠٠٠م) أنه ليس فقط تجار الأسهم يتخلفون عن السوق، بل إن مقدار التخلف كذلك يزداد بازدياد حجم التداول.

إن لعب اليانصيب، والاتجار في الأسهم شائعا الاستخدام في الواقع العملي، لكنهما يعدّان أمرين محيرين بالرجوع إلى النظرية الاقتصادية؛ فبمقتضى هذه النظرية يتجنب الناس المخاطر، ولا يقبلون بها، إلا إذا عرضت لهم الاستثمارات عوائد متوقعة عالية وكافية، فلماذا إذن يشترون أوراق اليانصيب التي تعرض مخاطر عالية مع عوائد متوقعة سالبة؟ وفي حالة الاتجار في الأسهم فالحيرة تأتي من الشكوك التي يثيرها عرض الأسهم من قبل المتاجر لدى التجار الآخرين بأن أي تاجر يمتلك معلومات أفضل، أو أنه يمتلك معلومات داخلية، وتحت هذه الظروف يرفض التجار العاقلين الاتجار؛ مما يؤدي إلى عدم حدوث تجارة، وفي محاولة للخروج من مصيدة عدم الاتجار هذه، استخدم كايل عام (١٩٨٥م) تسويغ تجار السيولة، الذين ليس لديهم أي معلومات، وهم يتاجرون؛ لأن لديهم سيولة كثيرة أو قليلة، في حين بيّن سوبراهما نيام عام (١٩٩١م) أن تجار السيولة الرشيدين يتاجرون فقط

طاولة القمار ليست دائمًا مصدرًا للسرور، ولا هي كذلك غرف التجارة، فالتوتر العالي في هذه الأمكنة قد يجلب المشاحنات التي تؤدي أحيانًا إلى كوارث كما في الحادثة الشهيرة عندما قام (مارك بارتون) بقتل تسعة من زملائه في غرفة التجارة في عام ١٩٩٩م





البحث عن الربح المادي يحفز إلى المغامرة بوسائل شتى

في سلة عملات، فمن أين يأتي الذين يتاجرون في الأسهم المنفردة؟

بلاك عام (١٩٨٦م)، وترينر عام (١٩٩٥م) قدما حليّن محتملين لمعضلة الاتّجار هذه: الأول: أن التجار

> إن مشتري أوراق اليانصيب من الفقراء عادة يكون لديهم تطلعات تتجاوز حدود إمكانياتهم. والفوز في اليانصيب بالنسبة إليهم هو تذكرتهم الوحيدة للخروج من أوضاعهم البائسة: لذا فإن للفقراء حضورًا زائدًا بين لاعبي اليانصيب

كلهم - على الأرجح - يعتقدون أنفسهم أنهم فوق المتوسط، وأن لديهم معلومات أو مهارات غير اعتيادية، والثاني أن التجار - بكل بساطة - يحبون عملهم. وقد قدّم فريدمان وسافاج حلاً ثالثًا في تفسيرهما لظاهرة اليانصيب الرجال يأخذون على عاتقهم مخاطر كبيرة حتى يميّزوا أنفسهم عندما يعرفون: ما هي المخاطر التي تواجههم (ص٢٩)، ولعل الناس يتاجرون في الأسهم، ويشترون أوراق اليانصيب؛ لأن هاتين اللعبتين هما الطريقة الوحيدة للانتقال من الطبقة العاملة إلى الطبقة المتوسطة أو العالية.

نشعر جميعًا أننا متميزون

استنادًا إلى المسح الذي أجراه معهد جالوب في

مايو/ أيار من عام ٢٠٠١م، ويبر عام (٢٠٠١م) عن المستثمرين، وجدا أن المستثمرين في ذلك الوقت توقعوا أن سوق الأسهم سوف يحقق متوسط عائد مقداره ٣ر١٠٪ خلال الاثني عشر شهرًا القادمة وفي الوقت نفسه توقعوا أن تحقق محافظهم الخاصة متوسطًا مقداره ٧ر١١٪، لقد توقع المستثمرون أن يكونوا أعلى من المتوسط.

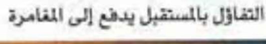
إن هذا التفاؤل غير الواقعي، الذي يُظهره الناس في المجال الاستثماري، مشابه للتفاؤل غير الواقعي الذي يُظهرونه في مجالات أخرى، فتيلر وبراون عام (١٩٨٨م) وجدا أن الناس توقعوا رضا أعلى، ورواتب أعلى من المتوسط في وظائفهم الأولى، واحتمالية أعلى من المتوسط في الحصول على أولاد موهوبين، كذلك توقعوا احتمالية أقل من المتوسط لأن يكونوا ضحية جريمة، وأن تواجههم مشكلات في العثور على عمل، وفي الإصابة بمرض فقد علق تيلور وبراون قائلين:

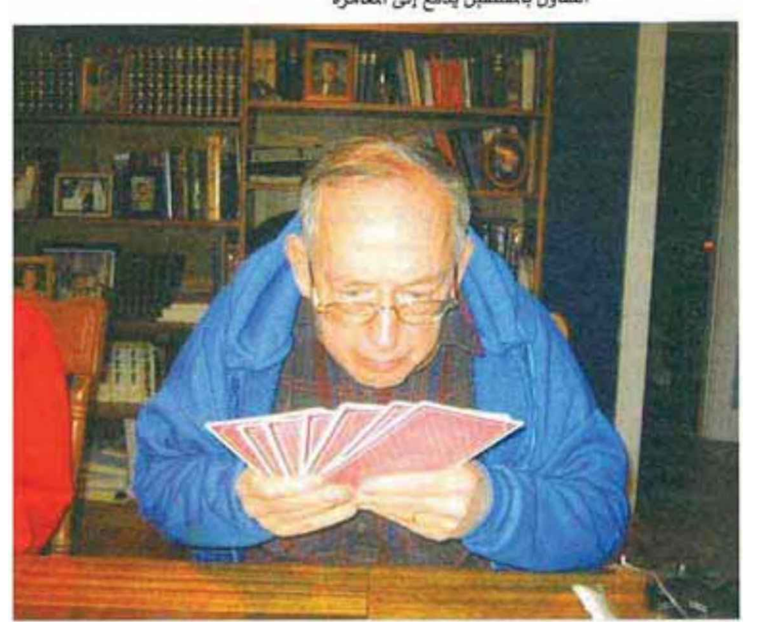
على ما يبدو أن الجميع يقول: «إن المستقبل سيكون جيدًا خاصة بالنسبة إليّ شخصيًا، ولأن المستقبل لا يمكن أن يكون مزهرًا بالنسبة إلى الجميع، فإن التفاؤل المطلق هذا الذي يُظهره الناس هو تفاؤل وهمي» (صفحة١٩٧).

لقد وجد كل من مور، وكيرتزبيرغ، وفوكس، وبازرمان عام (١٩٩٩م) في حالات الصفقات التجارية أن الناس يُبالغون في تقدير الأداء المستقبلي لاستثماراتهم نسبة إلى السوق، وسوء التقدير هذا هو انعكاس للتفاؤل غير الواقعي الذي أظهرته النتائج العملية لمسح معهد جالوب المشار إليه، ولقد وجدوا أيضًا أن الناس يبالغون في تقدير أداء استثماراتهم القديمة نسبة إلى السوق، وهذه النتيجة متفقة مع ما وجده جوتزمان وبيليس عام (١٩٩٧م)، والمتمثل في أن أعضاء جمعية المستثمرين المستقلين الأمريكية بالغوا في تقدير أداء استثماراتهم الخاصة بمتوسط بلغ ٤ر٣٪، وبالغوا في تقدير أدائهم الخاص نسبة إلى السوق بما يعادل ١١ر٥٪.

إن الاعتقاد بأننا جميعًا فوق المتوسط هو اعتقاد شائع، لكن مروجي اليانصيب والاتجار في الأسهم يجدون الطرق المساندة، ودعم هذا الاعتقاد، فيلاحظ أن الأغلبية العظمى من لاعبي اليانصيب الذين تعرضهم الإعلانات التجارية في محطات التلفاز هم من الفائزين، وهذه النسبة الكبيرة للفائزين في اليانصيب تجعل المشاهدين يبالغون في تقدير احتمالات فوزهم.

يستعمل مروجو صناديق الاستثمار الطرائق نفسها التي يستعملها مروجو اليانصيب، فعلى سبيل المثال: أظهر إعلان مجموعة سترونغ للصناديق الاستثمارية والمنشور في عدد شهر يوليو/ تموز من عام ٢٠٠٠م في مجلة التمويل الشخصي أداء اثنين


التفاؤل بالمستقبل يدفع إلى المغامرة





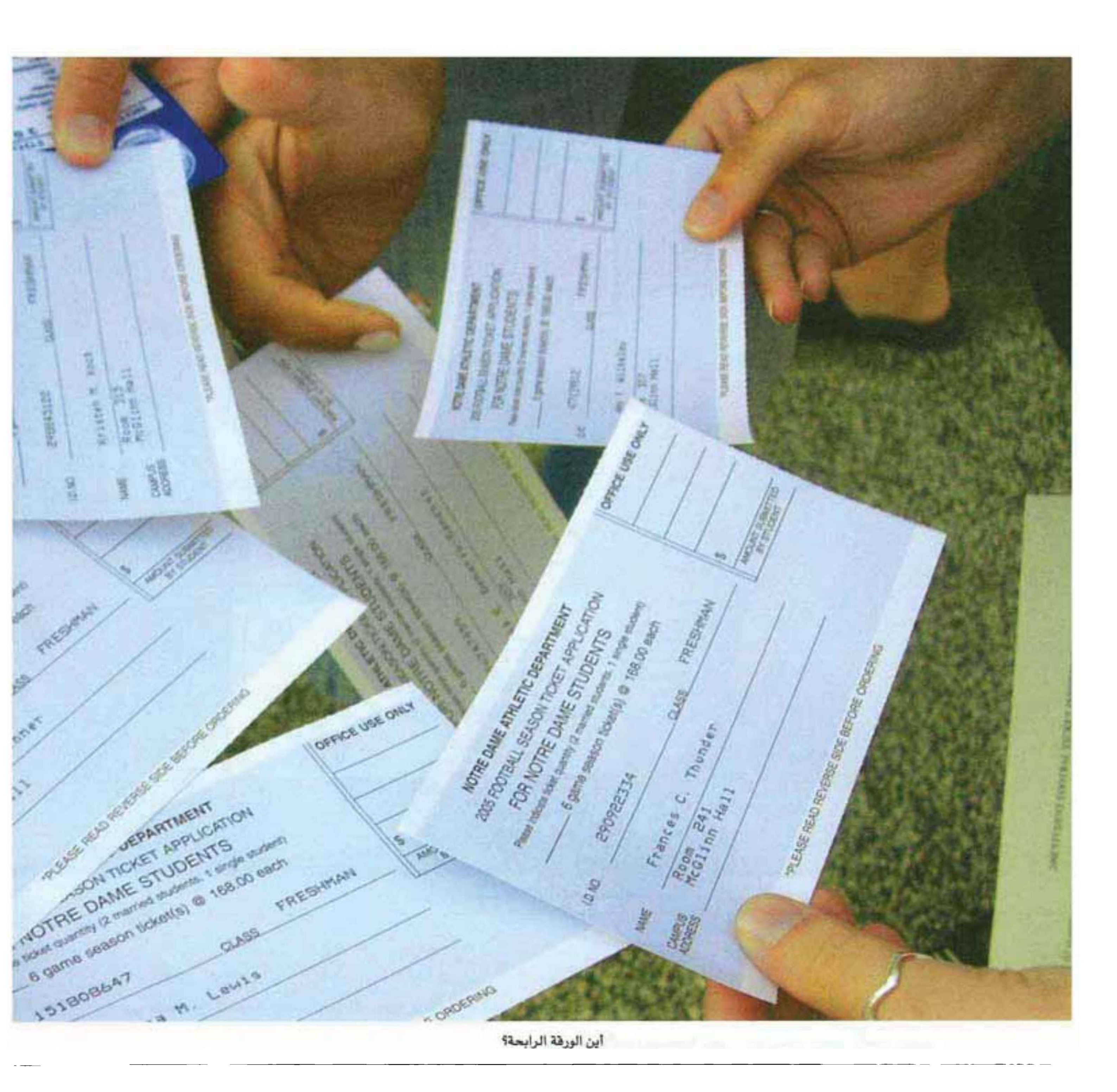
لأوراق اليانصيب جاذبيتها، وللناس تطلعاتهم

من صناديق النمو، وصناديق الدخل، فحقق الأول إيرادات تبلغ ٣٧٪ في نهاية السنة المالية لعام ٢٠٠٠م، وحقق الصندوق الثاني إيرادات بلغت ٦٨ر٣٣٪، لكن هذين الصندوقين ليسا الممثلين الحقيقيين للمجموعة، فهما الصندوقان اللذان حققا أعلى العوائد من بين صناديق الدخل والنمو التسعة المكونة لمجموعة سترونغ.

تطلعات لدى الجميع

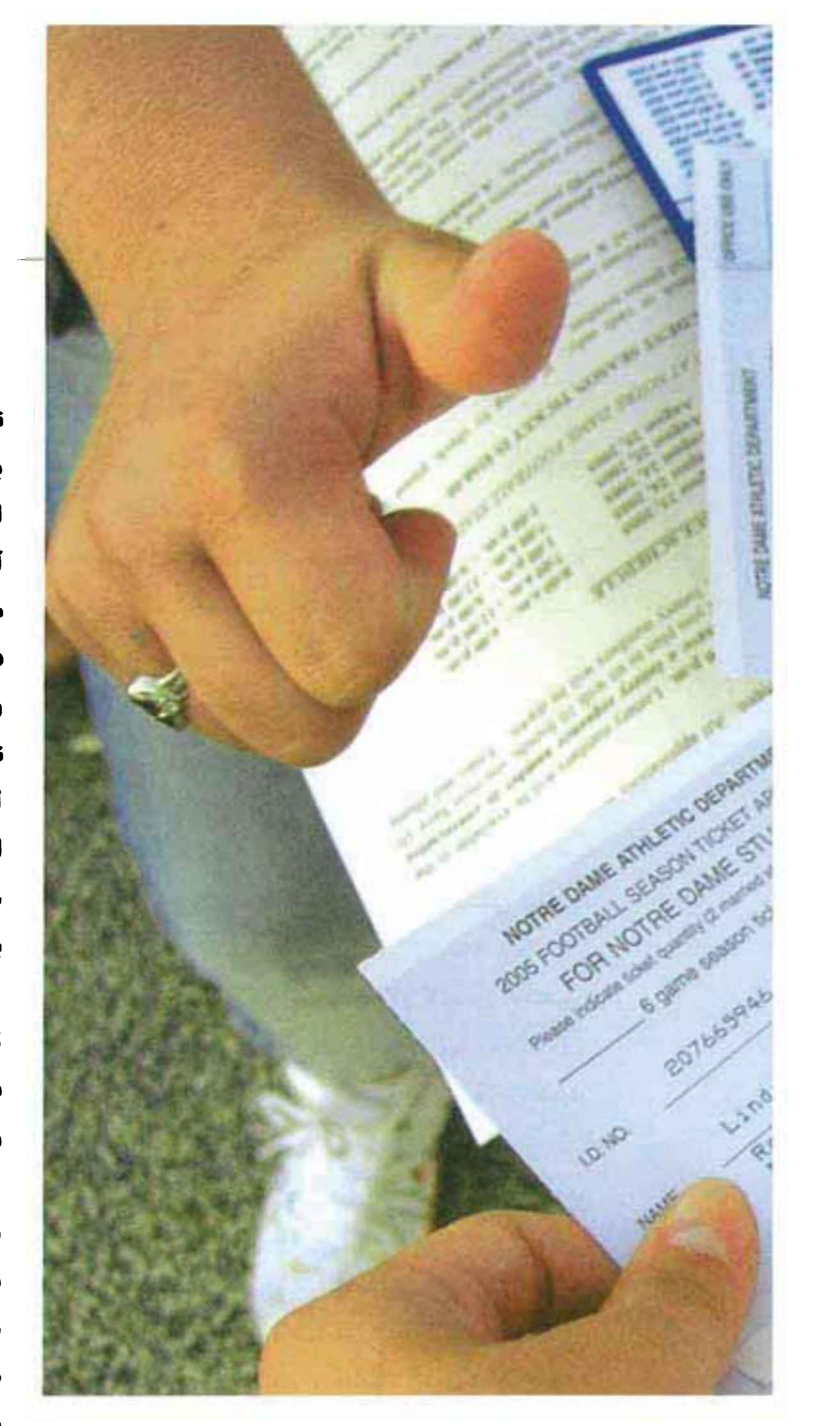
إن كل الناس لديهم تطلعات، وحول جاذبية أوراق اليانصيب، كتب بوب عام (١٩٨٣م) قائلاً: «إن الناس يستطيعون أن يحلموا من سن تسع عشرة حتى سن تسع وتسعين بأنهم سوف يصبحون من أصحاب الملايين في السحب القادم، بعض الناس الذين يتطلعون إلى أن يصبحوا من أصحاب الملايين يمكنهم أن يتوقعوا تحقيق أحلامهم من خلال المساهمة الثابتة في حسابات مضمونة، ولكن بالنسبة إلى الآخرين فإن الاتجار في الأسهم وشراء تذاكر اليانصيب يمثلان الأمل الوحيد.

إن مشتري أوراق اليانصيب من الفقراء عادة يكون



أين الورقة الرابحة؟

لديهم تطلعات تتجاوز حدود إمكانياتهم، والفوز في اليانصيب بالنسبة إليهم هو تذكرتهم الوحيدة للخروج من أوضاعهم البائسة، لقد لاحظ كل من برينر وبرينر عام (١٩٨٧م) أن الفقراء لهم حضور زائد بين لاعبي اليانصيب، وكذلك الناس الذين تقل ثروتهم الفعلية، بشكل كبير، عن مستوى تطلعاتهم؛ بسبب مرض، أو حادث، أو فقدان العمل، وقد وجد كاهنمان وتفيرسكي عام (١٩٧٩م) أن الناس الذين يقعون في هذه المنطقة يقبلون المقامرة، التي يرفضونها عندما يكونون في منطقة الرابحين، إن الناس الذين يقعون في منطقة



الخاسرين هم الناس الذين يقامرون، لأنهم يريدون تذكرة الخروج من الفقر، وليس؛ لأنهم يحبون المخاطر.

العاطفة الإنسانية

قد يكون الخوف والأمل أقوى العواطف التي تدفع لاعبي اليانصيب، وتجار الأسهم، إلا أننا لا يمكن أن نغفل عنصر الندم. الندم هو ذلك الألم الذي نشعر به عندما نكتشف متأخرين أن خيارًا آخر كان يمكن أن يؤدي إلى نتيجة أفضل. وأن محاولتنا تجنب الإحساس بالندم تؤثر - بشكل كبير - في اختياراتنا. على سبيل المثال: وجد بار هيليل ونيتر عام (١٩٩٦م) بالتجربة أن البشر يترددون في تبادل بطاقات اليانصيب أكثر من ترددهم في تبادل أشياء أخرى، كالأقلام مثلاً. ويعزو الباحثان هذا التردد إلى غريزة تجنب الندم. تخيل كيف سيكون شعورك لو ربحت بطاقة اليانصيب الخاصة بك في يد شخص آخر؟

إن مروجي اليانصيب ينتفعون من وراء ظاهرة تجنب الإحساس بالندم، عندما يشجعون مشتري بطاقات اليانصيب على الاستمرار في الشراء. (لا تدع رقمك يربح دونك) هذا ما نصت عليه عبارة ترويجية لليانصيب في عام (١٩٩١م) أوردها إعلان خاص باليانصيب، يعتمد على فكرة تجنب الإحساس بالندم نفسها. (ورقة تطير من يد مزارع، وتسقط في مرعى قريب بعد أيام قليلة يرى المزارع واحدة من أبقاره تركب في المقعد الخلفي في سيارة ليموزين فارهة، ويبدو الألم واضحًا على المزارع نتيجة لإحساسه بالندم، عندما يدرك أن بقرته قد ربحت الجائزة التي كان من المفترض أن تكون من نصيبه).

إن تجنب الإحساس بالندم يؤدي دورًا مهمًا في السلوك التجاري أيضًا، مع أنه أمر غير مستحب لمضاربي الأسهم؛ لأن المستثمرين الذين يصرون على الاحتفاظ بأسهم خاسرة لا يتاجرون أصلاً.. وفي حين أن تجنب الإحساس بالندم هو أمر ذا فائدة بالنسبة إلى صناديق الاستثمار المشتركة ذات الأداء

المنخفض، لقد وصف كل من ماك جوج وسيكونولفي عام (١٩٩٧م) المستثمرين في أحد صناديق الاستثمار الذين ظلوا يحتفظون بأسهم اشتريت منذ عشرين عامًا، على الرغم من حجم الخسائر الدفترية المسجلة لهذه الأسهم، ومعدلات التكلفة العالية للصندوق، التي تصل إلى ٢٥٪ سنويًا، بسبب تجنب الإحساس بالندم.

نزعة المغامرة

إن الشعور الجميل الذي يتحقق أمام طاولة القمار، وتعبر عنه صرخات التشجيع عندما يربح اللاعبون، ويخسر الموزع، ناتج من الصداقة الحميمة التي تنشأ بين أفراد مجتمع المقامرة الذي يصبح عقلهم الجمعي مركزًا في أوراق اللعب المكشوفة، وهذا الشعور ليس ناتجًا من الربح بحد ذاته، وإنما هو ناتج أيضًا من الربح كجزء من فريق.

إن الصداقة الحميمة التي تجمع أعضاء أندية المستثمرين، وغرف التجارة هي نفسها التي تجمع مرتادي دور القمار في كثير من الألعاب، حتى تلك التي يتنافس اللاعبون فيها بعضهم ضد بعض، وعلى الرغم من أن الأعضاء يتصارعون فيما بينهم إلا أنهم سرعان ما يحيون، ويشجعون، ويُقرض بعضهم بعضًا، إلا أن طاولة القمار ليست دائمًا مصدرًا للسرور، ولا هي كذلك غرف التجارة، فالتوتر العالي في هذه الأمكنة قد يجلب المشاحنات التي تؤدي أحيانًا إلى كوارث كما في الحادثة الشهيرة عندما قام (مارك بارتون) بقتل تسعة من زملائه في غرفة التجارة في عام ١٩٩٩م، إن المقامرة أو الاتجار في الأسهم هي أنشطة جذابة، حتى وإن مورست بشكل فردي، ومن دون رفقة، إذ إن هذه الأنشطة تقود اللاعبين أو التجار إلى أن يشعروا بالنشوة عندما تلتقي المهارة العالية التحدي الكبير.

إن باستطاعة تجار الأسهم أو لاعبي القمار الاختيار بين عدة ألعاب تعدهم بشعور النشوة هذا، إن معدي ألعاب اليانصيب يقدمونها متباينة من حيث أشكال الجوائز، ومستويات التعقيد، وقيم اللعب، إن اللعبة التي توفر قيمًا عالية للعب هي اللعبة التي تعطينا الإحساس بأننا قد مارسنا مهاراتنا، فاليانصيب الذي يسمح للاعبين باختيار أرقام خاصة بهم يعطي قيمة أكثر للعب من تلك التي تكون فيها الأرقام محددة سلفًا. إن التنوع الواسع للأسهم،

قد يكون الخوف والأمل أقوى العواطف التي تدفع لاعبي اليانصيب، وتجار الأسهم، إلا أننا لا يمكن أن نغفل عنصر الندم، الندم هو ذلك الألم الذي نشعر به عندما نكتشف متأخرين أن خيارًا آخر كان يمكن أن يؤدي إلى نتيجة أفضل، وأن محاولتنا تجنب الإحساس بالندم تؤثر ـ بشكل كبير ـ في اختياراتنا

الورقة المالية التقليدية للفاعل المغامر هي تذكرة اليانصيب، والحد الأدنى لتذكرة اليانصيب هو الصفر، واحتمال خسارة مشتري اليانصيب كل أموالهم عالٍ جدًا، ولكن هنالك فرصة لتحقيق ملايين الدنانير في حالة الفوز



الحركة داخل سوق لتداول الأسهم

والخيارات، والصناديق المشتركة، والتنوع في الاستشارات وأساليب البحث المتعلقة بالأوراق المالية ترفع من مستوى قيمة لعبة الاتجار في الأوراق المالية. إن فكرة توهم السيطرة التي تصيب بعض الناس تجعلهم يتصرفون كأنهم يمتلكون السيطرة الكاملة في مواقف، هي - في حقيقة الأمر - محسومة بواسطة الحظ. وإن توهم السيطرة هذا يجعل لاعبي اليانصيب يؤمنون أن أرقامهم المختارة لها فرص أفضل من الأرقام العشوائية، وهو أيضًا يجعل تجار الأسهم يؤمنون بأنهم قد اختاروا أسهمًا لها فرص أفضل من أسهم تم اختيارها بطريقة عشوائية.

إن تعقيد ألعاب اليانصيب يعدّ عيبًا في جذب لاعبين جدد؛ لأن تعلم الألعاب الجديدة يأخذ وقتًا وجهدًا، ولكن التعقيد له دور إيجابي في المحافظة على اهتمام اللاعبين، الذين أصابهم الملل من الألعاب القديمة، وبشكل مشابه فإن تعقيد الصناديق المتحوطة هي عيب في جذب المستثمرين المبتدئين، لكنها تمثل إغراءً كبيرًا للمستثمرين الذين ملّوا من الصناديق المشتركة، ومع أن التحديات الكبيرة تجلب النشوة عندما تكون المهارات لدى اللاعب عالية، لكنها تجلب التوتر والقلق عندما تكون المهارات منخفضة.



فارق بين المقامرة والمغامرة!



تصميم المحفظة والورقة الماليتين

إن متجنبي المخاطر يمكن أن يشتروا بوالص







صالة تداول الأسهم في شنغهاي في انتظار المتعاملين

التأمين والساعين لها يمكن أن يشتروا أوراق اليانصيب، لكن لماذا يشتري الناس كليهما معًا؟ لقد أجاب فريدمان وسافاج عن هذا السؤال من خلال ملاحظة أن الناس يشترون أوراق اليانصيب؛ لأنهم يأملون الارتقاء إلى طبقة اجتماعية أعلى، في حين أنهم يشترون بوالص التأمين كحماية ضد التراجع إلى طبقة اجتماعية أدنى.

ماركويتز عام (١٩٥٢م) وضع مفهوم فريدمان وسافاج هذا من خلال ملاحظة أن الناس يأملون في الصعود من طبقتهم الاجتماعية الحالية التي يوجدون بها، لذلك فمن يمتلك ١٠٠٠٠ دينار يمكن أن يقبل بالفرص التي يتيحها اليانصيب على أمل الفوز بمليون دينار، ومن يملك مليون دينار يقبل بالفرص التي يتيحها اليانصيب للفوز بمئة مليون دينار، وقد طوّر كاهنمان وتفيرسكي بحوث كل من فريدمان وسافاج على شكل نظرية، سمياها التطلعات Prospect Theory التي تصف سلوك الناس الذين يقبلون الفرص التي يعرضها عليهم اليانصيب عندما تكون حياتهم أقل من مستوى تطلعاتهم، ويرفضون هذه الفرص نفسها عندما يكونون في وضع أعلى من مستوى تطلعاتهم.

إن المفاهيم التي أسسها فريدمان وسافاج وماركويتز عام (١٩٥٢م) وكاهنمان وتفيرسكي هي حجر الزاوية في نظرية المحفظة السلوكية Behavioral Portfolio Theory لشيفرن وستاتمان عام (٢٠٠٠م)، وضمن هذه النظرية فإن الناس يتصرفون كما لو أنهم مجموعة «فاعلين»، كل واحد من هؤلاء الفاعلين له هدف وتوجه مختلف نحو المخاطر، وفي النسخة المبسطة من النظرية، فإن الإنسان مكون من فاعلين اثنين: أولهما وقائي يسعى إلى الحماية في حالة سير الأمور نحو الأسوأ، ويهدف إلى تجنب الفقر، وثانيهما فاعل مغامر يسعى إلى تحقيق المزيد من الآثار الإيجابية، ويهدف إلى تحقيق الثراء بسرعة. الورقة المالية التقليدية للفاعل الوقائي الذي يسعى إلى الحماية من الآثار السلبية هي ورقة المشاركة في حقوق الملكية Equity Participation note إذ يشتري المستثمرون هذه الورقة، على سبيل المثال، بعشرة

دنانير، ويكونون متأكدين من الحصول على عشرة دنانير خلال السنوات الخمس القادمة حتى لو انخفض مؤشر السوق، وسوف يحصل المستثمرون على أكثر من ذلك خمسة عشر دينارًا مثلاً، إذا ارتفع المؤشر بنسبة ٥٠٪ أو أكثر عند استحقاق الورقة، إن الحد الأدنى في ورقة المشاركة في حقوق الملكية يضمن أن المستثمرين على الأقل سيستردون أموالهم التي دفعوها؛ وهذا يلبي هدف الحماية في حالة انخفاض المؤشر.

أما الورقة المالية التقليدية للفاعل المغامر فهي تذكرة اليانصيب، والحد الأدنى لتذكرة اليانصيب هو الصفر، واحتمال خسارة مشتري اليانصيب كل أموالهم عالٍ جدًا، ولكن هنالك فرصة لتحقيق ملايين الدنانير في حالة الفوز.

إن أوراق اليانصيب مفضلة للفاعل المغامر الذي يكون لديه تطلعات كبيرة، وأموال قليلة، فمثلاً: بالنسبة إلى الرجل الفقير الذي لم ينجح في الكثير من المحاولات للخروج من فقره، تمثل ورقة اليانصيب أمله الوحيد للخروج من حالة الفقر، إن الفاعلين المغامرين الذين لديهم نقود أكثر، وتطلعات أقل يستطيعون تلبية احتياجاتهم من خلال خيارات الشراء Call Option، أما أصحاب التطلعات الأقل منهم فيستطيعون أن يشتروا الأسهم.

> إن علاوة حقوق الملكية تعتمد على مواقف الناس من المخاطر، كما تعتمد بالقدر نفسه على مستوى المخاطر، وبشكل أدق، فإنها تعتمد على الوزن الذي يضعه الناس على أهدافهم المحتملة في حالة الازدهار نسبة إلى الوزن الذي يضعونه على أهدافهم الوقائية في حالة الانحدار

علاوة حقوق الملكية

لقد أثبت جلاسمان وهاست عام (١٩٩٩م) أن أسعار الأسهم ترتفع عندما يفهم الناس أن مخاطر الأسهم طويلة الأجل، لا تزيد على مخاطر السندات، الطويلة الأجل، وعندها فإن العائد المتوقع للأسهم سيساوي العائد المتوقع للسندات، وعلاوة حقوق الملكية ستساوي صفرًا، ويشك الاقتصاديون الماليون في قرب اليوم الذي ستصبح فيه علاوة حقوق الملكية تساوي صفرًا، لقد قام ويلش عام (٢٠٠٠م) بإجراء مسح على مئتين وستة وعشرين اقتصاديًا ماليًا أكاديميًا، ووجد أنهم يتوقعون أن تبلغ علاوة حقوق الملكية ٧٪ خلال ١٠ ـ ٣٠ سنة قادمة.

إن علاوة حقوق الملكية تعتمد على مواقف الناس من المخاطر، كما تعتمد بالقدر نفسه على مستوى المخاطر، وبشكل أدق، فإنها تعتمد على الوزن الذي يضعه الناس على أهدافهم المحتملة في حالة الازدهار نسبة إلى الوزن الذي يضعونه على أهدافهم الوقائية في حالة الانحدار، وقد تصبح علاوة المخاطر سالبة إذا بالغوا في تقدير وزن أهدافهم المحتملة في حالة الازدهار، وفي هذه الحالة تكون الأوراق المالية، حتى المتميزة منها، مشابهة جدًا لأوراق اليانصيب، وهذا ما حدث في ألبانيا عام ١٩٩٦م حين قام ثلثا الألبان بتحويل حساباتهم الوقائية إلى أسهم شركة بيراميد الاستثمارية، التي وضعوا فيها كل آمالهم بالخلاص من الفقر المدقع، الذي أعقب زوال الحكم الشيوعي، إلاّ أن انهيار الشركة أطاح بآمالهم وأموالهم؛ مما سبب فوضى

عارمة في البلاد أدت إلى مقتل نحو ألفي شخص.

إن التطلعات نحو حالة الازدهار ربما أعمت الكثير من الألبان عن حقيقة أنهم كانوا يشترون أوراقًا مالية بعلاوة مخاطر سلبية، وهو ما يشبه تصرفات كثير من لاعبي اليانصيب، إن الألبان مثل بعض لاعبي اليانصيب، ربما كانوا يدركون أنهم يشترون أوراقًا مالية بعلاوة مخاطر سالبة، ولكنهم لم يروا أي أمل آخر للوصول إلى تطلعاتهم.

يدور جدل كبير حول الاتجار اليومي في الأسهم إذ إن الكثير من الأكاديميين لا يعدّون التجار اليوميين مستثمرين، ويشبهونهم بالمقامرين، ويثير سلوكهم المقامر هذا نوعين من المخاوف: إيذاء الآخرين أو إيذاء أنفسهم، بيد أن التأثير في السوق والاقتصاد لا يدعو إلى القلق، لأن حجم الاتجار

حلم الثروة يراود الجميع



اليومي الحالي صغير مقارنة بحجم الاتجار العائد إلى المؤسسات الاستثمارية، وهذا لا يملي مخاطر نظامية على الأسواق أو الاقتصاد.

الخلاصة:

إن تجارة الأسهم مثلها مثل لعب اليانصيب هي لعبة بحصيلة سالبة، وفي المجمل، فإن الناس يخسرون، فلماذا يتجر الناس بالأسهم، ويشترون بطاقات اليانصيب؟ لقد حاولت هذه المقالة الإجابة عن هذا التساؤل من خلال تسليط الضوء على الآمال والتطلعات، والأفكار، والعواطف، والدوافع لدى الناس.

يقول الفقير الذي يقطن في حي بائس: إن الفوز في اليانصيب هو الطريق الوحيد للخلاص من الفقر الذي أعانيه، ويقول المضارب بالأسهم الذي يعيش في منزل متواضع، ويطمح إلى العيش في سكن راقٍ: إني أحاول أن أكسب مالاً بسرعة على الرغم من المخاطرة العالية. إن بعض الناس الطامحين إلى الارتقاء في الحياة يتوقعون تحقيق تطلعاتهم من خلال إسهامات ثابتة في حساباتهم التقاعدية، ولكن بالنسبة إلى بعضهم الآخر فليس لديهم غير طريقة المضاربة في البورصة، وشراء أوراق اليانصيب.

إن أوراق اليانصيب والمضاربة لهما إغواؤهما الخاص، ولكن فوق ذلك تعلّم المروجون مضاعفة هذه الغواية عن طريق التلاعب بأفكارنا وعواطفنا، فلاعبو اليانصيب هم دائمًا فائزون في الإعلانات، مع أن معظمهم خاسرون في الواقع، كذلك فالإعلانات تظهر الصناديق الاستثمارية المشتركة رابحة على أن معظمهم يحقق عوائد تقل عن مؤشر السوق في الحياة الواقعية.

منذ أكثر من نصف قرن كتب فريدمان وسافاج

> تعقيد ألعاب اليانصيب يعدّ عيبًا في جذب لاعبين جدد: لأن تعلم الألعاب الجديدة يأخذ وقتًا وجهدًا. ولكن التعقيد له دور إيجابي في المحافظة على اهتمام اللاعبين. الذين أصابهم الملل من الألعاب القديمة. وبشكل مشابه فإن تعقيد الصناديق المتحولة هي عيب في جذب المستثمرين المبتدئين

أن الناس يأملون أن أوراق اليانصيب سترفعهم إلى طبقة اجتماعية أعلى، في حين يثقون بأن عقود التأمين ستحميهم من الانحدار إلى طبقة اجتماعية أدنى، وقد نسب فريدمان وسافاج أدوارًا متساوية إلى أوراق اليانصيب والتأمين في مفهومهما الخاص باليانصيب والتأمين ولكن فيما بعد قادنا (ماركويتز عام ١٩٥٢م أو ١٩٥٢م) إلى معضلة، ففي أحد الاتجاهات قام بتوسيع إطار العلاقة بين التأمين واليانصيب ناسبًا دورًا كبيرًا إلى اليانصيب يُكافئ حجم دور التأمين في محافظ المستثمرين. وفي اتجاه آخر، وضمن مفهوم الوسط الحسابي والتباين لم ينسب إلى اليانصيب أي دور قط.

لقد عرض ماركويتز مفهوم الوسط الحسابي والتباين كمحدد للسلوك الاستثماري الرشيد، وليس كوصف للسلوك الاستثماري الفعلي، وقد لاحظ في مقالة له: «أن على الوكيل الذي يُعهد إليه بمسؤولية مقادير كبيرة من أموال الناس ألاّ يقامر، فإذا وكّل مثلاً بأموال التقاعد فعليه ألاّ يتحمل مخاطر دون أن يُطالب بمكافأة مقابل هذه المخاطر، التي تحملها، بيد أنه أشار إلى أن مفهوم التأمين واليانصيب



سوق الأسهم يلقى أضواء ساطعة في كل العالم

يصف السلوك الاستثماري الفعلي، إذ إن الأفراد يشترون أوراق اليانصيب، ويشترون بوالص التأمين - في الوقت ذاته - ضد الخسارات المهمة.

لقد تحولت صيغة الوسط الحسابي والتباين التي شرحها ماركويتز إلى صيغة وصفية منذ عام ١٩٥٢م حتى وقتنا الحالي؛ فالنظرية المالية الحالية مبنية على افتراض أن المستثمرين هم كارهون للمخاطرة دائمًا، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا يُقدم المستثمرون على الاتجار في الأسهم، ولماذا يشتري الناس بجميع فئاتهم أوراق اليانصيب؟

ربما جاء الوقت لإعادة صيغة الوسط الحسابي والتباين إلى دورهما كمفهوم نموذجي، وتبني مفهوم بواليص التأمين واليانصيب كهيكل وصفي، لقد فعل بعضهم ذلك، فاعتمد ماركويتز - مثلاً - على مفهوم بواليص التأمين واليانصيب، تمامًا كما فعل ذلك كل من كاهنمان وتفيرسكي في تطويرهما نظرية التطلعات، ومثلها فعل (شيفرن وستاتمان عام ٢٠٠٠م) في

إن لعب اليانصيب، والاتجار في الأسهم شائعا الاستخدام في الواقع العملي. لكنهما يعدّان أمرين محيرين بالرجوع إلى النظرية الاقتصادية: فبمقتضى هذه النظرية يتجنب الناس المخاطر، ولا يقبلون بها، إلا إذا عرضت لهم الاستثمارات عوائد متوقعة عالية وكافية

تطويرهما نظرية المحفظة السلوكية، ولكن لا تزال هنالك حاجة إلى المزيد.

وربما حان الوقت حتى للشك في صيغة التباين والوسط الحسابي ودورها كإطار عمل نموذجي؛ فالوكيل المالي المسؤول عن أموال الآخرين لا يحق له المقامرة فيها، ولكن هؤلاء الوكلاء قد يتصفون بعدم الحكمة، ليس بسعيهم إلى لمخاطر فقط، بل بسبب تجنبهم الشديد لها، وعلاوة على ذلك هل يكون تعاطي المقامرة - دائمًا - ضرب من عدم التبصر والحكمة؟ فإن مشتري أوراق اليانصيب - مع تفاوت أعمارهم - يحلمون أن يصبحوا من أصحاب الملايين بعد سحب اليانصيب القادم، فهل من الحكمة أن نطفئ أحلامًا من هذا النوع يمكن شراؤها بدينار واحد؟

المراجع والهوامش

◆ حسب هذا المفهوم تقاس المخاطر بالتباين (متوسط تشتت القيم عن وسطها الحسابي)، ولا يقبل المستثمر بالمخاطر الإضافية إلا بوجود عائد كاف يعوضه عن المخاطر.

1- Barber, Brad, and Terrance Odean. 2000. :Trading Is Hazardous to Your Wealth: The Common Stock Investment Performance of Individual Investors. "Journal Of Finance. Vol.55,no.2 (April): 773 - 806.

2- Bar - Hillel, Maya, and Efrat Neter. 1996. "Why Are People Reluctant to Exchange Lottery Tickets?" Journal of Personality and Social Psychology. vol. 70, no. 1 (January): 17-27

3- Bernstein, Peter: 1996. Against the Gods. New York. John Wiley & Sons.

4- Black, F. 1986. .Noise" Journal of Finance. vol. 41, no.3 (July): 529 - 543.

5- Brenner, Gabrielle, and Reuven 1987. "Profile of Gamblers" Working Paper, University of Montreal.

6- Clotfelter, Charles, and Philip Cook. 1989. Selling Hope: State Lotteries in America Cambridge, MA: Harvard University Press.

7- Friedman, M., and L.J. Savage. 1948. "The Utility Analysis Choices Involving Risk". "Journal a/Politiaal Economy. vol. 56, no.4 (August): 279 - 304

8- Gallup/ Paine Webber. 2001. Paine Webber Index of Investor Optimism (May)

9- Classman, James, and Kevin Hassett. 1999. Dow 36,000. New York: Random House.

10- Goetzmann, William, and Nadav Peles. 1997. Cognitive' Dissonance and Mutual Fund Investors". Journal of Financial Research, vol 20. no 2 (Summer): 145 - 158.

11- Kahneman, D., and A. Tversky. 1979. "Prospect Theor: An Analysis of Decision Making Under Risk". Econometrica. vol. 47, no. 2 (March): 263 - 291.

12- Kyle. A.S. 1985. "Continuous Auctions and Insider Trading". Econometrics. vol. 53, no.6 (November 15 - 36

13- Markowiz, Harry. 1952a. "Portfolio Selection" Journal of Finance. vol. 7, no 1(March): 77 - 91

14 1952b. "The Utility of Wealth" Journal of Political Economy. vol. 60, no.2 (April):151 - 158.

15- 1984. "The Two - Beta Trap" Journal of Portfolio Management. vol 11, no1 (Fall): 13 - 20

16- McGough, Robert, and Michael Siconoifi. 1997. "Buy and Fold: Their Money's Fleeing, but Some Investors Just Keep Hanging On. "Wall Street Journal (June 18): A1

17- Moore, D.A., T.R. Kurtzberg, C.R. Fox, and M.H. Bazerman. 1999. .Positive Illusions and Forecasting Erros in Mutual Fund/ Investment Decisions" Organizational Behavior and Human Decision Processes. vol 79, no. 2 (August):95 - 114.

18- Pope, R. 1983. "The Pre- Outcome Period and the Utility of Gambling." In Foundations of Utility and Risk Theory With Applications, Edited by B.P. Stigum and F. Wenstop. Dordrecht, Netherlands: Reidel: 137 - 177.

19- Shefrin, Hersh, and Meir Statman. 1985. "The Disposition to Sell Winners Too Early and Ride Losers Too Long: Theory and Evidence". Journal vol. 40, no 3 (July): 777 - 790

20- Subrahmanyam. Avanidhar. 1991. "A Theory of Trading in Stock Index Futures". Review of Financial Studies, Vol. 4, no. 1(January): 17 - 51.

21- Taylor, Shelley, and Jonathan Brown. 1988. "Illusion, and Well- Being: A Social Psychological Perspective on Mental Health." Psychological Bulletin Journal. vol 103, no 2 (March): 193 - 210.

22- Treynor, Jack. 1995. "The Only Game in Town. "Financial Analysts Journal. vol. 51, no. 1 (January/ February): 81 - 83. Originally Printed in 1971 under the name Walter Bagehot. Financial Analysts Journal. vol. 27, no (march/ April): 12 - 14, 22

23- Welch, Ivo. 2000. "Views of Financial Economics on the Equity Premium and on Professional Controversies. "Working Paper. University of California at Los Angeles and Yale University



من هم الأكراد؟ وما أصولهم؟

محمد سعيد المولوي

دمشق – سورية

يشكل الأكراد قسمًا كبيرًا من سكان الشرق الأوسط. ويتوضعون بشكل رئيس في غرب إيران وشمال العراق، وجنوب شرق تركيا، وشمال شرق سورية. وقسم واسع من المناطق التي يسكنونها مناطق وعرة أو جبلية.

وقد ظهرت على سطح الحياة في منتصف القرن العشرين ونهايته ما يمكن أن يسمى المشكلة الكردية، فقد تمثلت آمال كثير من الأكراد في أن يجتمعوا جميعًا في دولة واحدة تجمع مناطق وجودهم المتسعة تسمى «كردستان».

وفي سبيل ذلك أنشؤوا الأحزاب والجماعات والتشكيلات، وكان بعضها مسلحًا، وخاضوا مع حكومات البلاد التي هم فيها نزاعات وصراعات سياسية وعسكرية أحيانًا، وقد لجأت بعض هذه الدول إلى القضاء على آمال الأكراد بالقمع والإرهاب؛ مما دفع عددًا كبيرًا منهم إلى هجرة أراضيهم، والانتشار في أرجاء الأرض، لكن الرغبة في إقامة دولة «كردستان»، وإن غابت المقاومة، فإنها لا تزال كامنة في النفوس، وهي مستعدة للظهور عند أول فرصة، وما نراه اليوم في شمال العراق دليل واضح على ذلك.

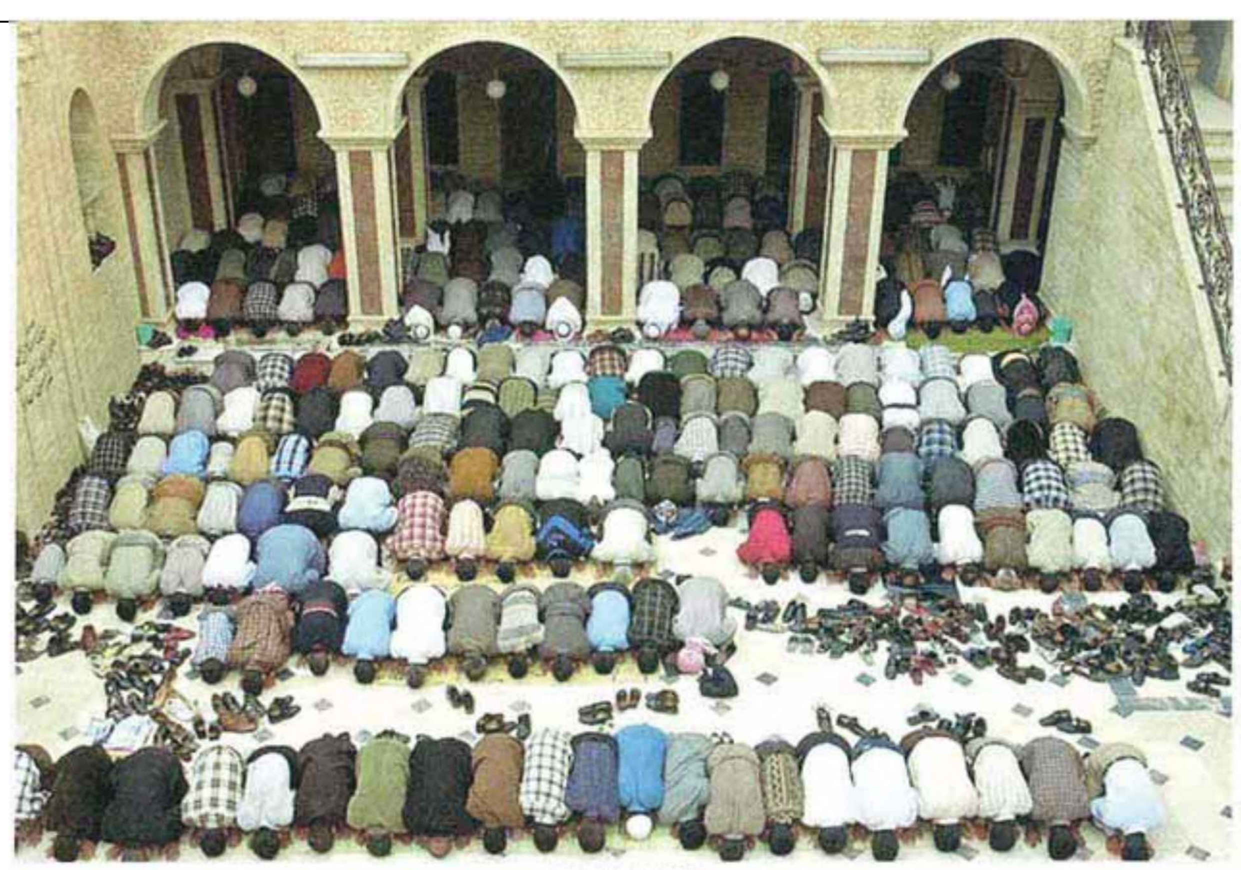
عنصرا المشكلة

إن أساس المشكلة الكردية يكمن في عنصرين



اجتمعا ليكونا المحرض الأكبر على التفكير في إقامة كيان خاص للأكراد. وأول هذين العنصرين الفقر الشديد الذي يعانيه الأكراد، والإهمال الكبير الذي اصيبوا به، فإن مناطقهم شبه محرومة من التطورات الحضارية والمدنية التي انتشرت في بقية المناطق. ولا نبالغ إذا قلنا: إن بعض الدول تحرم الأكراد من حق الجنسية الكاملة، وتمنع عنهم جوازات السفر، وبطاقات الهوية أسوة بغيرهم من المواطنين، وتكتفي بإعطائهم وثائق بأن جنسيتهم تحت الدرس.

أما ثاني هذين العنصرين فهو العنصر القومي، وفكره الذي انتشر في مطلع القرن العشرين. فقد رأى الأكراد كيف بنى مصطفى كمال دولة تركيا على أساس قومي علماني، ولقب بكلمة: «أتاتورك» أي والد الأتراك والتسمية - بلا ريب - لها مدلول «ديموغرافي» واضح. كما أنهم رأوا الفكر القومي العربي القائم على فكرة القومية العربية، والمستقاة من فلسفة الفيلسوف الفرنسي «رينان» ينتشر، ويتسع، ويحاول أصحابه أن يصبغوا المجتمع والدولة



أكراد يؤدون الصلاة

بصبغته، وقد أسهم في طرح هذا الفكر تشكيلات ثقافية وحزبية كان من أهمها عصبة العمل القومي، وحزب البعث العربي، وحركة القوميين العرب. وقد يغيب عن البال أن طلائع هذا الفكر القومي إنما برزت ردًا على حركة التتريك التي مارستها تركيا في أيام حزب الاتحاد والترقي ومصطفى كمال. وأن من أهم من حمل لواء الفكر القومي العربي . وهو أمر يدعو إلى العجب . مهاجرين من إسكندرونة، أحدهما لا يكاد يحسن النطق بالعربية.

بركان ينفجر

لقد نظر الأكراد حولهم فرأوا للعجم دولة قائمة لهم، وما كان العجم فُرْسًا فقط بل هم خليط من الشعوب التي حملها الإسلام إلى تلك الديار فاتحين ومبشرين بالإسلام ومقيمين بها، ورأوا للترك دولة

بعض الكرد دخلوا بلاد العجم، وتوغلوا فيها. ومن طبائع الأمور أن يحصل اختلاط بين القومَين، وتفاعل في شؤون الحياة المختلفة. بل إن بعض الأكراد نزحوا عن مناطقهم في شهرزور إلى مصر، وبلاد الشام، وحل مكانهم غيرهم ممن ليسوا من صميم الأكراد

لهم، وها هم أولاء العرب ينادون بجمع كيان شعوبهم في أمة واحدة، ودولة واحدة.. فلِمَ يكون الكردُ منتقصين؟ ولم لا تقوم لهم دولة، كما هي لغيرهم، ولم لا يجتمع الناطقون باللغة الكردية في كيان واحد، وتحت شعار واحد؟.

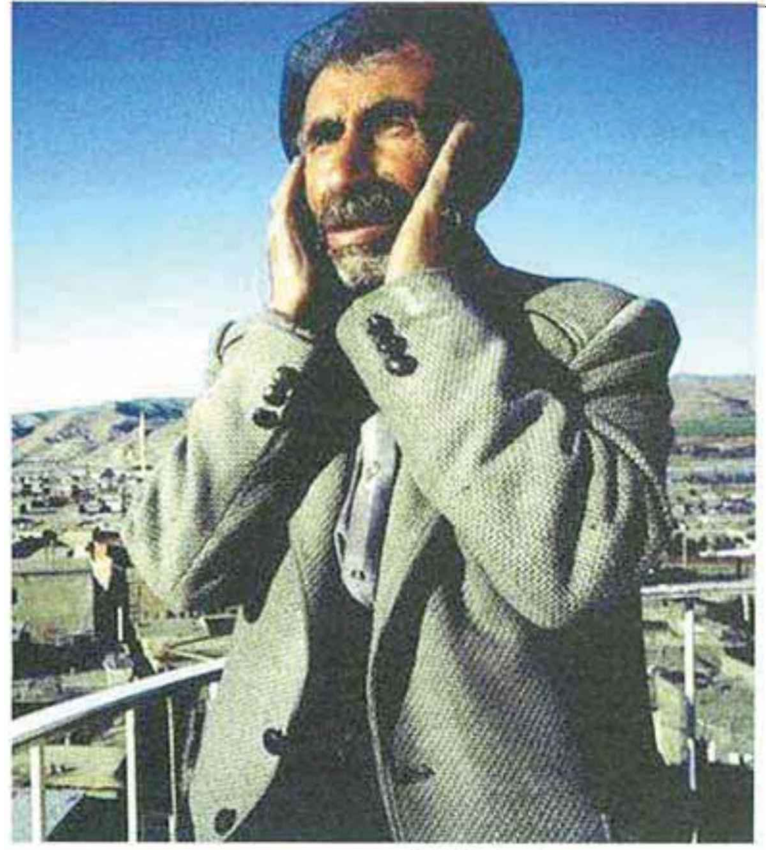
وهكذا بدأت الدعوة إلى إقامة دولة كردستان تسري بين الأكراد شيئًا فشيئًا، ثم اشتدت، حتى أصبحت بركانًا يكاد يتفجر بين حين وآخر، ويهدد تكوين المنطقة كلها.

والسؤال الذي يطرح نفسه: من هم الأكراد؟ وإلى مَنْ ينتمون؟ وهل هم أمة منفردة كالترك، والفرس، والعرب؟

صورة مشرقة

إن صورة الأكراد المتواضعة في مختلف أذهان المسلمين هي تلك الصورة المشرقة التي رسمها كل من محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، والتي تتوجت بتغلب صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين. ويظن بعض الناس أن الأكراد وحدهم الذين خاضوا معركة حطين. والحقيقة خلاف ذلك فقد انطلق صلاح الدين من مصر بجيش مصري ليلاقي جيش بلاد الشام، الذي كان خليطًا من شعوب دخلت

> الناظر في تاريخ العرب يجد أنهم قد اختلطوا بمن ساكنوهم أو جاوروهم أو حكموهم من الأمم المختلفة، وتداخلت أنسابهم بأنسابهم، فلم يعد هناك من عرب أقحاح إلا ما ندر ممن سكنوا الأماكن المرتفعة، واعتزلوا الناس، أو عاشوا في الصحارى والفيافي



كردي يؤذن للصلاة

في الإسلام، وجاءت لتستنقذ مدينة القدس، والمسجد الأقصى. وما كانت معركة حطين معركة الأكراد وحدهم، ولا العرب وحدهم ولا.. ولا.. وإنما كانت معركة الإسلام مع الصليبيين. وتلك المعركة تاج فخار على هامة كل من شارك فيها بغض النظر عن قومه أو جنسه أو لونه.

ومن المؤسف أن بروز الأكراد الأيوبيين في مجال السياسة والحرب، وبسط سلطانهم على العراق، وبلاد الشام غطيا على ما كان للأكراد من علماء عظام، وشعراء كبار تفخر بهم الثقافة الإسلامية، كتقي الدين أبي عمرو عثمان بن الصلاح، وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم، وضياء الدين أبي عمرو عثمان بن



عيسى الذي شرح كتاب المهذب في عشرين جزءًا، وأبي القاسم عمر بن محمد بن البزري الجزري، وأحمد بن خلكان، والملك الأفضل بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وست الشام زمرد خاتون، وأبي السعادات بن الأثير، وأخيه ضياء الدين بن الأثير(١)، وأبي الحسن علي الملقب بعز الدين الجزري.

إن الرجوع إلى المصادر العربية القديمة يعطينا بيانًا عن أصل الأكراد: كيف كانوا، وإلى ماذا آلوا؟ فقد اشترك كل من ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ، وهو من علماء اللغة والأنساب في كتابه «الاشتقاق»، وابن عبد البر في كتابه «القصد والأمم في أنساب العرب والعجم» (٢) على أن الأكراد عرب، وجعل ابن دريد جدهم كرد عمرو بن عامر.. وتفرد ابن عبد البر برفع نسبهم إلى عمرو مزيقياء، وهو أحد ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى مزقهما وخلعهما، وانتقل من اليمن إلى الشام، والأنصار من ولده، وهم الأوس والخزرج.

كما ذكر أن الأكراد وقعوا إلى أرض العجم فتناسلوا بها، وكثر ولدهم فسموا الكرد. وقال ابن خلكان وهو مؤرخ كردي (٦٠٨ - ٦٨١)، وقال بعض الشعراء في ذلك وهو يعضد ما قاله أبو عمر بن عبدالبر:

لعمرك ما الأكرادُ أبناءَ فارس
ولكنه كردُ بنُ عمرِو بنِ عامرِ

ويؤيد ما ذكره ابن عبد البر ما أورده صاحب معجم لسان العرب (٣) إذ قال: «والكُرْد بالضم جيل من الناس معروف، والجمع أكراد، وأنشد:

لعمرُكَ ما كردٌ من ابناء فارس
ولكنه كردُ بنُ عمرِو بنِ عامرِ

فنسبهم إلى اليمن.

ونجد نصين آخرين يوردهما النويري في كتابه



نهاية الأرب(٤) الأول: يقول: «والعقب من أكراد جد القبيلة المعروفة بالأكراد في قول أكثر الناس، ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بني عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسي». والنص الثاني يقول: «وإلى عمرو بن صعصعة بن معاوية تُعْزى الطائفة المعروفة بالأكراد. ومن النسابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة المذكور» (٥).

أما ياقوت الرومي فإنه يجمع بين جيلين من الناس فيقول: قال الليث: القفس جبل بكرمان في حيالها كالأكراد يقال لهم القفس والبلوص قال الراجز يذكره والمشتق منه:

وكم قطعنا من عدو شُرَّسِ

زُطٍ وأكرادٍ وقفصٍ قُفْسِ

وقال الرهني: «القُفْسُ جَبَلٌ من جبال كرمان مما يلي البحر وسكانه من اليمانية، ثم من الأزد بن الغوث، ثم من ولد سليمة بن مالك بن فهم».

لكن الذي يقدم لنا الخبر الشافي هو أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي المسعودي(٦) فهو يقدم لنا في كتابه القيم: مروج الذهب ومعادن الجوهر (٧) النص الآتي:

«وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس

من المسلم به أن الأكراد امتدوا على أصقاع واسعة، وبلاد شاسعة، ومناطق كبيرة، وأنهم كانوا يعيشون في بلاد الموصل وأربل وميافارقين، وحتى بلاد سنجار فسجستان، وأذربيجان، وبلاد الكرج، وهراة، وجبال همذان، وشهرزور، والزاب الكبير



أكراد يجمعون بين الزيين العربي والكردي

في بدئهم، فمنهم من رأى انهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان انفردوا في قديم الزمان، وانضافوا إلى الجبال والأودية، دعتهم إلى ذلك الأَنَفَة، وجاوروا من هناك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من

رأى الأكراد كيف بنى مصطفى كمال دولة تركيا على أساس قومي علماني. ولقب بكلمة: "أتاتورك" أي والد الأتراك والنسبة - بلا ريب - لها مدلول "ديموغرافي" واضح. كما أنهم رأوا الفكر القومي العربي القائم على فكرة القومية العربية

الأعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم أعجمية، ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية» (٨).

«ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار، وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن، وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان» (٩).

ومنهم من راى انهم من ربيعة ومضر، وقد اعتصموا في الجبال طلبًا للمياه والمراعي، فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم».

ويقدم لنا ابن خلكان - وعادته التقصي - خبرًا يقول فيه (١٠): «رايت مُدرجًا رتبه الحسن بن غريب ابن عمران الحرشي يتضمن أن أيوب (والد صلاح الدين) بن شاذي بن مروان بن أبي علي بن عنترة

بعض الكرد دخلوا بلاد العجم. وتوغلوا فيها. ومن طبائع الأمور أن يحصل اختلاط بين القَوْمَيْن وتفاعل في شؤون الحياة المختلفة من مساكنة وزواج وتعامل وبيع وشراء. بل إن بعض الأكراد نزحوا عن مناطقهم في شهرزور إلى مصر وبلاد الشام. وحل مكانهم غيرهم من ليسوا من صميم الأكراد

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبدالعزيز بن هدبة بن الحصين بن حارث بن سنان ابن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث بن عوف (صاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء) ابن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غيظ ابن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»

والدارس للنصوص السابقة يستطيع أن يصل إلى النتائج الآتية:

١. أن الأكراد ليسوا أمة أعجمية، كالفرس، والترك، وإنما هم عرب أقحاح.

من المؤسف أن بروز الأكراد الأيوبيين في مجال السياسة والحرب، وبسط سلطانهم على العراق، وبلاد الشام غطيا على ما كان للأكراد من علماء عظام، وشعراء كبار تفخر بهم الثقافة الإسلامية





سجادة مصنوعة بأيد كردية

٢. أن اختلاف الرواية في النسب يرجع إلى أحد أمرين:

أ. أن هجرة الأكراد إلى بلاد سجستان وهراة والموصل وأربل.. إلخ ليست هجرة قبيلة واحدة، وإنما هجرة قبائل عربية مختلفة هاجرت بين الفرس والروم والأمم الأخرى: ولذلك وجدنا خلافًا في رواية النسب.

ب ـ أن اختلاف رواية الأنساب أمر طبيعي عند العرب، وندر أن نجد ترجمة لعربي في الجاهلية أو صدر الإسلام إلا ونجد بعض الاختلاف أو الاضطراب في وضع اسم مكان اسم أو تقديم اسم وتأخير اسم، وهذا الأمر مقرر عند علماء الأنساب، ويعلل النويري ذلك فيقول (١١): «وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حصل الاختلاف في ما حفظوه، فقال قوم برواية، وقال آخرون برواية».

ولكن هل كل الأكراد عرب؟!

الجواب على ذلك نجده في أكثر من نص يفيد أن بعض العجم دخل مواطن الأكراد، وأقام بينهم، واختلط بهم، وأصبح منهم فتكرد. قال ابن فضل الله العمري: «الزرزارية هي كلمة أعجمية، ومعناها ولد الذئب، ويقال: إنهم من العجم المنسوبين إلى ملوكهم(١٢)». وفي التقديم لكتاب ابن خلكان عن ابن فضل الله العمري: «كان العمري يقول في أكراد زمانه: إن الأكراد، وإن دخل في نوعهم كل جنس، فإنهم جنس خاص من نوع عام (١٣)».

ويظهر أن دخول العجم في الكرد يقابله أيضًا دخول



رينان



فنان كردي شاب

من الكرد في العجم، وهذا أمر معقول ومنطقي في العلاقات بين الأمم المتجاورة، يدلّ على ذلك ما نقله صاحب صبح الأعشى بقوله: «ومنها جبال الأكراد. قال في «مسالك الأبصار»، والمراد بهذه الجبال الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم دون أماكن من توغل من الأكراد في بلاد العجم» (١٤).

فهذا نص صريح على أن بعض الكرد قد دخلوا بلاد العجم، وتوغلوا فيها، ومن طبائع الأمور أن يحصل اختلاط بين القَوْمَيْن وتفاعل في شؤون الحياة المختلفة من مساكنة وزواج وتعامل وبيع وشراء. بل إن بعض الأكراد نزحوا عن مناطقهم في شهرزور إلى مصر وبلاد الشام، وحل مكانهم غيرهم ممن ليسوا من صميم الأكراد. ففي صبح الأعشى نقلاً عن «مسالك الأبصار»: نواحي شهرزور كان يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها: «اللوسة، والأخرى يقال لها الباسرية، رجال حرب، وأقيال طعن وضرب، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد، ووفدوا إلى مصر والشام، وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم الحوسة، ليسوا من صميم الأكراد».

ونجد نصوصًا أخرى تدل على تداخل أقوام مع الكرد أو تداخل الكرد معهم: ففي ذكر بلاد ما ذُكُرْد، والرستاق، ومَرْت، وجبل جنجرين، ينقل صاحب صبح الأعشى ما يأتي: «وهو مقام طائفة منهم يقال لهم: «الزرزارية. ويقال: إنهم ممن تكرد من العجم ولهم عدد جم» (١٥) وينقل في مكان آخر «وهو مقام طائفة تسمى الجولمركية، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم فعرفوا



كمال أتاتورك

به، ويقال: إنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا بهذه الجبال عند غلبة بني العباس عليهم، وأقاموا بها بين الأكراد، فانخرطوا في سلكهم» (١١).

وهكذا فإن الناظر في تاريخ العرب يجد أنهم قد اختلطوا بمن ساكنوهم أو جاوروهم أو حكموهم من الأمم المختلفة، وتداخلت أنسابهم بأنسابهم فلم يعد هناك من عرب أقحاح إلا ما ندر ممن سكنوا الأماكن المرتفعة، واعتزلوا الناس، أو عاشوا في الصحارى والفيافي، وإلا فأخبرني أين تلك القبائل العظيمة كغطفان، وطيء، وتميم، وعبس، وهوازن، وثقيف.. إلخ.. وأين هي اليوم؟.

والأمر نفسه ينطبق على العرب الأكراد فإن منهم من اعتصم بالجبال والبلاد المنيعة فحافظ على عرقه العربي، ولكنه أضاع لغته العربية، ومن جاور العجم والترك والأمم الأخرى دخل فيهم، ودخلوا فيه.

أين لغتهم العربية؟

ولنا أن نسأل: إذا كان أجدادنا المؤرخون والنسابون ينصون أن الأكراد عرب، فأين هي لغتهم العربية؟ وهو سؤال جدير بالإجابة.

إن نظرة إلى الواقع الحي الآن ترينا أن الإنسان إذا عاش بين قوم يخالفونه اللغة، أو أن قومًا عاشوا بين أقوام يخالفونهم اللغة فإن انصرافهم عن لغتهم إلى لغة القوم الذين يجاورونهم يكون شيئًا فشيئًا، وقد يحافظ الجيل الأول على لغته، ولكن الجيل الثاني ينطبع بلغة غيره، ويفقد من لغته أكثر. فإذا



إحدى المناطق السياحية في كردستان

جاء الجيل الثالث كان ارتباطه بلغته الأم، أوهن من خيط العنكبوت، ومن أكبر الأدلة شبابنا اليوم الذين يسافرون إلى بلاد الغرب، فإنهم مع شدة حرصهم على المحافظة على لغتهم العربية، وتعليمها لأبنائهم، فإن هؤلاء الأبناء تكون صلتهم باللغة العربية ضعيفة، وهي عند أبنائهم أضعف. وهكذا حتى تزول اللغة بين الأجيال اللاحقة.

من الممكن أن تتحول الشعوب التي حكمتها الدولة العثمانية إلى اللغة العربية لو أن الدولة العثمانية جعلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية. ولكنها العصبية التي حالت دون ذلك. ومع هذا فإن اللغة التركية اليوم. لا تزال تحمل بين طياتها ما يقارب أربعين بالمئة من مفرداتها.



بين المسعودي بما لا يقبل الشك في أكثر من موطن أن الأكراد حالوا عن لغتهم العربية، وصارت لغتهم أعجمية. وهناك نص يعضد المقولة بأن من جاور قومًا دخل فيهم، واكتسب منهم. إذ يروي ابن خلكان عن قبيلة إياد، وهي قبيلة عظيمة من قبائل العرب. فيقول: "وإياد قوم خروجهم من اليمن فصاروا إلى السواد فألحت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا، وجهل الناس أنسابهم".

ولقد كان من الممكن أن تتحول الشعوب التي حكمتها الدولة العثمانية إلى اللغة العربية لو أن الدولة العثمانية جعلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، ولكنها العصبية التي حالت دون ذلك، ومع هذا فإن اللغة التركية اليوم، على الرغم من كل حملات التتريك والتغريب لا تزال تحمل بين طياتها ما يقارب أربعين بالمئة من مفرداتها.

ولقد بين المسعودي بما لا يقبل الشك في أكثر من موطن أن الأكراد حالوا عن لغتهم العربية، وصارت لغتهم أعجمية، فهو يقول في ج٢/١٢٢: «وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية». وهو يقول في ج٢/١٢٣: «ومنهم من رأى أنهم من ربيعة، ومضر وقد اعتصموا في الجبال طلبًا للمياه والمراعي فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم».

وهناك نص يعضد المقولة بأن من جاور قومًا دخل فيهم، واكتسب منهم. إذ يروي ابن خلكان عن قبيلة إياد، وهي قبيلة عظيمة من قبائل العرب، فيقول: «وإياد قوم خروجهم من اليمن فصاروا إلى السواد فألحت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا، وجهل الناس أنسابهم».

ولا يخفى أن الأنساب عند العرب كانت من الأهمية بمكان، وأن قبيلة تفقد أنسابها لا ريب ستفقد لغتها بين جميع الروم.

ومن المسلم به أن الأكراد امتدوا على أصقاع واسعة، وبلاد شاسعة، ومناطق كبيرة، وأنهم كانوا يعيشون في بلاد الموصل وأربل وميافارقين، وحتى بلاد سنجار فسجستان، وأذربيجان، وبلاد الكرج، وهراة، وجبال همذان، وشهرزور، والزاب الكبير، وأن قسمًا منهم هاجر إلى بلاد الشام ومصر.

وقد عرف العصر العباسي قبائل شتى للأكراد(١٧) أكثرها سميت باسم الأماكن التي سكنتها: كالهكارية وهم الذين يسكنون الهكارية وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل، والمازنجانية الذين سكنوا مناطق مازنجان وبيروه وسحمة، وهم طائفة من المحمدية، وأضيف إليهم الحميدية الذين كان أميرهم مارز الدين كك وكان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية ومن ديوان الخلافة لقب بمبارز الدين، وإنما اسمه كك والبالكانية باسم قريتهم بالكان والجولمركية، وقد نسبوا إلى جولمرك فعرفوا به. ويقال: إنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا بهذه الجبال عند غلبة بني العباس عليهم، وأقاموا بين الأكراد فانخرطوا في سلكهم، والجولمركية من أكثر الأكراد عددًا، وامنعهم مسكنًا، إذ يقعون على هضبة واسعة زراعية فيها كهوف ويحيط بها نهر الزاب الكبير، وهي منطقة ثلجية، والأكراد الكواردات، ينتسبون إلى بلاد كواردات،





منظر طبيعي في كردستان

والأكراد الدينارية نسبة إلى بلاد الدينار.

وهناك أقوام من الأكراد لا ينتسبون إلى أماكن إقامتهم كالقرياوية، والحسنانية، والكلالية، والزنكلية، واللوسية، والباسرية، والقرياوية، والروادية، وهم بطن من الهزبانية(١٨). على أن أكبر القبائل الكردية في العصر العباسي كانت الهكارية، والزرزارية، والمحمدية، والهزبانية، والكورانية، والقرياوية، والجولمركية.

ويظهر أن الهكارية قد حافظوا على أنسابهم العربية، إذ نجد ابن خلكان (١٩) حين يترجم لشيخ الإسلام الهكاري يقول: هو شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الهكاري الملقب شيخ الإسلام، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، والهَكّاري بفتح الهاء

الثابت تاريخًا أن الأكراد قد نبغ منهم علماء عظام وفقهاء ومحدثون وشعراء كلهم يدين بالإسلام. وقد ذكرنا أسماء بعضهم مطلع البحث مثالاً. وليس استقصاءً. وأن الأكراد في غلبتهم سنيون على مذهب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة. وأن الشيعة منهم قليل. وإنما أصابهم التشيع من دخول بعض الأكراد بلاد العجم.

وتشديد الكاف وبعد الألف راء هذه النسبة إلى قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحـ ون وقرى من بلاد الموصل من جهتها الشرقية.

ما دينهم؟

وإتمامًا للحديث فإننا نسأل ما دين الأكراد؟

لا ريب أن الأكراد قد دخلوا في الإسلام كما دخل غيرهم من العرب؛ والذي يدعونا إلى القول «غلبة» فليس «كل» نص يورده ابن خلكان يدفعنا إلى التردد، ونثبته على مسؤولية ابن خلكان، وهو: «قال أحمد بن الحكم: قال لي يعقوب (الصفار) أخبرني عن علي بن الحسين أمسلم هو؟! قلت: نعم. قال: أفرأيت مسلمًا يوجه بالأكراد الكفار إلى بلاد المسلمين فيقتلونهم، ويحملون نساءهم، ويأخذون أموالهم؟! ألم تعلم أن أحمد بن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمئة إنسان على دم واحد، وافتض الأكراد مئتي بكر من أهل البيوتات، وحملوا معهم نحو ألفي امرأة إلى بلادهم، أرأيت مسلمًا يرضى بهذا؟!»[٢٠].

وأكبر ظني أن المقصود بكلمة «الأكراد الكفار» ليس الإخراج من الملة، وإنما أن هذه الأعمال تشابه أعمال الكفار، أو أنها من الكفر العملي لا الاعتقادي.

ومن الثابت تاريخًا أن الأكراد قد نبغ منهم علماء عظام وفقهاء ومحدثون وشعراء كلهم يدين بالإسلام، وقد ذكرنا أسماء بعضهم مطلع البحث مثالاً، وليس استقصاءً، وأن الأكراد في غلبتهم سنيون على مذهب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة، وأن الشيعة منهم قليل، وإنما أصابهم التشيع من دخول بعض الأكراد بلاد العجم.

المراجع والهوامش

١. وفيات الأعيان لأحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافية - بيروت، ج٢/٢٤٢، ج٣، ٢٤٣، ج٥/٢٩٧.
٢. نهاية الأرب لشهاب الدين النويري، طبعة مصورة عن دار الكتب، ج٢/٣٢٤.
٣. مروج الذهب لعلي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة - لبنان، ح٢/١٢٢.
٤. صبح الأعشى للقلقشندي، مصورة عن المطبعة الأميرية - القاهرة، ج٢/٢٥٠.
٥. معجم البلدان (القفص) لياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ج٢/٣٣٦.
٦. الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هرون، مطبعة السنة المحمدية.
٧. القصد والأمم في انساب العرب والعجم، ابو عمر بن عبدالبر، المتوفى سنة ٣٤٦هـ.
٨. معجم لسان العرب، دار صادر، (كرد).
٩. وفيات الأعيان ج٦/٤٠٧.
١٠. نهاية الأرب ج٢/٣٢٤.
١١. المسالك ٢/٣٠٥.
١٢. وفيات الأعيان ج٧/١٨.
١٣. صبح الأعشى ج٤/٣٧٣ - ٣٧٤.
١٤. صبح الأعشى ج٤/٣٧٦
١٥. صبح الأعشى ج٤/ ٣٧٦ - ٣٧٧.
١٦. وفيات الأعيان ج ١/١٦٩.
١٧. كل ما سنذكره من أسماء قبائل واقوام الأكراد مستقى من كتاب صبح الأعشى ح٤/٣٧٣ - ٣٧٩.
١٨. وفيات الأعيان ج٧/١٣٩.
١٩. وفيات الأعيان ج ٣/٣٤٥.
٢٠. وفيات الأعيان ج٦/٤٠٧ وتاريخ الواقعة سنة ٢٥٥.







الصورة المشوهة لإله المسلمين عند الغرب:
الرحمة أم القسوة؟

بسام ساعي

أوكسفورد ـ بريطانيا

أوّل سؤال يواجهنا ونحن نتحدث عن صفات القوّة الأعلى والمطلقة في هذا الكون هو: ما نوع السلطة التي يظنّ الإنسان أنّها أفضل لإقامة العدل والسلام والاستقرار في الأرض ـ أهي السلطة القاسية التي لا تعرف إلا القليل من الرحمة.

. أم هي السلطة الرحيمة التي لا تعرف إلا القليل من القسوة.

أم هي السلطة الفائقة القسوة ولا تعرف شيئًا من الرحمة،

. أم هي السلطة الفائقة الرحمة ولا تعرف شيئًا من القسوة.

. أم هي السلطة التي تجمع بين قسوةٍ لا حدود لها ورحمةٍ لا حدود لها؟

أيّ هذه الأنواع الخمسة من أصحاب السلطة يمكن أن تكون دولته أكثر استقرارًا، ورعاياه أكثر أمانًا، ومستقبل أمته أكثر ازدهارًا؟

من كان متطرفًا منّا، يمينًا أو يسارًا، ربّما اختار النوع الأول أو الثاني، تبعًا لاتّجاه تطرّفه، ومن كان مثاليًا أو غير واقعيٍّ ربّما اختار الثالث أو الرابع، تبعًا لاتجاه مثاليته، أمّا من كان واقعيًا وعقلانيًا فمن المرجح أن يختار الخامس.

احترام وفاعلية

وبديهي أن سلطة أية دولة ستكون أكثر احترامًا وفاعلية إذا جمعت بين أكبر قدر من الشدة مع أكبر قدر من الرحمة والعدالة، وحملت قوانينها أشدّ أنواع العقوبات جنبًا إلى جنب مع أسخى أنوع المكافآت، ولم



تميّز في كلّ هذا بين كبير او صغير، او غنيٍّ او فقير، أو قويٍّ او ضعيف، او ابيض او أسود، مع الحفاظ على قدرٍ لا حدود له ايضًا من العدالة والتفهّم لمجريات الأمور، والتمهّل في إصدار الحكم لإعطاء المتهم أكبر قدرٍ ممكن من الفرص للتراجع عن جريمته أو أخطائه لمنحه العفو والغفران.

ولو عدنا إلى صفات الله تعالى في القرآن والحديث لوجدنا نموذجًا للمعادلة الصعبة التي تجمع بين أقصى درجات الرحمة والعفو والمكافأة وأقصى درجات الشدة والعقوبة والجزاء، كلّ ذلك في ظل أدقّ أنواع المحاسبة والتحرّي لإحقاق العدالة المطلقة.

فأيّ قانون واقعيّ يقبل أن يساوي بين المحسن والمسيء، فيعطي هذا بقدر ما يعطي ذاك، ويأخذ من هذا بقدر ما يأخذ من ذلك؟ وكيف سيكون انعكاس قانون كهذا على الآخرين الذين ما زالوا ينتظرون أن يتخذوا قرارهم الأخير: أيكونون من المحسنين أم من المسيئين؟

كيف سيكون انعكاس العفو المفرط، أو العقوبة المفرطة، على من تحدثه نفسه دائمًا بالشرّ. ومن ثمّ إلى

أيّ مدى سيتردّد المجرم في ارتكاب جريمته إذا عرف أن القانون لا يفلت من يده مذنب، ومن رقابته هارب، وأنّ العقوبة، بعد كلّ هذا وذاك، ستكون أقصى أنواع العقوبة على الإطلاق؟ وأنّ المكافأة، لو أحسن استخدامها، ستكون أقصى أنواع المكافأة على الإطلاق؟

جنة وجهنم

أمّا أقصى أنواع العقوبة في الإسلام كما هي في الديانات السماوية جميعًا فجهنم، وأمّا أقصى أنواع المكافأة كما هي في الديانات السماوية جميعًا، فالجنة.

والواقع أن ورود ذكر جهنم في الإنجيل، وذكر الجنة أيضًا، أقلّ بكثير من ذكرهما في القرآن، وفي التوراة أقلّ منهما في الإنجيل، ولكنّ جهنم، بهولها وفظاعتها وخلودها، تبقى هي جهنم في الكتب الثلاثة، كما تبقى الجنّة بنعيمها وخلودها هي الجنة، قل ذكرها في هذه الكتب أو كثر.

وعلى الرغم من التفاصيل القليلة التي يوردها الإنجيل عن وصف جهنم فبإمكاننا، بسهولة، أن ندرك التطابق الكبير بينها وبين جهنم التي يصفها القرآن:

- «ابتعدوا عنّي يا ملاعين إلى النار الأبدية المُهيأة لإبليس وأعوانه» (متى: ٤١:٢٥).

- «فإذا عَرَضتْكَ يَدُكَ للخطيئة فاقطعها. لأنه خير لك أن تدخل الحياة (الجنة) ولك يدٌ واحدة، من أن تكون لك يدان، وتذهب إلى جهنم، إلى نار لا تنطفئ حيث الدُودُ لا يموتُ والنارُ لا تنطفئ (مرقس: ٩: ٤٣).

- «ومات الفقير فحملتْه الملائكة إلى جوار إبراهيم، ومات الغني ودُفن، ورفَع الغنيُّ عينيه وهو في الجحيم يقاسي العذابَ، فرأى عن بُعد ولَعازر بجانبه. فنادى: ارحمني يا أبي إبراهيم، وأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه في الماء ويُبرّد لساني: لأنّي أتعذب كثيرًا في هذا اللهيب. فقال له إبراهيم، تذكر يا ابني أنك نلتَ نصيبك من الخيرات في حياتك، ونال لعازر نصيبه من البلايا، وها هو الآن يتعزّى هنا، وانتَ تتعذب هناك، وفوق كلّ هذا فبيننا وبينكم هُوة عميقة لا يَقدِرُ أحد أن يجتازها من عندنا إليكم، ولا من عندكم إلينا (لوقا: ١٦: ٢٢ - ٢٦).

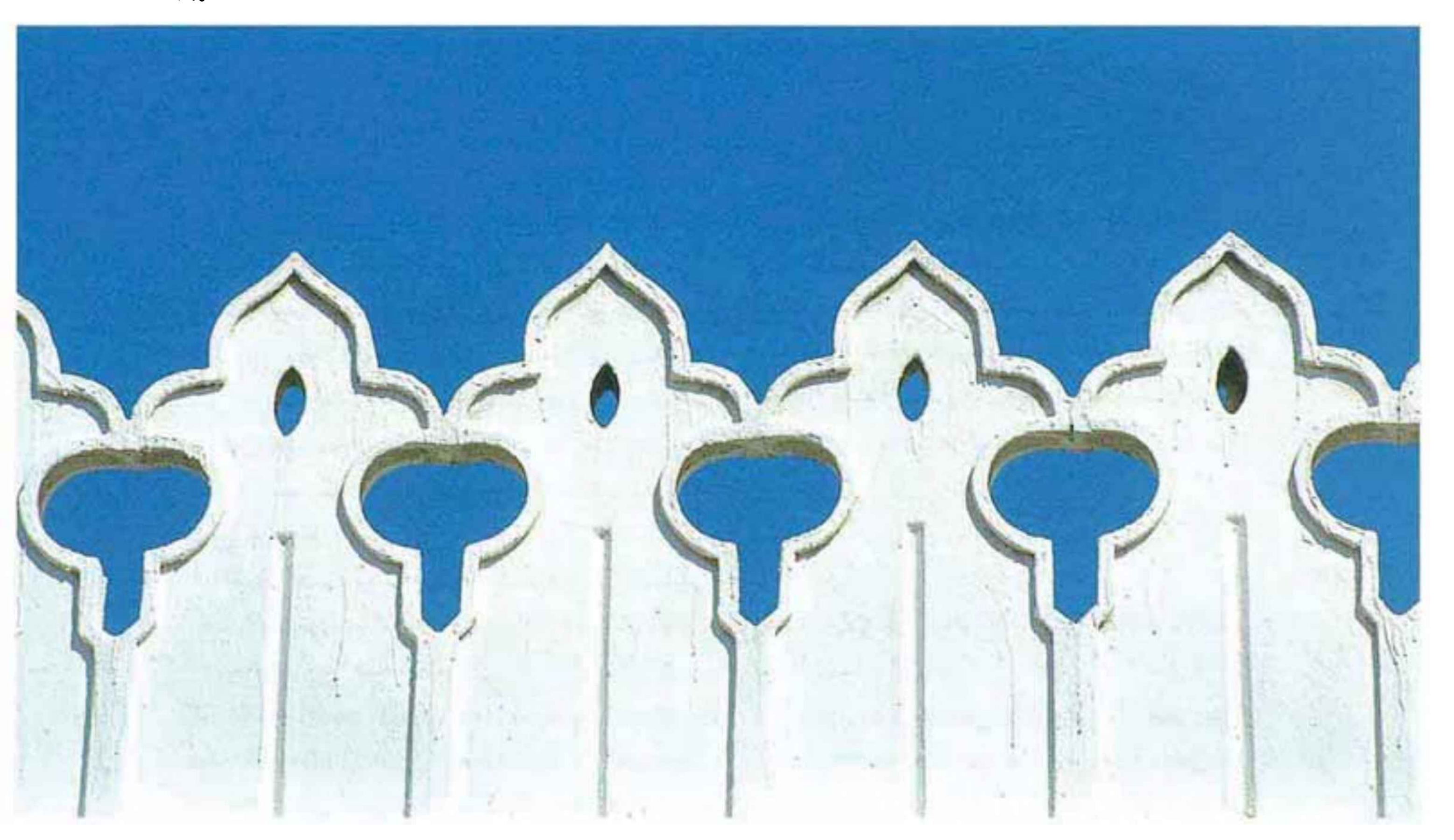
«وأُلقي إبليس الذي ضلّلهم في بحيرة النار والكبريت، حيث كان الوحشُ والنبيُّ الكذّاب، ليتعذبوا كلهم نهارًا وليلاً إلى أبدِ الدهور». (رؤية يوحنّا: ١٠:٢٠).

ومن السهل أن نتبيّن التشابه الواضح بين وصف القرآن لجهنّم، وكذلك وصف المواقف التي يتعرّض لها المعذّبون فيها، ووصف الإنجيل لها. ولاحظ مدى التشابه مثلاً بين ما يجري بين الفقير والغني في نصّ إنجيل لوقا السابق، وما يجري بين أصحاب النار وأصحاب الجنة في هذه الآية:

- ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله قالوا إن الله حرّمها على الكافرين﴾ (الأعراف:٥٠).

وليس هناك موضعٌ للخلاف حول ما إذا كان الله في الإنجيل أرحم منه في القرآن، أو العكس. فالجنّة هي الجنة، والنار هي النار، والله هو هو في الديانات الثلاث، مع تأكيد الإسلام أنّها جميعًا دينٌ واحد، وعلى ملّة إبراهيم.

دأب كثيرٌ من الغربيين على توجيه تهمة لنا ولإلهنا، وكأنه ليس إلههم. فيقولون: لماذا اخترتم هذا الإله القاسي الذي يحرق ويعذّب، وينتقم، ولمَ تختاروا إلهًا كإلهنا بمحبّته، وتسامحه وغفرانه؟



. ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتيَ موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون مِنْ ربِّهم لا نفرِّقُ بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾ (البقرة:١٣٦).

. ﴿ثم أوحينا إليك أنِ اتّبِعْ ملّةَ إبراهيمَ حنيفًا وما كان من المشركين﴾ (النحل:١٢٣).

. ﴿وما جعلَ عليكم في الدين مِن حَرَجٍ ملّةَ أبيكم إبراهيم هو سمّاكمُ المسلمين مِن قَبلُ﴾ (الحج:٧٨).

ومع وجود هذا التقارب الواضح، والبديهيّ مع ذلك، بين صفات الله في الديانات الثلاث، وصفات جنّته وناره، وعقابه، يصرّ من يصرّ على أن «إله المسلمين» قاسٍ لا يعرف الرحمة، فهل هذا صحيح؟

إن سلطة أية دولة ستكون أكثر احترامًا وفاعلية إذا جمعت بين أكبر قدر من الشدة مع أكبر قدر من الرحمة والعدالة. وحملت قوانينها أشدّ أنواع العقوبات جنبًا إلى جنب مع أسخى أنواع المكافآت

إلهنا إلههم

لقد دأب كثيرٌ من الغربيين على توجيه تهمةٍ لنا ولإلهنا، وكأنه ليس إلههم، فيقولون: لماذا اخترتم هذا الإله القاسي الذي يحرق ويعذّب، وينتقم، ولمَ تختاروا إلهًا كإلهنا بمحبّته وتسامحه وغفرانه؟ إنهم يعتقدون

حقًا أنّ إلهنا غير إلههم.

وكم -سألت الله العفو لأولئك المسلمين الذين قدّموا للغرب صورةً مشوّهة عن «إلهنا» بإبرازهم جانبَ الشدّة عنده تعالى دون الرحمة، والعذاب دون الإحسان، والانتقام دون المغفرة، وباهتمامهم بالحديث عن جهنم وأهوالها دون الجنّة وأفراحها. واستحضرتُ «عناوين» السور القرآنية، فلم أجد إلا هذه الكلمات الأربع (بسم الله الرحمن الرحيم) عنوانًا تُفتح به ١١٣ سورة من أصل ١١٤.

لقد أضاف تعالى إلى اسمه في هذا العنوان المتكرر صفتين مشتقتين من الرحمة، وما كان أسهل أن يستبدل بهما صفتين أخريين، فيقول مثلاً: (بسم الله المنتقم الجبار) أو يجمع بين الرحمة والقوة معًا فيقول: (العزيز الرحيم) . كما في الآية ٢١٧ من سورة الشعراء . وهو الذي تبشّر آياته الكريمة بأنّ رحمته وسعت كلّ شيء، وتُهيب بأولئك الذين أسرفوا على أنفسم الاّ يقنطوا من رحمة الله، وتُطمْئنهم بأنه هو الذي يغفر الذنوب جميعًا، وأنّه هو الغفور الرحيم:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمة الله، إن الله يغفرُ الذنوب جميعًا إنّه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر:٥٣).

﴿إنّ الله لا يغفرُ أن يُشرَكَ به ويَغفرُ ما دون ذلك لِمن يشاء﴾ (النساء:٤٨).

- ﴿وإذا سألك عبادي عني فإنّي قريب أجيبُ دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة:١٨٦).

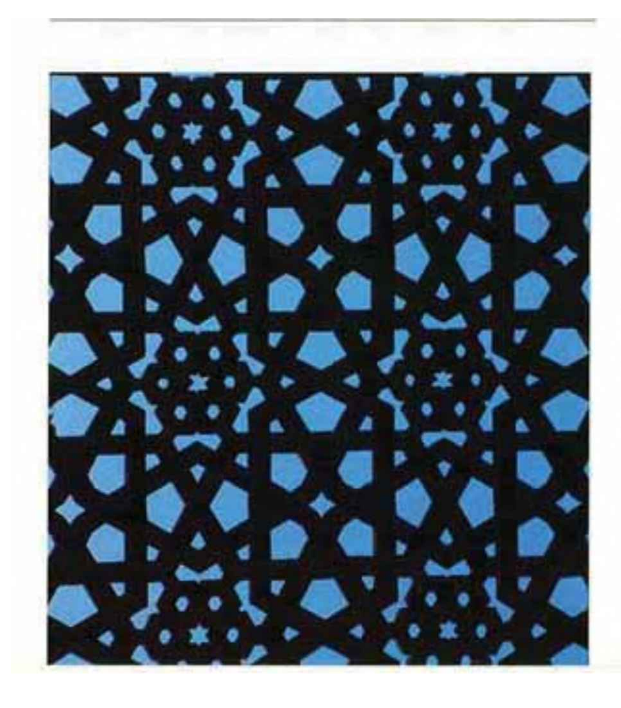
نعم إنّه السلطة القوية التي تفرض هيبتها على العالم، حتّى لا تحدّث الشرّير نفسه بالشر، ولكنّه أيضًا الغفور الرحيم الذي يقيم المعادلة الإلهية بين العقوبة والمغفرة، بل أكثر من هذا إنّه يبشّر المؤمنين به في أكثر من حديثٍ قدسيّ بأن أحد طرفي هذه

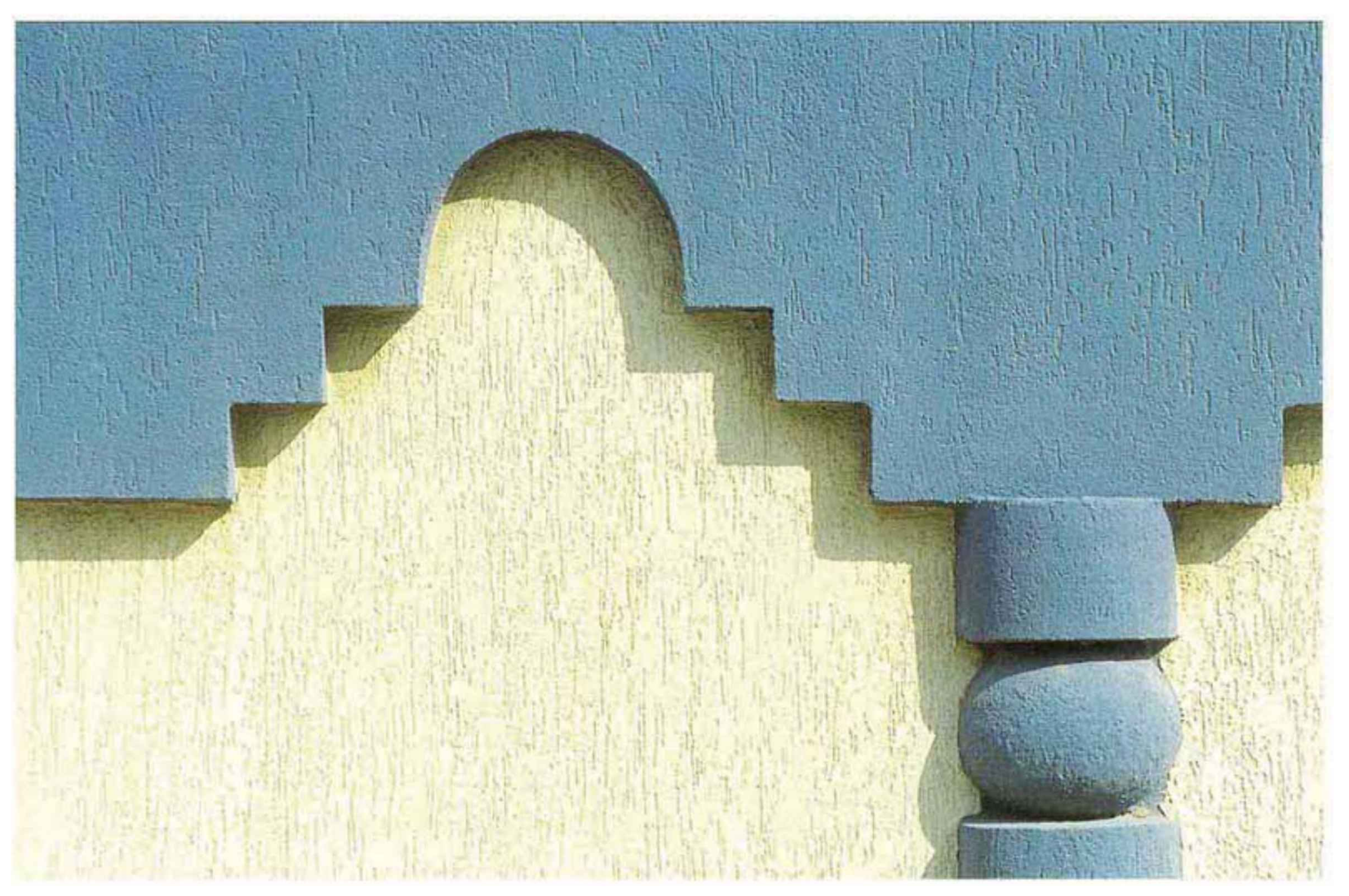
هل هناك صورة أكثر تجسيمًا لرحمة الله لعباده، وحرصه على ألاّ تمسهم ناره، حرصًا يزيد على حرص الأمّ على ولدها، وهي التي يستحيل أن ترمي به إلى النار؟ ولا يكتفي الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة المؤثرة، بل يضع أمامنا على الطاولة حسابات بالأرقام لحجم الرحمة الإلهية

المعادلة، وهو جانب الرحمة، يرجح عنده دائمًا على جانب الشدّة والعقوبة:

. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لما قضى اللهُ الخَلْقَ كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي﴾ (رواه أحمد).

. عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت بنو إسرائيل لموسى: هل يصلي ربُك: فقال موسى: اتقوا الله يا بني





إسرائيل، فقال الله: يا موسى، ماذا قال لك قومك؟ قال: ياربِّ ما قد علمتَ، قالوا: هل يصلّي ربُّك؟ قال: فأخبرهم أن صلاتي على عبادي أنْ تسبِقَ رحمتي غضبي، لولا ذلك لأهلكتُهم» (رواه ابن عساكر).

صورة مؤثرة

ولعلّ أقرب صورة يمكن أن تجسم لنا رحمة الله بعباده من وجهة نظر الإسلام تلك الحادثة التي فقدت فيها إحدى الأسيرات من مشركي العرب رضيعها في أثناء المعركة، ثمّ عثرت عليه بعد ذلك بين أيدي المسلمين فكان لنا من تلك الواقعة هذه الصورة:

. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال: «قدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم سَبْي، فإذا امرأة من السبْي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدتْ صبيًّا في السبْي أخذته فالصقته ببطنها، وأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتُرون هذه المرأة طارحةً ولدَها في النار؟ قلنا: لا والله، فقال: للّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها» (متفق عليه).

هل هناك صورة أكثر تجسيمًا لرحمة الله لعباده وحرصه على ألاّ تمسهم نارُه، حرصًا يزيد على حرص الأمّ

على ولدها، وهي التي يستحيل أن ترمي به إلى النار؟

ولا يكتفي الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة المؤثرة، بل يضع أمامنا على الطاولة حسابات بالأرقام لحجم الرحمة الإلهية، لو استطاع العقل الإنساني استيعاب هذا الحجم:

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن للهِ مئة رحمةٍ أنزَلَ منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطفُ الوحشُ على ولدها، وأخّر الله تعالى تسعًا وتسعين رحمةً يرحمُ بها عباده يوم القيامة» (متفق عليه).

وهل أبلغُ في تأكيد الله لحجم هذه الرحمة من الحديث الذي يتحدث عن عتاب منه تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه استرسل مرّة لأصحابه في التحدّث عن جانب العذاب في الآخرة دون جانب الرحمة، وكأن الله، الذي قال لنبيّه في كتابه: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧) أراد أن يصون هذه الصورة الرحيمة لذاته ولنبيّه ولدينه، في نفوس المسلمين خاصّة، والناس عامّة، فينبّه نبيّه الكريم إلى أهمية الحفاظ على تلك الصورة:

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم على رهطٍ من أصحابه وهم يضحكون، ويتحدّثون فقال: والذي نفسي بيده، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ثمّ انصرف، وأبكى القومَ. وأوحى الله إليه: يا محمد لِمَ تُقنِطُ عبادي؟ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشروا، وسدّدوا وقاربوا» (البخاري في الأدب المفرد).

وهذه الرحمة في الإسلام لا تقتصر على العلاقة بين الله وعباده، بل تتجاوزها إلى ما بين العباد أنفسهم، بعضهم مع بعض، وهي هنا لا تقتصر أيضًا

مع وجود التقارب الواضح، بين صفات الله في الديانات الثلاث، وصفات جنّته وناره، وعقابه، يصرّ من يصرّ على أن "إله المسلمين" قاسٍ لا يعرف الرحمة، فهل هذا صحيح؟

على العلاقة بين المسلمين وحدهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين من قصر التراحم على فئة محدودة من الناس، ويدعوهم إلى رحمة الناس كافّةً، وذلك في أكثر من حديثٍ:

. عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرحم اللّهُ من لا يرحمُ الناس» (رواه مسلم).

. عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشدُّ الناسِ عذابًا للناس في الدنيا، أشدُّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة» (رواه أحمد).

. عن عمرو بن حبيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خاب عبدٌ وخَسِر: مَن لم يَجعَلِ اللّهُ تعالى في قلبه رحمةً للبشر» (رواه أبو نعيم وابن عساكر).

. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رحِمَ ولو ذبيحةَ عصفور رحمه الله يوم القيامة» (رواه البخاري في الأدب).

. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: كلُّنا رحيم، قال: إنه ليس برحمةِ أحدكم صاحبه، ولكنّها رحمةُ الناسِ العامةُ» (رواه الطبراني).



ومن الصعب الآن، وقد تبيّن لنا حجم رحمة الله، أن نعادلها بحجم شدّته أو عقوبته على الرغم من حديثنا السالف عن المعادلة بين الطرفين، وهي معادلة لا أجد شرحًا لها أدق من شرح النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسه في الحديث الشريف.

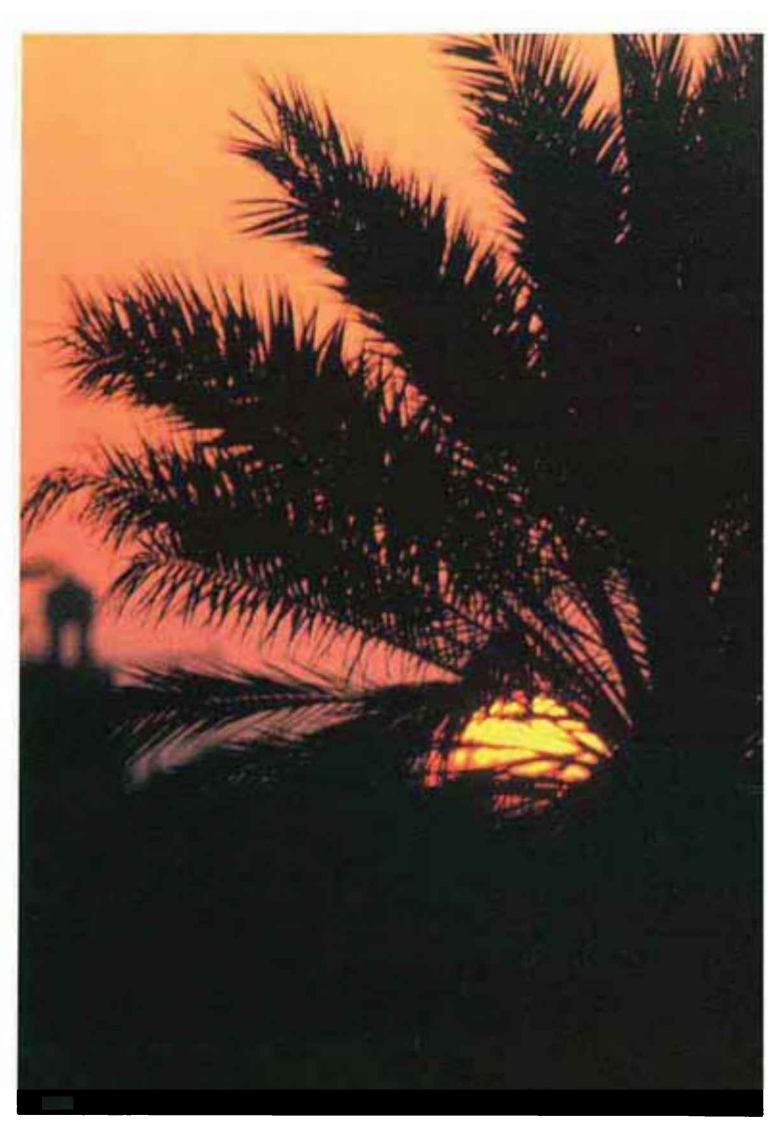
. عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إن ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإنّ ربّكَ لشديدُ العقاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا عفوُ الله وتجاوزُه ما هنأ لأحدٍ العيشُ، لولا وعيدُه وعقابه لا تّكل كلّ أحدٍ» (رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ).

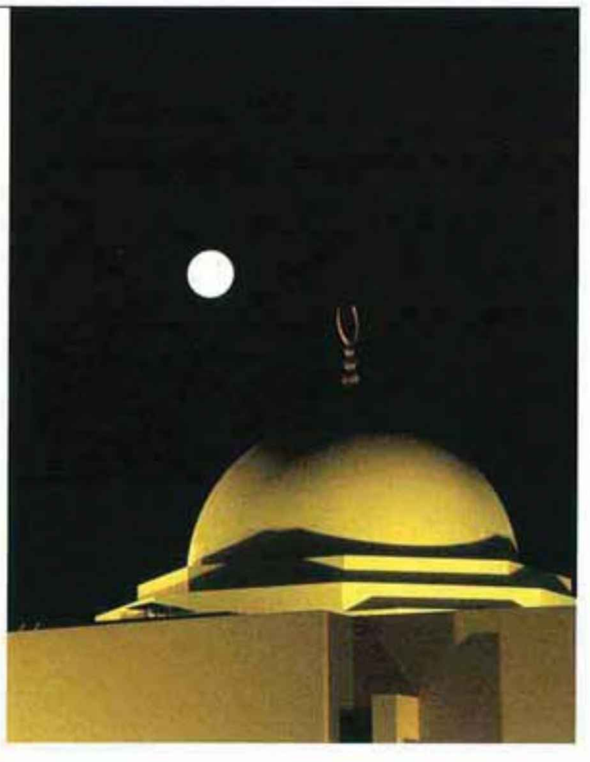
آفاق الرحمة

وأخيرًا لماذا لا نترك للأحاديث النبوية أن تعبّر بنفسها عن آفاق الرحمة في الإسلام، وتعرض أمامنا الصورة التي ارتضاها ربُّ العالمين لنفسه، وحرص نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم على إبرازها في أحاديثه الشريفة:

. عن أبي الدرداء رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن زنى، وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ فقال الثالثة: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: نعم، وإن رَغِمَ أنف أبي الدرداء» (رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم).

. عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيّرتُ بين الشفاعة وبين أن يدخلَ شطرُ (اي نصفُ) أمّتي الجنّة: فاخترتُ الشفاعة: لأنها أعمُ وأكفى، أتُرونها للمؤمنين المتّقين؟ لا، ولكنّها للمُذْنبين





المتلوِّثين الخطّائين» (رواه ابن ماجه).

. عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليدخُلَنَّ الجنة الفاجرُ في دينه، الأحمقُ في معيشته، والذي نفسي بيده ليدخُلَنّ الجنّة الذي مَحَصته النارُ بذنبه، والذي نفسي بيدي ليدخُلَنّ الجنّة الذي محصتْه النارُ بذنْبه، والذي نفسي بيده ليَغْفِرنّ الله يوم القيامةِ مغفرةً يتطاول لها إبليس رجاءَ أن يُغفر له، والذي نفسي بيده ليَغْفِرنّ الله يوم القيامةِ مغفرةً لا تَخطرُ على قلب بشر» (رواه الطبراني).

. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قال إبليس لربه: بعزّتك وجلالك، لا أبرَحُ أُغوي بني آدم ما دامت الأرواحُ فيهم، فقال له ربّه: بعزتي وجلالي، لا أبرحُ اغفرُ لهم ما استغفروني» (رواه أبو نعيم).

عن حذيفة وأبي مسعود رضي الله عنهما قالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ رجلاً حضرَه الموتُ، فلمّا أيسَ من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حَطبًا كثيرًا جزْلاً، ثم أوقدوا فيه نارًا، حتّى إذا أكَلَتْ لحمي وخَلَصَتْ إلى عظمي، فامتُحِشْتُ، فخذوها فاطحنوها، ثم انظُروا يومًا راحًا (أي عاصفًا) فاذروها في اليمّ. ففعلوا ما أمرهم. فجمَعَهُ الله، وقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خَشْيَتك. فَغَفَرَ له» (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه).

. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله سيُخلِّصُ رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائقِ يوم القيامة، فينشُرُ عليه

تسعة وتسعين سجلاً، كلُّ سجل مثلُ مَدّ البصر، ثم يقول: أتُنْكر من هذا شيئًا؟ أظَلَمكَ كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقول: لا يارب، فيقولُ: بلى، إنّ لك عندنا حسنةً، وإنّه لا ظُلمَ عليكَ اليومَ. فتُخرَج بطاقةٌ فيها: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: أُحضُرْ وزْنَك، فيقول: ياربِّ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنّك لا تُظلم. فتوضعُ السجلات في كِفّة والبطاقةُ في كِفّة، فطاشت السجلاتُ، وثَقُلَتِ البطاقةُ، ولا يَثْقُلُ مع اسم الله تعالى شيء» (رواه أحمد والترمذيّ والبيهقي).

. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُدنى المؤمنُ يومَ القيامة من ربّه حتّى يضعَ كَنَفَه عليه، فيقرّره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرفُ ذنب كذا؟ فيقولُ: ربّ أعرفُ. قال: فإنّي قد سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم...» (متفق عليه).

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسيٍّ عن الله تعالى: «وما تردّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردّدي عن قَبْضِ المؤمن، يكرهُ الموتَ، وأنا أكرهُ مساءته» (رواه البخاري).

إن ورود ذكر جهنم في الإنجيل، وذكر الجنة أيضًا، أقلّ بكثير من ذكرهما في القرآن، وفي التوراة أقلّ منهما في الإنجيل، ولكنّ جهنم، بهولها وفظاعتها وخلودها، تبقى هي جهنم في الكتب الثلاثة، كما تبقى الجنّة بنعيمها وخلودها هي الجنة، قلّ ذكرها في هذه الكتب أو كثر

. عن عُبادة بن الصامت وفُضالة بن عبيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يومُ القيامة، وفَرَغَ الله تعالى من قضاء الخَلق، فيبقى رجلان، فيُؤمَرُ بهما إلى النار، فيلتفتُ أحدُهما، فيقولُ الجبّارُ تعالى، رُدّوه، فيردونه، فيقول له: لِمَ تلتفتُ؟ فيقول: كنتُ أرجو أن تُدخلني الجنّة، فيُؤمرُ به إلى الجنة. فيقول: لقد أعطاني الله عز وجل، حتّى لو أطعمتُ أهل الجنة ما نَقَصَ ما عندي شيئًا» (رواه أحمد).

. عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصرَّ من استغفر وإن عادَ في اليوم سبعين مرة» (رواه أبو داود والترمذي).

. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أذنب ذنبًا فعَلِمَ أن الله تعالى قد اطّلع عليه غُفر له وإن لم يستغفر» (رواه الطبراني).

. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خبّرني جبريلُ عن الله تعالى أنّه قال: وعِزّتي وجلالي، ووحدانيتي وارتفاع مكانتي، وفاقةِ خلْقي إليّ، واستوائي على عرشي، إنّي لأستحي من عبدي وأمتي يَشيبان في الإسلام ثم أعذبُهما. ثم يبكي، فقيل: يا رسول الله، ما يُبكيك؟ قال: بكيتُ لمن يستحي الله منه ولا يستحي من الله (رواه الخليليّ والرافعي).

. عن المُغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سأل موسى ربه فقال: يارب ما أدنى أهل الجنّة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعدما يدخلُ أهل الجنة، فيقالُ له: ادخلُ الجنّة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتِهم (أي أخذوا ما أخذوه)؟ فيقال له:



أترضى أن يكونَ لك مثلُ مُلْك مَلكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول: لكَ، ومثله، ومثله، ومثلُه، ومثلُه، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرةُ أمثاله، ولك ما اشتهت نفسُك ولَذّتْ عينُك، فيقول: ربِّ. قال: ربِّ فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أرَدتُ، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذُنٌ، ولم يخطرُ على قلب بشرٍ» (رواه مسلم).

- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلمُ آخرَ أهلِ الجنة

الرحمة في الإسلام لا تقتصر على العلاقة بين الله وعباده، بل تتجاوزها إلى ما بين العباد أنفسهم، بعضهم مع بعض، وهي هنا لا تقتصر أيضًا على العلاقة بين المسلمين وحدهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين من قصر التراحم على فئة محدودة من الناس

دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجًا من النار: رجلٌ يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صِغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارَها، فتُعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا، وعملتَ يوم كذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكِرَ، وهو مُشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعرَض عليه، فيقالُ له: فإنّ لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً، فيقول: ياربُّ عَمِلتُ أشياءَ لا أراها ههنا» (رواه مسلم).

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهبَ اللّه بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم» (رواه مسلم).

سألت الله العفو لأولئك المسلمين الذين قدّموا للغرب صورةً مشوّهة عن "إلهنا" بإبرازهم جانبَ الشدّة عنده تعالى دون الرحمة، والعذاب دون الإحسان، والانتقام دون المغفرة، وباهتمامهم بالحديث عن جهنم وأهوالها دون الجنّة وأفراحها

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصاب حداً فعُجلَ عقوبتهُ في الدنيا فاللّهُ أعدلُ من أن يُثنّي على عبده العقوبة في الآخرة، ومن أصاب حَدّاً فستره الله عليه فالله أكرمُ من أن يعود في شيءٍ قد عفا عنه» (رواه الترمذي وابن ماجه).

. عن المقدام بن مَعْدي كَربَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا حدّثتم الناسَ عن ربهم فلا تُحدثوهم بما يُفزِعُهم ويَشقُّ عليهم» (رواه البيهقي).

. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومُعاذ رديفُه على الرحْل . قال: «يا مُعاذ بن جَبل، قال: لبّيكَ يا رسول الله وسَعدَيك، قال: يا مُعاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسَعْدَيك، ثلاثًا، قال: ما من أحد يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، صِدْقًا من قلبه، إلاّ حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله، أفلا أُخبر به الناسَ فيستبشروا؟ قال: إذنْ يتّكلوا». وأخبر بها مُعاذ عند موته تأثُمًا (أي خشية الإثم من إخفائها). (رواه البخاري).

. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رَجُلَين ممّن دخلَ النارَ اشتد صياحُهما. فقال الربُّ تبارك وتعالى: أخرجوهما، فلمّا أخرجوهما قال لهما: لأيّ شيء اشتدَّ صياحُكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتُلقيا أنفسكما حيثُ كنتما من النار، فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه، فيجعلُها عليه بردًا وسلامًا، ويقوم الآخر فلا يُلقي نفسه، فيقول له الربّ: ما منعك أن تُلقي نفسك كما ألقى صاحبُك؟ فيقول: ياربُّ، إنّي لأرجو أن لا تُعيدني فيها بعدما أخرجتني. فيقول له الرب: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعًا برحمة الله» (رواه الترمذي).



التعليم والنمو الاقتصادي

عبدالله بن محمد بن صالح المالكي

الرياض – السعودية

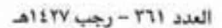
لقد أدرك الاقتصاديون منذ فترة طويلة أهمية العنصر البشري في النمو الاقتصادي، إذ عُدّ جزءًا مهمًا من ثروات الأمم. كما تبين أن تنمية الموارد البشرية والاستثمار في رأس المال البشري عن طريق التعليم والتدريب

أصبحت من الأمور البديهية في مجال الاقتصاد؛ وذلك يعود إلى الأهمية الكبرى للتعليم والتدريب في تطوير الموارد البشرية والإسهام البارز في التنمية الاقتصادية في المجتمع(١)، والأهم من ذلك أن التعليم أصبح عملية استثمارية لا تختلف عن عملية الاستثمار المادي. كما أنه يعدّ من الحاجات الأساسية التي لا غنى لأي فرد من أفراد المجتمع عنه، وبخاصة في يومنا الحاضر(٢). إضافة إلى أن الدور الذي يقوم به التعليم في الاقتصاد أصبح من الأمور المستقرة في أذهان الاقتصاديين في الوقت الحاضر.

وينظر الفرد والمجتمع إلى التعليم على أنه عملية مشابهة للإنتاج المادي الرأسمالي للسلع، من حيث إن كلاً منهما يتطلب استخدام الإمكانات والمباني والأجهزة والمهارات، وغيرها على فترة طويلة، وكذلك فإنهما يؤديان خدمات خلال فترة من الزمن. ومع ذلك فإن قوة رأس المال المادي وتأثيره يرتبطان ارتباطًا قويًا بقدرات الأفراد ومهاراتهم، وبما أن التعليم هو الطريق إلى تكوين مهارات الأفراد وقدراتهم فإنه يعدّ، بناء على ذلك، الأساس في التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وفي إحداث التنمية



الشاملة. ولمعرفة مكانة التعليم وأهميته في تكوين رأس المال البشري لا بد من عقد مقارنة بينه وبين الموارد الطبيعية (مثل الأراضي الزراعية، والموارد المعدنية وغيرها). إن هذه الموارد لمفردها ودون استغلال لا يمكن أن تؤدي إلى إنتاج مفيد، فلا بد من تدخل الأفراد في استثمار طاقات هذه الموارد وتوجيهها حتى تصبح نوعًا من رأس المال. فالموارد البشرية تمثل القوى الرئيسة لإحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي لا تتحول إلى قوة بالفعل إلا بواسطة التعليم. وفي ذلك يشير (الهيتي، ١٩٩٨م)(٣) إلى أن الموارد البشرية تمثل القاعدة الرئيسة لثروة الأمم، ومن دونها تفقد العوامل الإنتاجية الأخرى قيمتها، وتصبح غير فعالة، فهي تمثل عناصر فعالة ونشيطة في تكوين رأس المال، وبناء التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودفع عجلة التنمية الشاملة إلى الأمام. وقد عبر الكاتب (برنال) عن أهمية العنصر البشري للتنمية حين قال: «إن المصدر الحقيقي لثروة الأمة لم يعد في امتلاك الخامات، أو قوة العمل، أو في امتلاك الآلات، وإنما في امتلاك قاعدة بشرية عملية وتكنولوجية مثقفة»(٤).



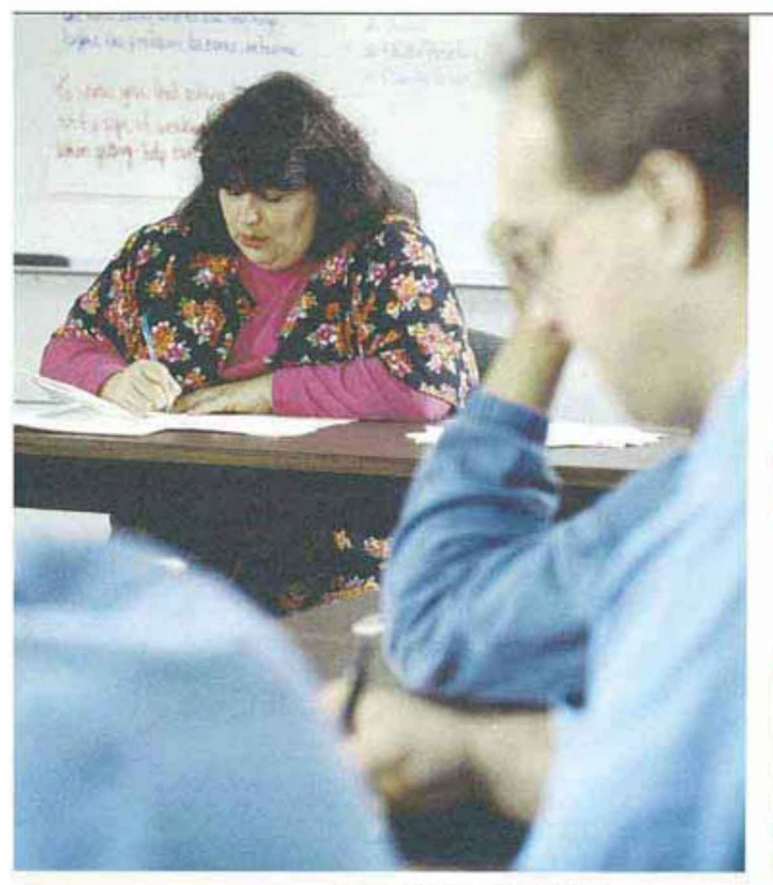




الدول العربية في حاجة ملحة إلى تنمية الكفاءات البشرية

ومن المعالم المميزة لهذا العصر سعي الجمهور ـ بشكل عام ـ في الحصول على التعليم والتزود بالمعارف المتجددة لدرجة أن المطالب المتعلقة بالتعليم لا تقل في الأهمية عن تلك المطالب التي تتعلق بالحاجات الضرورية، إذ إن المستوى المعيشي يقترن اقترانًا وثيقًا بالمستويات الثقافية والعلمية التي يصل إليها الأفراد. فوجود الأميين بنسب كبيرة في منطقة ما من العالم يمثل نتيجة وسببًا للتخلف الاقتصادي، كما أن دراسة العلاقة التبادلية بين التعليم والاقتصاد تعدّ على جانب كبير من الأهمية كوسيلة لفهم القوانين التي تحكم تطور التعليم، والجهود الرامية إلى الارتفاع بالمستوى الثقافي للأفراد. يرى جبلز أن هناك سببين للاعتقاد بأهمية التعليم: الأول: أن هناك طلبًا جماهيريًا كبيرًا على التعليم، وبخاصة التعليم العام، وذلك في جميع دول العالم المتقدمة والنامية على السواء(٥). والثاني: للعلاقة الواضحة والقوية بين التعليم والدخل على المستوى الفردي والاجتماعي(٦). ويرتبط التعليم ارتباطًا وثيقًا بالاقتصاد، فهو يعتمد على مستواه، وعلى سرعة تطوره. إذ إن نشر التعليم من خلال التوسع في المراحل المختلفة للتعليم يعني ضرورة توفير الأموال (التكاليف) التي يعدّ الاقتصاد المصدر لها. كما أن التكاليف اللازمة لتطوير التعليم ونشره بشكل أكبر لا يمكن أن تتوافر إلا من خلال ما يتوافر للاقتصاد القومي من انتعاش وازدهار: أي: أن نمو التعليم مرهون بنمو مماثل

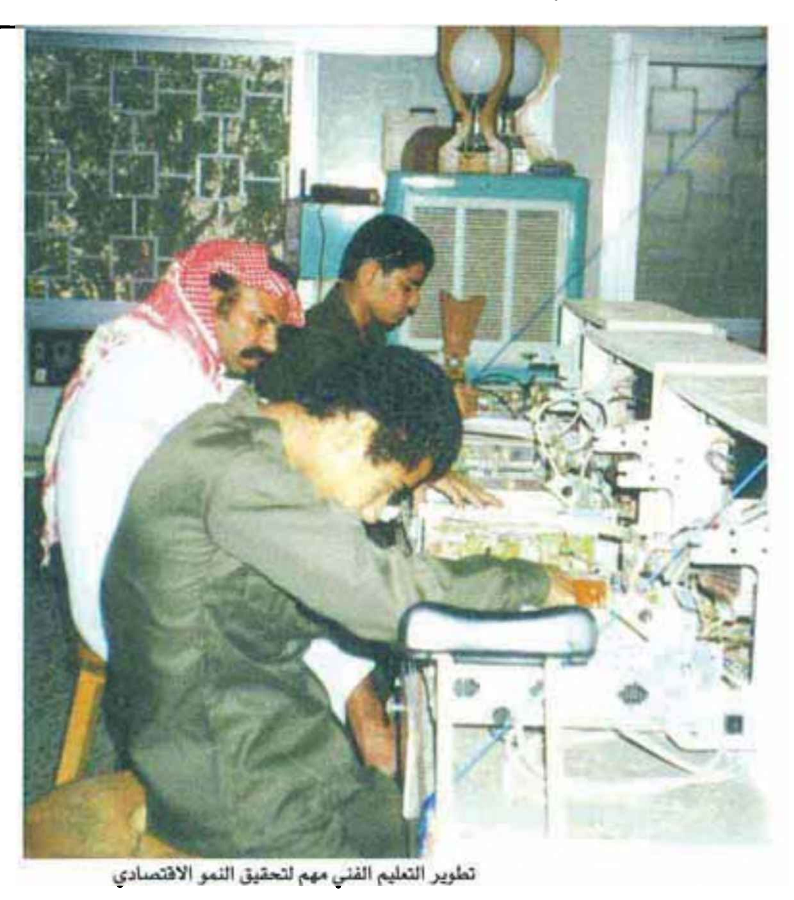






التعليم يؤدي إلى زيادة إنتاجية الفرد

في الاقتصاد. «فالنظام الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات يكون الأساس المادي للنظام التعليمي، فكلما ارتفع المستوى الاقتصادي وزاد الدخل القومي من فروع الاقتصاد، توافرت الأموال اللازمة لتطوير التعليم والتوسع فيه. ثم إن المجال الاقتصادي يمثل السوق الرئيسة لطاقة العمل، فنمو الاقتصاد يتضمن وفرة ميادين العمل التي تزيد بدورها من الدخل القومي، ودخل الأفراد على السواء»(٧). ومن ناحية أخرى فإن تطور التعليم يعدّ مطلبًا لتطور الاقتصاد وتقدمه؛ لأن التقدم التكنولوجي في مجال الإنتاج يتطلب ضرورة مراجعة نظم التعليم ومناهجه؛ أي: أن قطاعات الإنتاج المختلفة من زراعة وصناعة تحتاج إلى عاملين ذوي مستوى عال من التعليم والتدريب؛ وذلك يعود طبعًا إلى التطور الاقتصادي، والتقدم العلمي في الإنتاج. كما أن حاجة هذه القطاعات الاقتصادية المختلفة إلى العمالة المختلفة - من مهندسين وباحثين وخبراء ومديرين وغيرهم - المدربة تدريبًا عاليًا تزداد، وذلك يعود إلى متطلبات الإنتاج الحديث المعتمد على التقدم العلمي، ومع استمرار التقدم الفني والعلمي يرتفع مستوى العمال إلى الحد أو المستوى المطلوب. وهذا يعني - باختصار - أن التوسع في التعليم، والارتقاء بمستواه (الاهتمام بالنوعية) سيكونان عاملاً مباشرًا في تطور الإنتاج، ومن ثم تطور النظام الاقتصادي، أو بمعنى أصح الاقتصاد القومي. ويمكن إيضاح ذلك من خلال النظر إلى


تطوير التعليم الفني مهم لتحقيق النمو الاقتصادي

العلاقة بين المستوى التعليمي والثقافي للمجتمع ومستوى التطور الاقتصادي، فبينما نجد أن الدول المتقدمة اقتصاديًا تتمتع بمستوى عال من التعليم والمعيشة بشكل عام، والدول المتوسطة في تطويرها تعدّ متوسطة في مستويات المعيشة والتعليم، نجد أن الدول المتخلفة اقتصاديًا تتمتع بمستويات منخفضة في المعيشة والتعليم. وبشكل عام يمكن الحكم على التطور الاقتصادي القومي لأي مجتمع من المجتمعات من خلال تطور مستوى ذلك المجتمع التعليمي والثقافي. ومن أبرز الأمثلة التي تؤكد العلاقة بين تطور التعليم والنمو الاقتصادي التجربة السوفييتية سابقًا (الروسية)(٨).

كما نجد أن الدول الرأسمالية أولت العلاقة السابقة (التطور الاقتصادي وتطور التعليم) أهمية كبيرة أيضًا، فأمام مطالب أساليب الإنتاج الحديثة، التي تتطلب عمالة مؤهلة ومدربة، نجدها أولت التعليم العام وتعميمه أهمية كبيرة، إذ شهد التعليم الإلزامي(٩) ارتفاعًا في مستواه، فقد ثبتت الولايات المتحدة الأمريكية التعليم الإلزامي لمدة ١٢ سنة، أما ألمانيا فقد حددته بثماني سنوات. وحتى بريطانيا نجد أن اتحاد الصناعات البريطانية في عام ١٩٦٠م قد طالب بزيادة المدة الإلزامية للتعليم هناك. إن كل الحقائق والاتجاهات تؤكد أن النظم الاقتصادية العصرية، والتطور الحاصل فيها عن طريق التقدم التقني تمثل عاملاً حاسمًا في تطور التعليم والارتقاء بالمستوى الثقافي للمجتمع. (المطوع، ١٩٨٧م).

والجدول الآتي يوضح المستويات التعليمية والاقتصادية لعدة دول مختارة من دول العالم، ومن خلاله نلاحظ أن الدول التي حققت نموًا اقتصاديًا كبيرًا ومستوًى عاليًا من الناتج المحلي الإجمالي G D P هي في الغالب الدول التي حققت إنجازات كبيرة في القضاء على الأمية، وفي نشر التعليم العام. إلا أن هناك بعض الاستثناءات لهذا الارتباط بين التعليم والنمو الاقتصادي، مثل الفلبين والإكوادور عندما تقارن بماليزيا والمكسيك، مثلاً(١٠).

من المعالم المميزة لهذا العصر سعي الجمهور – بشكل عام – في الحصول على التعليم والتزود بالمعارف المتجددة لدرجة أن المطالب المتعلقة بالتعليم لا تقل في الأهمية عن تلك المطالب التي تتعلق بالحاجات الضرورية. إذ إن المستوى المعيشي يقترن اقترانًا وثيقًا بالمستويات الثقافية والعلمية التي يصل إليها الأفراد

المستوى الاقتصادي والتعليمي لبعض دول العالم

الدولة	نصيب الفرد من الدخل $ (١٩٩٢م)	نسبة الأمية ٪ (١٩٩٥م)	نسب إجمالي القيد (التسجيل)◆		الطلبة الجامعيون◆◆
			اج٪	الثانوي٪	
اليابان	٢٨٢٢٠	١	١٠٠	٩٦	٢٣٤٠
السويد	٢٦٧٨٠	١	١٠١	٩٦	٢٦٢٢
الدانمارك	٢٥٩٣٠	١	٩٨	١١٤	٣٠٤٥
أمريكا	٢٣١٢٠	٣	١٠٧	٩٧	٥٤٨٦
فنلندا	٢٢٩٨٠	١	١٠٠	١١٦	٣٧٣٩
فرنسا	٢٢٣٠٠	١	١١١	١٠٢	٣٤٠٩
كندا	٢٠٣٢٠	١	١٠٥	١٠٤	٦٩٠٣
سنغافورة	١٥٧٥٠	٩	١٠٧	٦٨	-
هونج كونج	١٥٣٨٠	٨	١٠٢	-	١٥٤٠
الأرجنتين	٦٠٥٠	٤	١٠٨	٧٢	٣٢٦٨
المكسيك	٣٤٧٠	١٠	١١٣	٥٦	١٤٧٧
فنزويلا	٢٩٠٠	٩	٩٦	٣٥	٢٨٥٣
ماليزيا	٢٧٩٠	١٧	٩٣	٦٠	٦٧٩
البرازيل	٢٧٧٠	١٧	١١١	٤٣	١٠٧٩
تونس	١٧٤٠	٣٣	١١٦	٤٦	١٠٤٤
السلفادور	١١٧٠	٢٩	٧٨	٣٦	١٥١٢
الإكوادور	١٠٧٠	١٠	١٢٣	٥٥	٢٠١٢
جواتيمالا	٩٨٠	٤٤	٨٤	٢٤	-
الفلبين	٧٧٠	٥	١١٢	٧٧	٢٦٩٦
مصر	٦٣٠	٤٩	٩٧	٧٦	١٥٦٠
الهند	٣١٠	٤٨	١٠١	٤٩	-
بنجلاديش	٢٢٠	٦٢	٧٩	١٩	٤٠٢
إثيوبيا	١١٠	٦٥	٢٣	١١	٧٠
موزمبيق	٦٠	٦٠	٦٠	٧	٣١

جدول (١)

◆ نسبة القيد الإجمالي للطلاب المسجلين في مرحلة ما من العدد الكلي للفئة العمرية المحددة رسميًا للتعليم في تلك المرحلة.

◆◆ لكل ١٠٠،٠٠٠ مواطن (١٩٩٢م)

المصدر: عبد الواحد خالد الحميد، اقتصاديات التعليم استثمار في أمة، ورقة عمل مقدمة إلى اللقاء السنوي الخامس لمديري التعليم في المملكة ١٩٩٧م، ص٢١، ومنشور في مجلة المعرفة التي تصدر عن وزارة المعارف، العدد ٢١، ١٩٩٧م ، ص٤٦ .





إقبال على التعليم العام في جميع دول العالم المتقدمة والناشئة على السواء

لقد حاول بعض الاقتصاديين قياس العائد من التعليم أو تحديد مقدار مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي، مثل ستروميلين عام ١٩٢٤م Strumilin، وكذلك الدراسات التي حاولت ربط الدخل بنفقات التعليم في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، مثل أبحاث شولتز ودينيسون وبيكر وسولو(١١) وبلوج، وغيرهم، فقد أثبتت دراسات كل من شولتز ودينيسون(١٢) أن للتعليم مساهمة مباشرة في زيادة الدخل القومي (الوطني)؛ وذلك من خلال رفع كفاءة الأيدي العاملة وإنتاجيتها(١٣). كما أثبتت تلك الدراسات والأبحاث، وغيرها العلاقة الإيجابية بين نمو الإنفاق التعليمي والنمو الاقتصادي، إضافة إلى أنها أثبتت أهمية مساهمة استثمارات التعليم في النمو الاقتصادي؛ وذلك يعني أن النمو الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للدول المختلفة مرتبط بقدرتها على إعداد الموارد البشرية وتنميتها(١٤). وتعود أهمية تنمية الاستثمار في رأس المال البشري إلى الأسباب الآتية (١٥):

. يمثل رأس المال البشري أحد المدخلات الرئيسة لعمليات الإنتاج.

. رأس المال البشري مكمل لرأس المال المادي.

- تكوين رأس المال البشري ضروري للتغير التقني.
- إن أحد الأهداف الرئيسة للتنمية يتمثل بالارتقاء بالمستوى الثقافي والمعيشي والصحي للإنسان.

كما أن الحديث عن الأثر المباشر للتعليم في النمو الاقتصادي ظهر من خلال تحسين المهارات والقدرات الإنتاجية للقوى العاملة؛ وذلك في نتائج دراسات شولتز، ودينيسون عام ١٩٦١م، وتقرير التنمية في العالم ١٩٨٥م، الصادر عن البنك الدولي، ولا يوجد خلاف بين الاقتصاديين عن وجود دور مباشر للتعليم في النمو الاقتصادي، وقد استخدمت متغيرات عديدة لقياس العلاقة بين التعليم وزيادة النمو الاقتصادي، من أبرزها(١٦):

- زيادة نسبة العمالة في القطاعات الإنتاجية.
- زيادة الأجور بفرض أن زيادة الأجر مرتبطة بزيادة الإنتاج.
- انخفاض مستوى الأمية.
- ارتفاع معدلات الحياة، وانخفاض معدلات الوفاة، وانخفاض معدلات المواليد.

كما أشار تودارو (Todaro، عام ١٩٨٨م) إلى أن توسيع الفرص التعليمية على كل المستويات ساهم في زيادة النمو الاقتصادي الإجمالي عن طريق:

- إيجاد عمالة منتجة، ومنحها المزيد من المعرفة والمهارات.
- إتاحة فرص توظيف ومكاسب ملائمة للمعلمين، ولعمال المدارس والإنشاء، ولطابعي الكتب وصانعي الورق والعمال ذوي الصلة.
- توفّر طبقة من القيادات الثقافية لملء المواقع الوظيفية الشاغرة في قطاع الخدمات الحكومي، والشركات العامة، وقطاع الأعمال والمهن.
- تقديم نوع من التدريب والتعليم، من شأنه أن يرتقي بمستوى التعليم والمهارات الأساسية، وتشجيع مواقف حديثة لدى كثير من شرائح المجتمع؛ لذا فإن العمالة المتعلمة الماهرة تعدّ شرطًا ضروريًا للنمو الاقتصادي المستديم(١٧).

وهناك طريقتان شائعتان لقياس العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي تتمثلان في:

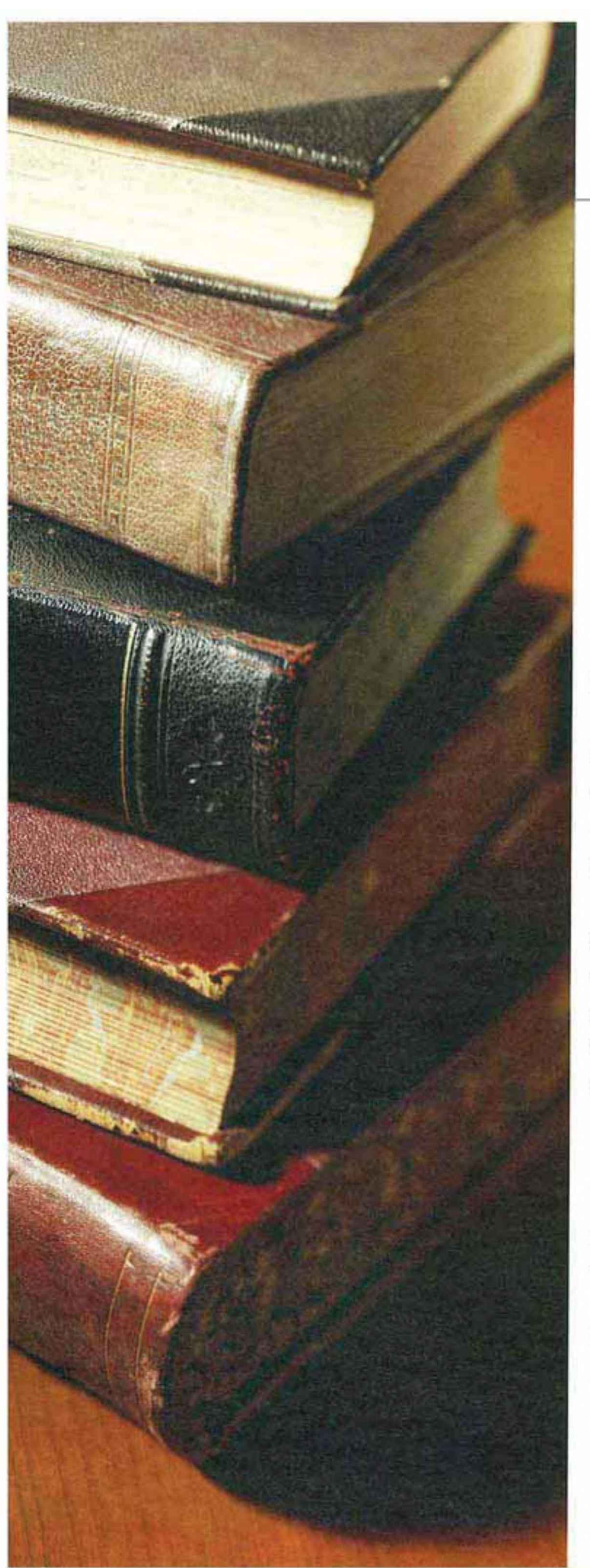
- دالة الإنتاج الاقتصادي Economic Production Function، وتفترض هذه الدالة وجود علاقة بين الإنتاج الكلي (Y) من جهة وكل من رأس المال المادي (K) ورأس المال البشري(L) من جهة أخرى، وهذه الدالة عبارة عن دالة متجانسة.
- قياس العائد الاقتصادي لرأس المال البشري Human Capital ومقارنته بالعائد الاقتصادي من رأس المال المادي Physical Capital. فعندما تمت مقارنة التعليم بكل من الصحة والتغذية، وعلاقة كل منهما بالنمو الاقتصادي وجد أن التأثير الأكبر أو القوي كان للتعليم، فقد أكد كل من ويلر Wheeler، عام ١٩٨٠م، والبنك الدولي عن طريق (جاميسون ولاو Lau & Jamoson) أن الاستثمار في تحسين أنظمة البذور والتسميد عاد بإنتاجية أعلى عندما اقترن بمستوى تعليمي معين للفلاحين (٤ سنوات دراسة في المرحلة الابتدائية مقارنة بمن لم تسنح لهم الفرصة بالدراسة على الإطلاق). وفي دراسة أخرى شملت ٦٦ دولة من الدول النامية قام بها ماريس Marris عام ١٩٨٢م فوجد أن التعليم لا يؤثر في النمو الاقتصادي فقط، بل إن الاستثمار العام يكون أثره في النمو الاقتصادي ضعيفًا إذا لم يرتبط

إن نشر التعليم من خلال التوسع في المراحل المختلفة للتعليم يعني ضرورة توفير الأموال (التكاليف) التي يعدّ الاقتصاد المصدر لها. كما أن التكاليف اللازمة لتطوير التعليم ونشره بشكل أكبر لا يمكن أن تتوافر إلا من خلال ما يتوافر للاقتصاد القومي من انتعاش وازدهار



نمو التعليم مرهون بالنمو الاقتصادي

باستثمارات في القطاع التعليمي. وعلاوة على اهتمام العلماء بالأثر المباشر للتعليم في النمو الاقتصادي، اهتموا أيضًا بتحديد الأثر غير المباشر للتعليم في تنمية الموارد البشرية، مثل جوانب الصحة، والخصوبة، وسرعة انتشار التقنية، وغيرها. وبذلك نجد أن عددًا من الدراسات أكد الوظيفة الاقتصادية للتعليم، ودوره وأهميته في التنمية الشاملة، والنمو الاقتصادي، وأن حجم الاستثمارات في هذا القطاع الحيوي تؤثر بطريقة مباشرة في فعالية الاستثمارات في القطاعات الإنتاجية الأخرى، وبهذا فإنه يجب اعتداد الاستثمارات التعليمية استثمارات إنتاجية، وليست استثمارات استهلاكية مجردة فقط؛ وهذا ما أشار إليه ساكاروبولس G.Psacharopouls، عام ١٩٨٥م، (عبدالموجود، ١٩٩١م).



نلاحظ أن الدول التي حققت نموًا اقتصاديًا كبيرًا ومستوًى عاليًا من الناتج المحلي الإجمالي G D P هي في الغالب الدول التي حققت إنجازات كبيرة في القضاء على الأمية، وفي نشر التعليم العام. إلا أن هناك بعض الاستثناءات لهذا الارتباط بين التعليم والنمو الاقتصادي. مثل الفلبين والإكوادور عندما تقارن بماليزيا والمكسيك

ويرى البازعي ١٩٩٨م، أنه يمكن النظر إلى مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي على مستويين، هما:

- المستوى الشخصي، إذ إن التعليم يؤدي إلى زيادة إنتاجية الفرد من خلال تزويده بمجموعة المهارات والمعارف التي تساهم في تحسين إنتاجية النوعية والكمية وتطويرها، التي تجعل الفرد أكثر قابلية للتكيف والتلاؤم مع التطورات التكنولوجية الحديثة التي تتطلبها عملية التنمية.
- على مستوى المجتمع (المستوى القومي)، إذ يساهم التعليم في الاستغلال الأمثل للموارد. كما أنه يعتقد بشيء من الجزم أن حسن الأداء الاقتصادي يرتبط بوجود نظام تعليمي جيد ذي كفاءة داخلية (تخريج الطالب بأدنى تكلفة ممكنة) وكفاءة خارجية (المخرجات التعليمية تلائم

علاوة على اهتمام العلماء بالأثر المباشر للتعليم في النمو الاقتصادي. اهتموا أيضًا بتحديد الأثر غير المباشر للتعليم في تنمية الموارد البشرية. مثل جوانب الصحة، والخصوبة، وسرعة انتشار التقنية، وغيرها


التعليم يؤدي إلى زيادة قدرة الفرد على البحث والابتكار

التعليم الابتدائي والثانوي ترتفع في الدول ذات الأداء الاقتصادي المرتفع. ومن الجدول السابق يتبين معدلات القيد في المراحل التعليمية المختلفة لبعض الدول، ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (المستوى الاقتصادي والتعليمي). وقد توصل بارو Barro عام ١٩٩١م(١٨) في دراسة مقارنة لمحددات النموالاقتصادي أن الدول الفقيرة يمكنها اللحاق بالدول الغنية، شريطة أن تمتلك هذه الدول قدرًا عاليًا من رأس المال البشري نسبة لمستوى إنتاجها المحلي الإجمالي G D P. كما أن التعليم العالي يؤدي دورًا مهمًا، وبخاصة في النمو الاقتصادي (النمو المستديم)، إذ إن مساهمته لا تقتصر على إنتاجية العمل، كما هو الحال لأنواع التعليم الأخرى، وإنما إضافة إلى ذلك تكون مساهمته عن طريق ما يقوم به الخريجون من دور في نشر المعرفة، وما تقدمه مؤسسات التعليم العالي من معارف متقدمة ومهارات مطلوبة لشغل المواقع القيادية والمسؤولة في القطاعين العام والخاص، إضافة إلى ما تنتجه هذه المؤسسات من معارف علمية وتقنية حديثة عن طريق البحث العلمي، والتدريب المتطور. وأخيرًا فإنها تعد وسائط لنقل المعارف ونشرها من العالم الخارجي. ويقدر العائد من احتياجات سوق العمل). وتشير الدراسات التي أجريت على دول شرق آسيا (النمور الآسيوية) أن التعليم الابتدائي يعدّ المساهم الأكبر في النمو الاقتصادي الإجمالي لهذه الدول، وفي النمو الاقتصادي لكل دولة على حدة. فقد استثمرت النمور الآسيوية - بشكل كبير - في التعليم الابتدائي والثانوي؛ بهدف تحسين نوعية العمالة. كما تشير نتائج هذه الدراسات إلى أن معدل النمو الاقتصادي يكون مرتفعًا في الدول التي تزداد فيها نسبة التعليم. فنجد أن معدلات القيد في مراحل

يساهم التعليم في الاستغلال الأمثل للموارد. كما أنه يعتقد بشيء من الجزم أن حسن الأداء الاقتصادي يرتبط بوجود نظام تعليمي جيد ذي كفاءة داخلية (تخريج الطالب بأدنى تكلفة ممكنة) وكفاءة خارجية (المخرجات التعليمية تلائم احتياجات سوق العمل).



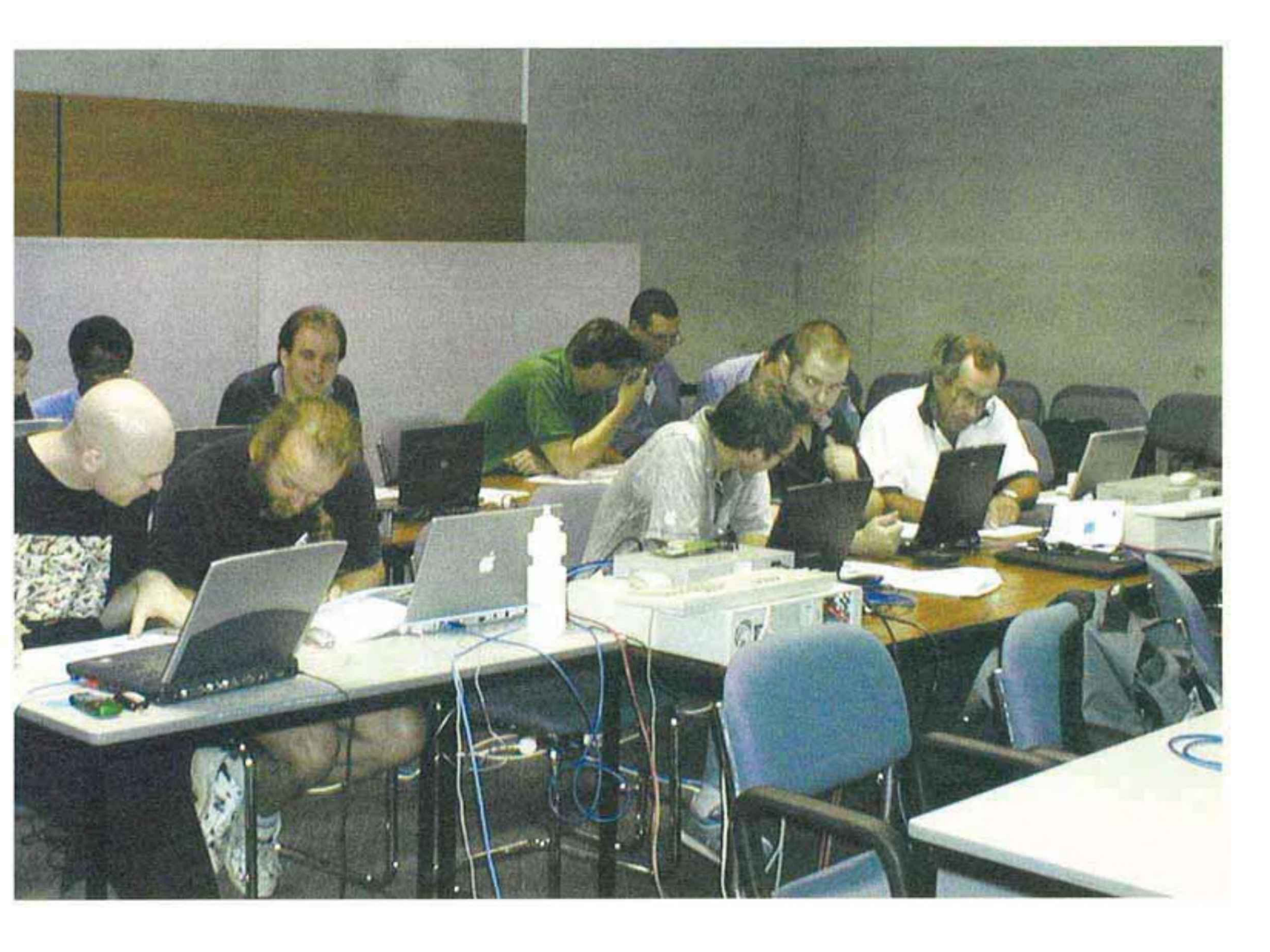
الاستثمار في التعليم العالي يساهم في رفع إنتاجية العمل

الاستثمار في التعليم العالي نحو ١٠٪ في الدول المنخفضة الدخل ومتوسطته، وهذا مؤشر على أن الاستثمار في التعليم العالي يساهم في رفع إنتاجية العمل والنمو الاقتصادي الطويل الأجل. ومما يدعم أهمية التعليم (بجميع مراحله) للنمو الاقتصادي أن المهارات والمعارف ستكون مصدر الميزة النسبية في القرن الحادي والعشرين. يقول ثورو (عام ١٩٩٣م، ص ٤٠): «وفي القرن الحادي والعشرين ستصبح مهارات قوة العمل والتعليم هي السلاح التنافسي الأول».

ومع ذلك فالتعليم وحده ليس شرطًا كافيًا للنمو الاقتصادي، وإن كان شرطًا ضروريًا، فمساهمة التعليم في النمو الاقتصادي لا تعتمد فقط على إيجاد المهارات، بل تعتمد أيضًا على استخدام هذه المهارات، وعلى طبيعة النظام الاقتصادي. ويعدّ العنصر البشري أهم العناصر الإنتاجية التي يمكن أن تساهم في تحقيق التنمية، لكنه لن يؤدي دوره دون تعليم؛ لأن التعليم يسهم في تراكم رأس المال البشري. «وتشير نظريات النمو الاقتصادي إلى أن التقدم

التقني يزيد من معدل النمو الاقتصادي الطويل الأجل. ويزداد التقدم التقني سرعة عندما تكون قوة العمل أحسن تعليمًا. من هنا فإن تراكم رأس المال البشرى يساعد على التقدم التقني، ويعدّ مصدرًا من مصادر النمو المستديم، (البازعي، عام ١٩٩٩م، ص ١٦). وبشكل عام يساهم التعليم في تنمية الموارد البشرية وتطويرها من خلال رفع الكفاءة والمقدرة الذهنية، وسعة الاستيعاب، ورفع إنتاجية القطاعات الاقتصادية المختلفة. إلا أن مساهمة التعليم الإيجابية في التنمية ترتكز على نوعية التعليم، ومدى ملاءمته لاحتياجات المجتمع في المراحل التنموية المختلفة(١٩).

ومن الملاحظ من إحصاءات البنك الدولي ارتباط معدل نمو الدخل (والدخل الفردي) بالمستوى التعليمي في الدولة مقاسًا بمستوى الأمية الإجمالية (ذكور وإناث)، فالدول الأفقر دخلاً، مثل إثيوبيا التي تحتل المرتبة الثالثة لأقل الدول دخلاً على مستوى العالم تبلغ نسبة الأمية فيها ٦٥٪، بينما في كوريا ذات الترتيب ١٠٨ بالنسبة إلى الدخل الأعلى تبلغ نسبة الأمية فيها أقل من ٥٪(٢٠). وبإجراء تحليل الارتباط لمستوى الدخل، ومعدل الأمية وجد أن هناك ارتباطًا سلبيًا قويًا ٠,٧٩-، فالدول التي يسود فيها معدلات تعليم منخفضة جدًا (ترتفع فيها نسبة الأمية) يكون ناتجها




قطاعات الإنتاج في حاجة إلى عاملين ذوي مستوى عال

القومي الإجمالي منخفضًا جدًا، والعكس صحيح، إلا أن ذلك قد لا يكون حاصلاً في دول الخليج؛ وذلك لطبيعتها النفطية، ومن ثم فإن معدلات التعليم فيها أقل، ومع ذلك دخولها مرتفعة، وقد بلغ نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي ٦٧٦٧ دولارًا أمريكيًا في عام ١٩٩٣م(٢١)، كما أن


مصدر القوة ليس في امتلاك الآلات، وإنما في امتلاك قاعدة بشرية عملية

القيد في التعليم الثانوي الفني كنسبة مئوية من مجموع القيد بالمدارس الثانوية في المملكة بلغ ٢,٨٪ فقط خلال الفترة من عام ١٩٨٨ ـ عام١٩٩١م، وهي نسبة منخفضة جدًا مقارنة بالمعايير العالمية، أو المؤشرات الدولية، التي أوصت بها منظمة اليونسكو (وهي في حدود ٣٠٪ من نسبة القيد في المدارس الثانوية)؛ وهذا ما هو موجود بالفعل في الدول المتقدمة، مثل: اليابان، وألمانيا. إن معدلات التعليم ضرورية، لكنها ليست كافية كشرط لتحقيق النمو الاقتصادي(٢٢).

ونوضح هنا نسبة المقيدين بمختلف مراحل التعليم في بعض دول شرق آسيا (النمور الآسيوية)، والمملكة العربية السعودية، ودول إفريقية لعام ١٩٩٣م:

اليابان (التعلمي الابتدائي: ١٠٠٪ للذكور والإناث، والتعليم الثانوي: ٩٥٪ للذكور و ٩٧٪ للإناث، التعليم العالي٣٠٪)، كوريا (التعلمي الابتدائي: ١٠٠٪ للذكور والإناث، والتعليم الثانوي: ٩٣٪ للذكور، ٩٢٪ للإناث، والتعليم العالي: ٤٨٪)، المملكة العربية السعودية ١٩٩٣م(٢٣) (التعليم الابتدائي: ٧٣٪ للذكور، و٧٨٪ للإناث، والتعليم الثانوي ٥٤٪ للذكور، و٤٣٪ للإناث، والتعليم العالي ١٤٪)، ماليزيا (التعليم الابتدائي: ٩٣٪ للذكور، والإناث)، هونج كونج (التعليم العالي: ٤٥٪)، أثيوبيا وتشاد (التعليم العالي: ١٪).

ويرى الاقتصاديون أن حدوث النمو الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات يعود إلى مصدرين أساسيين، هما:

ـ التغير الكمي، ويشير إلى الزيادة التي تحدث في كميات الموارد المختلفة (الطبيعية والبشرية والمصنعة).

ـ التغير النوعي، ويشير إلى التحسن الذي يحدث في نوعية هذه الموارد. ومن أهم العوامل التي تؤثر في نوعية الموارد البشرية بشكل خاص، والموارد الأخرى بشكل عام التعليم. فبالإضافة إلى أن التعليم يزيد من قدرة الفرد على

أداء الأعمال المعقدة، والأكثر تطورًا، فإنه يزيد من مقدرته على البحث والابتكار بما يساعد على تطوير نوعية الموارد المادية الأخرى (٢٤). (العبيد، وعطية، عام ١٩٩٤م).

كما يرى بعض المهتمين باقتصاديات التنمية أنه من الضروري للنمو الاقتصادي توافر معدل ٤٠٪ كحد أدنى من التعليم بين أفراد المجتمع كافة، وإن كان ذلك غير كاف. وأن التصنيع أو التوسع الاقتصادي السريع لا يمكن حدوثه إلا إذا كان معدل التعليم في المجتمع يراوح بين ٧٠٪ و٨٠٪. ويستدل بعض المفكرين بالتجربة الدانمركية، ويرون أن ما قدمته تلك التجربة من تعليم يعدّ السبب الرئيس في تحويل الدانمرك من مجتمع فقير إلى مجتمع متطور. كما يستدل أيضًا بمشروع القرية النموذجية لربوبرت أوين (١٧٧١. ١٨٥٨م) R.Owen في مصانع النسيج بنيولانارك في أسكتلندا، حيث عمل على تحسين الظروف المحيطة بالعمل في مصانعه، مثل توفير السكن، والرعاية الصحية، والتعليم لأطفال العمال، إذ يرى أن شخصية الفرد تتشكل بالبيئة(٢٥). (مرسي، ١٩٩٨م).

ووفق معدلات مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي في بعض دول العالم في فترات زمنية

المراجع والهوامش

١. يشير الهيتي عام ١٩٩٨م إلى أن نظام التعليم يعد المصدر الرئيس لتطوير المهارات والمعارف، لذلك نجد أن الدول النامية، ومنها دول الخليج، اتجهت إلى التوسع السريع في فرص التعليم، التي تمثل المفتاح الذهبي للتنمية، إذ تشير أدبيات التنمية إلى أن تعليمًا أكثر يقود إلى تنمية أسرع.
٢. فايزة محمد حسن أخضر، اقتصاديات تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) عام ١٩٩٥م، ص ١.
٣. نوزاد الهيتي، تنمية الموارد البشرية: مدخل للتطور التكنولوجي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مجلة التعاون، س ١٣، ع ٤٨، عام ١٩٩٨م، ص ١١١.
٤. عملت الدول الخليجية في سعيها المتواصل نحو تحقيق التنمية الشاملة خلال ربع القرن الأخير على اقتناء الجانب المادي من التكنولوجيا المتمثل في المعدات والآلات لكونها تشكل الركيزة الرئيسة للتقدم الاقتصادي، ولكن النتيجة كانت المزيد من التبعية التكنولوجية، ولم تسهم هذه التكنولوجيا في تنمية هذه الدول (الخليجية)؛ وذلك بسبب عدم توافر المهارات البشرية القادرة على تطويع التكنولوجيا لخدمة خطط التنمية كما أنه من الملاحظ أن أغلب السياسات التكنولوجية التي انتهجتها الدول الخليجية ركزت في الجانب المادي من التكنولوجيا، ولم تعط اهتمامًا متزايدًا للجانب المعرفي، الذي يمثل التعليم والتدريب ركيزته الأساسية.
٥. في الدول النامية يفوق عدد المتقدمين المقاعد المتوافرة؛ وذلك مؤشر على أن الأفراد في كل مكان يعتقدون أن التعليم نافع لهم ولأولادهم.
٦. مالكولم جيلز، وآخرون، تعريب طه منصور، وعبدالعظيم مصطفى، اقتصاديات التنمية، دار المريخ، عام ١٩٩٥م، ص ٣٦١. وللمزيد انظر ص ٣٦٠، أو جدول رقم ١ من هذه الورقة.
٧. حسين المطوع، اقتصاديات التعليم، دبي، دار القلم، ص ٨٣.
٨. للمزيد انظر، حسين المطوع، مرجع سابق، ص ص ٨٥. ٨٨.
٩. تجدر الإشارة هنا إلى أن التعليم في المملكة غير إلزامي فالأمر متروك للأفراد، وقد يرد التسرب الكبير الذي حدث، ولا يزال في المرحلتين التعليميتين الابتدائية والمتوسطة وحتى الثانوية إلى عدم إلزامية التعليم في المملكة، ويفترض في هذا الشأن أن يكون هنالك سن إلزامية تبقي الطالب على مقاعد الدراسة حتى يحصل على المرحلة المتوسطة على الأقل. وقد أشار (الفايز) إلى ضرورة تحديد مدة أو مرحلة إلزامية للتعليم وتمويلها، واقترح ثلاث مراحل إلزامية للتعليم، وهي المرحلة الأبتدائية، والمرحلة المتوسطة، مدارس التأهيل والتدريب لمدة ثلاث سنوات بعد المتوسطة، وتبقى المرحلة الثانوية لمن يرغب في الاستمرار في التعليم الجامعي والعالي، وللمزيد حول هذه النقطة، انظر مقال عبدالمجيد عبدالرحمن الفايز، صحيفة الرياض، العدد ١١٧٥٧، السنة ٣٧، ص ٢٧.
١٠. انظر الصفوف (١١، ١٣، ١٧، ١٩) من الجدول (١). وللمزيد انظر: عبدالواحد الحميد، مرجع سابق، ص ص ٤٦-٤٨.
١١. للمزيد حول نموذج سولو والنمو الاقتصادي انظر: عبدالمحمود عبدالرحمن نصر، الاقتصاد الكلي (النظرية المتوسطة)، عام ١٩٩٧م، ص ص ٥٧٤- ٦١١.
١٢. انظر فايزة أخضر، مرجع سابق، ص ص ٣٦- ٣٨، وانظر أيضًا: Schultz, Denison and the Contribution of "EDS" to National Income Growth Mary Jean Bowman, University of chicago, 450
١٣. وقد استخدم دينيسون وغيره من الاقتصاديين فكرة دالة الإنتاج (دالة الإنتاج كوب دوجلاس (Cob - Douglas Production Function) لقياس مصادر النمو الاقتصادي المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من عام ١٩١٠، عام ١٩٦٠م وتشير دراسة دينيسون Denison إلى أن ٤٣٪ من النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من (عام ١٩٢٩، عام ١٩٥٧م) تعود إلى الاستثمار في التعليم. وللمزيد انظر أيضًا على القرني: العلاقات بين برامج التعليم العالي وحاجات المجتمع السعودية التنموية، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية (٢)، ص ص ٥٢٧- ٥٣٨.
١٤. سالم سعيد القحطاني، مدى ملاءمة مخرجات التعليم العالي لمتطلبات سوق العمل، مجلة معهد الإدارة العامة، م٨، ع٣، ١٤١٩هـ، ص ٤٩٩.
١٥. نوزاد الهيتي، مرجع سابق، ص ١١٢.

مختلفة، وبالنظر بإمعان إلى حقيقة الدول العربية (ومنها المملكة العربية السعودية) نجد أن قضيتها الأساسية في النمو الاقتصادي والتنمية لا تعود إلى افتقارها إلى الموارد الطبيعية (الثروة المادية)، وإنما تعود إلى حاجتها الملحة إلى الكفاءات البشرية القادرة على استثمار ما تملك من موارد طبيعية، وثروات مادية كبيرة (٣٦).

ويمكن توضيح نسبة مساهمة التعليم في المعدل السنوي لنمو الدخل القومي (على مستوى العالم) في فترات زمنية مختلفة على هذا النحو:

كندا (٢٥٪)، والولايات المتحدة الأمريكية (١٥٪)، وبلجيكا (١٤٪)، والدانمارك (٤٪)، وألمانيا الغربية (٢٪)، وإيطاليا (٧٪)، وهولندا (٥٪)، وإنجلترا (١٢٪)، وفرنسا (٦٪)، والاتحاد السوفييتي (سابقًا) (٦,٧٪) بلغت النسبة في عام ١٩٨٩ ـ١٩٩٠م (٢٢,٦١٪)، والأرجنتين (١٦,٥٪)، والبرازيل (٣,٣٪)، والمكسيك (٠,٨٪)، وبيرو (٢,٥٪)، وفنزويلا (٢,٤٪)، وكوريا الجنوبية(١٥,٩٪)، واليابان (٣,٣٪)، وماليزيا (١٤,٧٪)، والفلبين (١٠,٥٪)، وغانا (٢٣,٢٪)، وكينيا (١٢,٤٪)، نيجيريا (١٦٪)، وسورية (٦,٩٪)(٣٧).

---

١٦. محمد عزت عبدالموجود، بعض منهجيات اقتصاديات التعليم العالي، ورقة عمل قدمت للمؤتمر العلمي المصاحب للدورة الرابعة والعشرين لمجلس اتحاد الجامعات العربية المنعقد في قطر في الفترة من ١٨، ٢٢ ربيع الآخر سنة١٤١٣هـ، حول اقتصاديات التعليم العالي في الوطن العربي وموقعها من خطط التنمية عام ١٩٩٩م، ص ص ٢١٠- ٢١١.

17. Michael P Todaro, Economic Development, Sixth Edition, New York University, 1997, p 498

١٨. للمزيد حول نتائج دراسات بارو Barro انظر:

Sulayman Al-Qudsi, Education and Arab Labor Markets Major Developments Links and Policy Challenges, 1997, p21

١٩. حمد سليمان البازعي: مخرجات التعليم العالي في السعودية واتجاهات الاقتصاد الكلي، المجلة الاقتصادية السعودية، السنة الأولى، العدد ١، عام ١٩٩٨م، ص ص ٨٠ ـ ٨٣. وانظر أيضًا: حمد البازعي، التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية والاتجاهات المستقبلية لأسواق العمل، ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم العالي في المملكة (رؤى مستقبلية) ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص ص ١٨٧- ١٨٩.

٢٠. انظر الجدول السابق رقم (١).

٢١. إحصاءات مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد ٥٣، ١٤٢٢هـ ـ جدول رقم (٢-١)، ص ٣٧٩.

٢٢. حمد سليمان البازعي، معدل النمو الاقتصادي: فتش عن التعليم، مقالة منشورة في مجلة التدريب والتقنية، العدد الخامس، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ص ص ١٦، ١٩. ولمعالجة هذه المشكلة فإنه يمكن التوسع في التعليم الفني والتقني والتدريب المهني مقابل الحد من التعليم الثانوي العام بما يتناسب مع المعدلات العالمية في هذا الشأن، وزيادة الحوافز لهذا النوع من التعليم (المادية والمعنوية) بما يفوق تلك التي تقدم حاليًا في التعليم الجامعي وما يعادله؛ وذلك لانخفاض معدلات القيد في هذا النوع من التعليم من ناحية، ولأن سوق العمل في المملكة لا يزال بحاجة ماسة إليه من ناحية أخرى، فقد أشار الفنيلي (٢٠٠٠م) إلى أن سوق العمل السعودي بحاجة إلى نحو ٦,٤ ملايين وظيفة مهنية يشغلها الآن عمالة وافدة.

٢٣. بلغت نسبة القيد الإجمالية في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٤م ٥٦٪. وبلغ معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين (١٥٪) في عام ١٩٩٤م في المملكة ٦١,٨٪. وبلغت نسبة القيد في كليات العلوم الطبيعية والتطبيقية كنسبة من مجموع القيد في التعليم العالي في عام ١٩٩٢م، ١٦٪. كما بلغت نسبة خريجي الكليات العلمية (كنسبة مئوية من جميع الخريجين) ١٤٪ خلال الفترة من ١٩٨٨م ـ ١٩٩٠م، انظر. أشرف العربي، مجلة بحوث اقتصادية عربية ـ الملحق الإحصائي، العدد ١٣، عام ١٩٩٨م، ص ٩، ونوزاد الهيتي، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٢٤. بينت بعض الدراسات أهمية التعليم في النمو الاقتصادي سواء بالنسبة إلى الدول المتقدمة أو النامية، فقد بلغت مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي في بعض الدول ٢٥٪، وفي دول أخرى (مثل الولايات المتحدة الأمريكية) أكثر من ٥٠٪. انظر محمد ظافر محيلك، التعليم ودوره في تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص ١٤٥، وانظر أيضًا الجدول(٣).

٢٥. وقد كان لذلك تأثير في صدور قانون المصنع عام ١٨١٩م، في بريطانيا، الذي يعد من أبرز القوانين التي نظمت ظروف العمل.

٢٦. وللمزيد انظر: عبدالغني النوري: إستراتيجية إصلاح التربية العربية(٢)، اتجاهات جديدة في اقتصاديات التعليم في البلاد العربية، دار الثقافة، الدوحة، عام ١٩٩٨، ص ص ١١٥ـ ١١٦.

٢٧. مساهمة التعليم في النمو الاقتصادي في القطر العربي السوري في الفترة من (١٩٧٠م ـ١٩٨٠م). المصادر: محمد محروس إسماعيل، اقتصاديات التعليم مع دراسة خاصة عن التعليم المفتوح، والسياسة التعليمية الجديدة عام١٩٩٠م، ص ٢٣. وانظر أيضًا: عبدالله العبيد، وعبدالقادر عطية، اقتصاد المملكة العربية السعودية، عام ١٩٩٤م، ص ٢٥٩. وغادة البنا، قياس العائد الاقتصادي من الإنفاق على التعليم، عام ١٩٨٢م، ص ١٨. وعماد رشاد، التعليم والتنمية الشاملة (تجربة النموذج الكوري)، عام١٩٩٧م، ص ١٨٣.



قصبة الجزائر.. تراث عالمي يقاوم الزمن والإهمال!

إنشراح سعدي

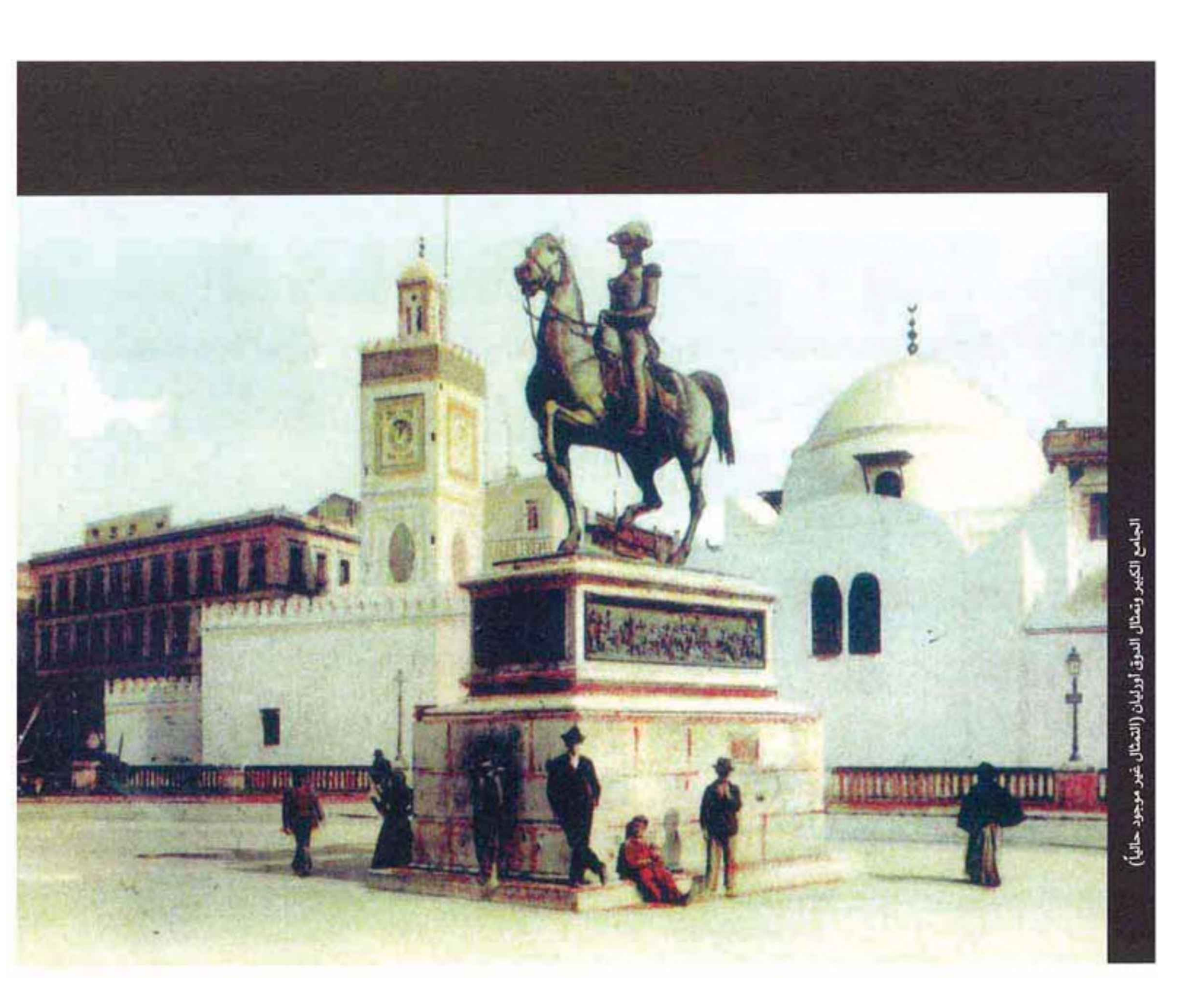
الجزائر العاصمة ـ الجزائر

وأنت تمشي بين أزقتها العتيقة، وتصعد سلالمها الضيقة، وأسقفها المتعانقة، يخيل إليك أنك خارج الزمن، تبتعد لحظات عن الإسمنت المسلح، الذي أصبح الأنموذج الوحيد لمعظم الأحياء والشوارع والأزقة الجزائرية، من أزقتها العتيقة تنبعث رائحة العراقة والتاريخ

جدرانها البيضاء، وأبوابها الثقيلة المميزة، وشرفتها المشدودة بعمد من حطب تروي لزائرها حكايات عصور طوال لتقول بصمت وشموخ: أنا المدينة الهاربة بأقبيتي من كل شيء حديث، أنا قصبة الجزائر، مدينة الأبواب الخمسة، والعيون الخمس.

من الزربية للدربية

في محاولة لوصف قصبة الجزائر، أو كما تسمى بالعامية الجزائرية «الدزاير لقديمة» الجزائر القديمة، نبدأ من شوارعها، فهي كثيرة بنيت فيها البيوت على خطين متوازيين، تتوسطهما سلالم ضيقة جدًا، مبنية من الحجر، كما يظهر في صورة قديمة لشارع تمبكتو تسمية حديثة (مع دخول المخرب الفرنسي)، صممت أبواب المنازل بشكل يحافظ على الحريات الشخصية، إذ لا تتقابل الأبواب إلا فيما ندر، فعلى ضيق الأزقة فكر المهندسون القدامى في راحة السكان؛ وجعلت هذه الأبواب من الخشب الصلب المرصع بمسامير من حديد حيث لا تفتح بسهولة، وبمجرد أن يدخل أحد هذه المنازل يقابله رواق



الجامع الكبير وتمثال الدوق أورليان (التمثال غير موجود حاليًا)

صغير يعرف «بالدريبة»، وهو لفظ محلي ممهد للدخول أو الخروج من البيت، وتليه «الزريبة»، وهي مكان صغير تربط فيه الحمير، للذين يملكون حميرًا، فالحمير كانت الأوفر حظًا في القصبة؛ لأنها الوحيدة التي تتمكن من دخولها بسبب ضيق الأزقة، وما عداها يبقى خارج أسوار المدينة. وهذان المكانان جمعا في مثل جزائري شهير هو «من الزريبة للدريبة» يضرب كناية عن المشوار القصيرة مسافته، وكثيرًا ما يقال للتهكم، وبعدها ندخل إلى بهو البيت الذي فيه الغرف والمطبخ الذي يعرف في القصبة باسم «لخيامة»، وكثيرًا ما تكون مثل هذه البيوت بيتًا مشتركًا بين عدة أشخاص، لكل غرفة، ويشتركون في الخيامة، و«بيت الصابون»، مكان لغسل الثياب، والحمامات، وكان البهو محرمًا على النساء والصبايا إلا في فترة الأعمال المنزلية، وتكون صباحية، وبعدها يكون استراحة للرجال، والنساء يبقين في سطوح المنازل يمارسن صناعاتهن التقليدية، كالتطريز على الحرير، والغزل، وغيرهما، فالنساء الجزائريات كن يرتدين إلى وقت قريب جدًا (الاستقلال) ثوبًا يخفين فيه كل جسدهن؛



قصبة بلكين هي القصبة الدّنيا بناها عام ٩٥٠م بلكين ابن زيري بن مناد بن منقوش البلكاني الصنهاجي، من قبيلة صنهاجة، أقوى القبائل البربرية في الجزائر، كان موطنها بعد الفتح يشمل معظم تلول الجزائر

يعرف باسم «حايك لمرمة»، ويغطين أوجههن بنقاب يعرف باسم «لعجار»، كما يظهر في صورة النساء أمام شارع الباب الجديد، وفي صورة زنقة العرب، وما يميز القصبة شرفاتها المرفوعة بعمد من خشب، على الرغم من مرور الزمن لم تبل شرفات متعانقة عناقًا أبديًا، وتظهر أيضًا في صورة شارع تمبكتو، هذا الوصف لشارع أو زنقة كما تسمى في القصبة تتكرر بالشكل نفسه على مساحة ٧٠ هكتارًا لم يبق منها الآن إلا ما أنقذ بعد فوات الأوان.

الجامع الكبير

ومن روائع العمارة الإسلامية بقصبة الجزائر الجامع الكبير، الذي ما زال قائمًا إلى يومنا هذا، بناه يوسف بن تاشفين سنة ٤٦٠ للهجرة؛ أي: أواسط القرن الحادي عشر ميلادي، فلهذا المسجد منذ نشأته إلى يومنا ما يناهز ١٠٠٠ سنة، وهذا الجامع هو مربع الشكل يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وقبلته الجنوب الشرقي، وهو قائم على شاطئ متصل بالبحر، ويقع هذا المسجد في يومنا الحالي شمال نهج البحرية، وجنوب الشارع الكبير أو شادروان المشرف على المرسى، وغرب الطريق المتصل بالغرفة التجارية، وشرق الطريق الذي بين نهج البحرية والشارع الموازي لجدار قبلة المسجد، وهو يشمل ١١ صفًا معاكسًا للقبلة، بالإضافة إلى خمسة رواقات تحيط به من أغلب جوانبه، ما عدا الجهة الشمالية الشرقية، ومساحته تتربع على نحو الألفي متر مربع، وطوله يزيد قليلاً على عرضه بثمانية أمتار، الطول ٤٨ مترًا والعرض ٤٠ مترًا، وكان جداره الجنوبي الغربي قبل متصلاً بحديقة فسيحة تسمى بالجنينة؛ وكان متصلاً بشماله الشرقي مصلى للجنائز، وهو منتقص منه اليوم، وبالقرب من الجنينة ساحة أخرى كانت تستعمل واجهة حربية للدفاع عن العاصمة، أصبحت اليوم حديقة صغيرة، وللمسجد دعائم تقوم على الحجارة والآجر المملوء، تغطيه طبقة من الجبس والجير، ويبلغ عدد هذه الدعائم ٧٢ سارية كلها قائمة الزوايا، تبعد كل واحدة من الأخرى بـ ٣، ٤٠ مترًا، تحمل أقواسًا أربعًا متداخلة ومتقابلة، اثنتان منها منكسرتا الأقواس في شكل حدوة الفرس المدببة، واثنتان مسننتان متعددتا الفصوص بحيث تبلغ فصوصها اثني عشر فصًا، وترتفع صومعة الجامع الكبير عن مستوى الأرض بـ ١٥ مترًا، وتنتهي بقبة صغيرة عليها فتحات ثلاث من النحاس، هذا المسجد مازال قائمًا يجمع المئات من المصلين، ربما لا يعرفون أنه هناك على مقربة من البحر منذ ألف سنة، يؤكد لكل داخل للجزائر أن دين أهلها هو الإسلام.

تشير الدراسات التاريخية إلى أن القصبة هي العاصمة السياسية للأتراك، حصنها العثمانيون بأسوار شامخة يبلغ طولها من ١٠ إلى ١٢ مترًا، كما اجتهدوا في بناء خنادق في أسفل المدينة، عميقة وواسعة، بالإضافة إلى أبراج عالية

تاريخ القصبة

في الجزائر قصبتان: قصبة بكلين، وتمتد بين خط يتبع شارع باب الوادي وباب عزون، وخط نهج بالمبي وأنيبال، والسور المحيط بالمدينة ينطلق من باب عزون مارًا بعدة أنهج، ثم ينحني ليخرج في باب الوادي بالقرب من حديقة سيدي عبدالرحمن الثعالبي الحالية، والمتتبع لخط السور يلاحظ أنه لا يسير في استقامة واحدة، بل هو عبارة عن خط منكسر يشبه أضلاع مثلث رأسه نقطة التقاء نهجي (بالمبي وأنيبال) وهما النهجان اللذان حلاّ محلّ السور الصنهاجي بعد أن هدم الأتراك سور بلكين لتوسيع المدينة إلى الجهات العليا.

قصبة بلكين هي القصبة الدّنيا بناها عام ٩٥٠م بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش البلكاني الصنهاجي، من قبيلة صنهاجة، أقوى القبائل البربرية في الجزائر، كان موطنها بعد الفتح يشمل معظم تلول الجزائر بين جبال الأوراس ومدينة تنس، علمًا أن تاريخ تأسيس مدينة الجزائر القديم أو الأول، كما يسميه المؤرخون، يعود إلى العهد الفينيقي، وإلى ما بعد تأسيس قرطاجنة عام ٨١٤ قبل الميلاد، حيث انتشر الفينيقيون بسواحل المغرب كله، وأسسوا مراسيه، ومنها مرسى الجزائر «أيكوسيم» التي بناها أصحاب هرقل الليبي، وكانوا، حسب الرواية، عشرين نفرًا، ومن حديثهم أنهم غادروا جيش هذا القائد، ورحلوا إلى الموضع الذي سمي «إقُيُسوم» بكسر الهمزة وضم القاف وسكون السين وياء مثناة تحت مضمومة ثم واو ساكنة وميم أي (مدينة العشرين) باسم عدد الأصحاب، وهو (إيقوسي)؛ أي: عشرون.

هناك من ذهب إلى أن اسم المدينة هو «ايكوسيم» استنادًا إلى العملة التي عثر عليها في حفريات عام ١٩٤٠م، وقد تصدى المختصون بالبيئات السامية للبحث عن أصل الكلمة ومعناها، وذكروا أنها بونية الأصل (فينيقية)، وتتألف من كلمتين، هما أو، ومعناها: جزيرة، وKosim، ومعناها الشوك. وقيل: الطيور، ومن هنا أصبح معناها جزيرة الشوك، أو جزيرة الطير.

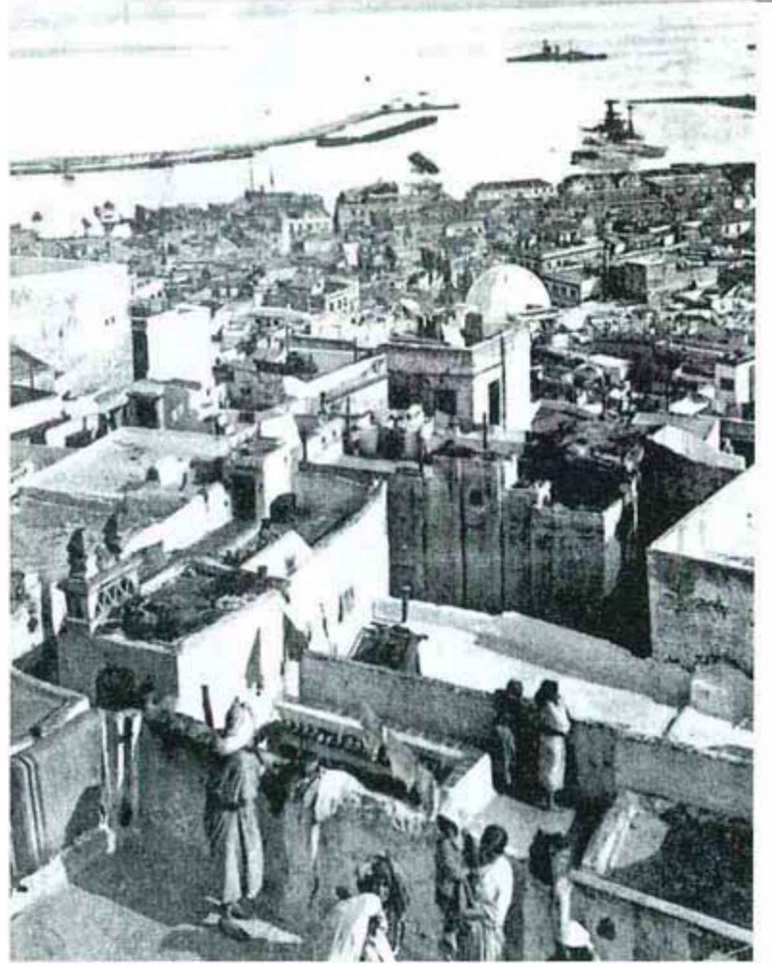
بلغ عدد الأزقة في العهد التركي ١٥١ زقاقًا. لا يسع الزقاق لمرور جملين في اتجاه معاكس. ومنها من لا يسع لجمل واحد بسبب الطوابق التي بنيت فوق النهج. وعلى الرغم من ذلك لهذه الأزقة الضيقة. والأنهج الملتوية. والدروب الم[illegible]لة فائدة. فهي تقي من حرارة الشمس في الصيف. وتجلب الدفء في الشتاء

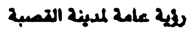
بعد أن بنى بلكين القصبة كثر السكان، فاضطروا إلى بناء طوابق علوية، وركز الطابق العلوي على الأضلاع المائلة المعتمدة على الطابق القديم، بحيث تحولت معظم الأنهج في الأخير إلى أنفاق ودروب لا تعرف الشمس طريقًا للتسرب منه، ولا يمكن للناظر أن يراها إلا بمشقة، ومنها من لا ترى الشمس طوال اليوم، وفي القصبة عيون كثيرة متوزعة على مساحتها بحيث تلبي حاجيات السكان، ولا يتحملون مشقة جلب المياه من خارج أسوار المدينة، وهي خمس عيون صالحة للشرب (عين مرزوقة، وعين العطش، وعين العلج، وعين السلطان، والعين الجديدة)، ومع ذلك،

مثلما كانت القصبة. ولا تزال شيطان وادي عبقر بالنسبة إلى الفنانين والأدباء كانت كذلك بالنسبة إلى الفنانين التشكيليين الجزائريين. كمحمد راسم. وغيره. ولا يخلو معرض لفنان. أو متحف. أو مؤسسة تعليمية من نقوش لوحات لأحياء القصبة العتيقة



سوق في الشارع العربي أو ما يسمى (زنقة لعرب) بالقصبة





رؤية عامة لمدينة القصبة

وبتضاعف عدد السكان حفرت الآبار في بهو المنازل.

وفي القرن السادس عشر بنيت إلى أعلى القصبة الصنهاجية، وفي موقع أكثر ارتفاعًا من الموقع الذي اختاره الصنهاجيون قصبة الأتراك التي امتازت باقتراب البيوت والأسطح بعضها من بعض، والتي أصبحت في وقت قريب وسيلة للتواصل بين النسوة عن طريق الزغاريد، فإذا احتاجت إحداهن الأخرى تطلع إلى السطح وتزغرد أمام سطح الجارة فتصعد هي الأخرى.

وحتى هذه القصبة الجديدة التي بنيت في أعلى القصبة القديمة تحولت، مع مرور الوقت، إلى أزقة مظلمة وضيقة مفروشة بالحجر الجيري، لا يزيد عرضها على مترين إلا نادرًا، بل إن بعض الأنهج تحولت إلى أزقة، لا يمكن العبور منها إلا لأبواب المنازل، وهي أبواب ضيقة ومتينة رصعت بالمسامير، وشدّت بالألواح السميكة، ولا يمكن فتحها إلا بمشقة، وربطت أغلبيتها بحبل يتدلى منها ثقل يساعد على فتح الباب، أو إغلاقه آليًا.

بلغ عدد الأزقة في العهد التركي ١٥١ زقاقًا، لا يسع الزقاق لمرور جملين في اتجاه معاكس، ومنها من

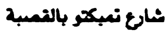


أحد شوارع القصبة

لا يسع لجمل واحد بسبب الطوابق التي بنيت فوق النهج. وعلى الرغم من ذلك لهذه الأزقة الضيقة، والأنهج الملتوية والدروب المغطاة فائدة، فهي تقي من حرارة الشمس في الصيف، وتجلب الدفء في الشتاء، وفي هذه الدروب الضيقة استعملت الحمير والبغال لنقل النفايات، ولا زالت الوسيلة الوحيدة حتى وقتنا الحالي، فلا يمكن لأية عربة أن تدخل القصبة، كانت الدواب، فيما مضى، تبقى في الإسطبلات خارج أسوار المدينة.

أحياء القصبة

تشير الدراسات التاريخية إلى أن القصبة هي العاصمة السياسية للأتراك، حصنها العثمانيون بأسوار شامخة يبلغ طولها من ١٠ إلى ١٢ مترًا، كما اجتهدوا في بناء خنادق في أسفل المدينة، عميقة وواسعة، بالإضافة إلى أبراج عالية، وقد حرص القائمون على شؤون المدينة من ذوي المناصب المرموقة على إغلاق الأبواب من غروب الشمس إلى شروقها، لا تفتح بتاتًا، وبأي وجه من الأوجه، ويتوزع السكان في القصبة حسب الطبقة الاجتماعية، التي ينتمون إليها، فمثلاً حي البحرية تركزت فيه الطبقة الأرستقراطية من الأتراك، بالخصوص: أصحاب المصالح التجارية، وحي باب الوادي يتركز فيه اليهود والتجار. أما حي باب عزون فكان للأجانب وأصحاب التجارة من الأهالي، ثم حي القصبة القديمة للعرب والقصبة الجديدة أو ما تعرف



شارع تمبكتو بالقصبة





باب أحد المباني القديمة

بالقصبة العليا فللإنكشارية، والدايات، وأصحاب المناصب في الدولة. كما تتوزع الأسواق كذلك بشكل منظم، منها سوق باب عزون، وسوق باب الوادي، وسوق السردين بالقرب من باب الديوانية، وسوق الخشب، وبجانبه سوق القمح، ثم الفنادق لإيواء المسافرين.

حتى قصبة الأتراك لم تسلم من التغيير، فالجزء السفلي استبدل به شوارع من الطراز الحديث لإيجاد ملجأ للسكان الأوربيين داخل أسوار المدينة، أما القصبة العليا فقد ظلت مركزًا للحياة الإسلامية، ففي عام ١٩٠٥م تشكلت جمعية الجزائر العتيقة، وهي أول جمعية أخذت على عاتقها مهمة البحث عن آثار المدينة الإسلامية، والمحافظة عليها.

القصبة شيطان وادي عبقر لمبدعي الجزائر

البيوت المتيقة، والأزقة الضيقة، والأبواب الثقيلة جزئيات لمدينة مركزة، وجد فيها المبدعون ضالتهم باختلاف مجالاتهم، إذ تركت الهندسة المعمارية للقصبة أثرًا جميلاً في نفوس الأدباء والفنانين الجزائريين، مثلما

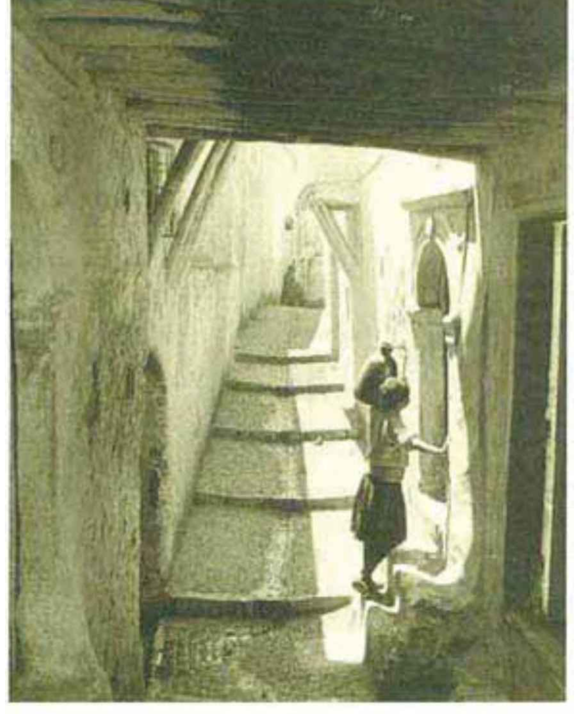


السوق في قصبة يجمع بين القديم والجديد

كانت سدًا منيعًا في وجه المخرب الفرنسي الذي عجز عن معرفة سراديبها، وحصر أزقتها ومنازلها، كانت الأسطورة والرمز بالنسبة إليهم، فارتبطت بذلك بتاريخ الثورة الجزائرية، إذ كانت مركزًا يحمي القادة والمسلمين من عيون البوليس الفرنسي الذي يترقبهم، فكانت تسمح للمجاهدين باختيار الوقت للهجوم، الذي يتكلل بالنصر في معظم الأحيان. فالطبيعة المعمارية، وكثرة المنازل التي تفتح أذرعها لاستقبال المجاهدين داخل أقبيتها العتيقة، والتي يعرض أصحابها أنفسهم إلى الخطر، وفي أحد أقبية المدينة الهاربة من الزمن خطط لمعركة الجزائر بقيادة العربي بن مهيدي، وعمار ياسف، وعلي لابوانت، وحسيبة ابن بوعلي، وغيرهم. فكل ركن من القصبة العتيقة، وكل السلالم مازالت تحتفظ بوقع أقدام من سماهم الفرنسيون «الفلاقة» (المجاهدين)، بيوت كثيرة عانقت الخوف والأمل، مع رجال قاموا حفاظًا على الدين والعرض واللغة والوطن.

علّق عدد من الأدباء بالقصبة فجعلوها مكانًا روحيًا لكل نصوصهم، بما تحمله من وزن تاريخي ينبجس من جدران تقول: هنا كان يتكئ رجل قبل سبعة قرون، ومن بين هؤلاء الأديب الجزائري محمد ديب في رائعته «الحريق» التي خلد من خلالها تلك المواقع، حيث أرّخ للثورة التحريرية فوقف عند الحياة العاصمية بكل عمقها، فكانت الدار الكبيرة عند الجزائريين هي القصبة. والقصبة هي الدار الكبيرة حيث جرت أحداث الحريق.

ومثلما احتوت الثورة الجزائرية، وألهمت الأدباء، أنجبت من بين ظهرانيها معظم شيوخ الفن الشعبي، وليس هذا من قبيل المصادفة، بل كل جدار يحرك موهبة، وإن كانت مدفونة في الأعماق. كان مؤسسو مدرسة الفن الشعبي الجزائري العريق من سكان القصبة بدءًا بالحاج محمد العنقي عميد الفن الشعبي، ومرورًا بتلاميذه وصولاً إلى عمر الزاهي، وغيرهم، الذين عمدوا إلى نوع من



لوحة من زمن مضى

الحان وكأنها تفجرت من باطن أزقة القصبة لما فيها من تزواج حسي رائع، وإن عرجنا قليلاً إلى قعدات الشيخة فضيلة الدزيرية في أثناء إحيائها الأعراس، والقعدات في فناء أهالي الحي العتيق ندرك أنه كان لا بد أن يرتفع صوت العود بهذه الألحان دون كل ألحان الدنيا. ومثلما كانت القصبة ولا تزال شيطان وادي عبقر بالنسبة إلى الفنانين والأدباء كانت كذلك بالنسبة إلى الفنانين التشكيليين الجزائريين، كمحمد راسم، وغيره، ولا يخلو معرض لفنان، أو متحف، أو مؤسسة تعليمية من نقوش ولوحات لأحياء القصبة العتيقة، ولكن قصبتنا الآن التي كانت ملهمة الجميع، تعاني التهميش والتمزق والضياع،

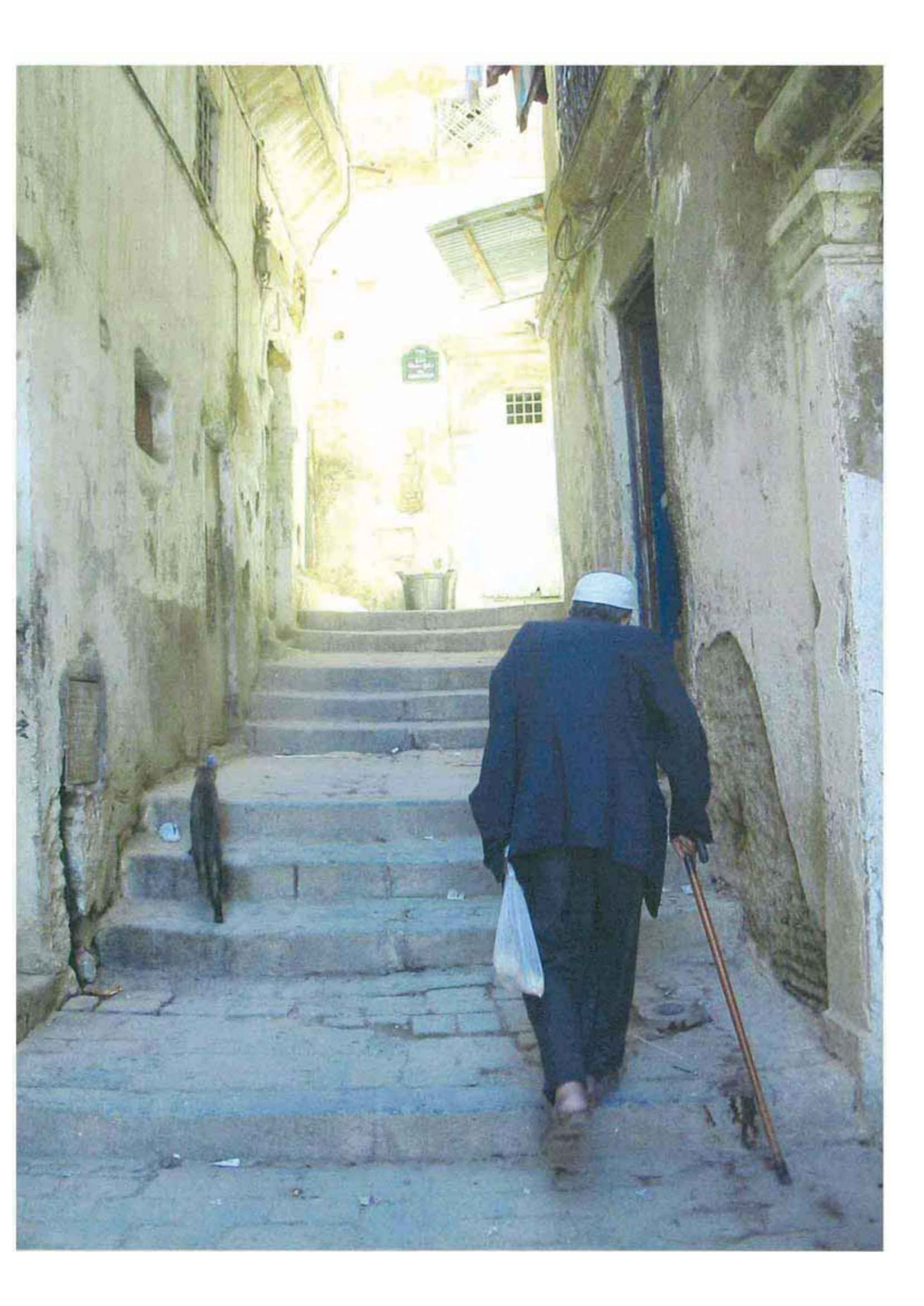


شارع من شوارع القصبة



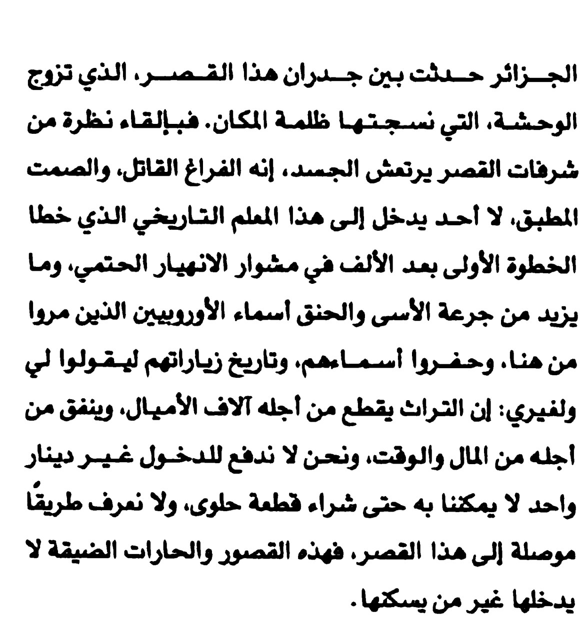
وهذه المادة الحضارية التي لا تفنى في خيال المبدع تفنى قليلاً مع مرور الزمن بسبب الإهمال.

تبدو القصبة اليوم وهي تتربع على مساحة تقدر بـ ٧٠,٨٨ هكتارًا، ويقطنها ٥١ ألف ساكن كورشة كبيرة. ففي الجزء العلوي منها، وبالضبط في القلعة، تجري ترميمات للجناح رقم ثلاثة، الحي الإنكشاري، والمسجد القديم استنادًا إلى ما بقي من الدراسة التي قام بها المهندسون البولونيون لحماية القصبة في عامي ١٩٨٤م و١٩٨٥م، وحسب السيد كمال متار تقني سامي قال: إن الأعمال تجري على قدم وساق إلا أن قصر الباي، وقصر الداي بقيا دون ترميم؛ لأن الأول يكلف نحو ٨ر٥ مليارات سنتيم جزائري، والثاني يكلف ٢٠ مليار سنتيم جزائري، لكون قصر الداي يعدّ - بحق - قلب القلعة؛ لأنه يتوسطها من الناحية المعمارية، وكذلك بالنسبة إلى المكانة التاريخية، فحادثة المروحة التي عدّها الفرنسون حجة لاحتلال





سوق شعبي في القصبة



الجزائر حدثت بين جدران هذا القصر، الذي تزوج الوحشة، التي نسجتها ظلمة المكان. فبإلقاء نظرة من شرفات القصر يرتعش الجسد، إنه الفراغ القاتل، والصمت المطبق، لا أحد يدخل إلى هذا المعلم التاريخي الذي خطا الخطوة الأولى بعد الألف في مشوار الانهيار الحتمي، وما يزيد من جرعة الأسى والحنق أسماء الأوروبيين الذين مروا من هنا، وحفروا أسماءهم، وتاريخ زياراتهم ليقولوا لي ولغيري: إن التراث يقطع من أجله آلاف الأميال، وينفق من أجله من المال والوقت، ونحن لا ندفع للدخول غير دينار واحد لا يمكننا به حتى شراء قطعة حلوى، ولا نعرف طريقًا موصلة إلى هذا القصر، فهذه القصور والحارات الضيقة لا يدخلها غير من يسكنها.

انقراض الصناعة التقليدية

كل شيء في القصبة يحكي الماضي بكل اللغات؛ مما يجعلها مدينة سياحية لا يحتاج زائرها إلى مترجم، وإن كان لا يفهم غير لغة من اللغات البائدة؛ لأن المراقة لا تحتاج أبدًا إلى وسيط. في الماضي كانت القصبة مشهورة بأسواقها المميزة كسوق النحاس، وسوق الفضة، وسوق الحرير، أما الآن فلم يعد لهذه الأسواق أثر، هكذا قال عمي: «عندما دخلنا ورشته بحي زوج عيون بدا متأثرًا بما آلت إليه حالة الماضي في العشرينيات الماضية، ثم استرسل الحديث بكثير من الحب عن حرفته، التي تعلمها عن معلمه المغربي «زولو محمد» في عام ١٩٤٩م، واشتغل في الصناعات النحاسية حيث قال: إن شباب اليوم يعزف عن تعلم هذه الصنعة في حين كان هو يترجى الصانع المغربي كي يعلمه، وعن السياحة قال: يذكر قبل سنوات قليلة من الاستقلال طابور السياح الذي كان يتقدمهم مرشد حيث كان يرى أوله، ولا يمكنه بأي شكل من الأشكال أن يرى آخره، حيث كانوا يطوفون الزنيقات (الحارات).

من المؤسف أنه في كل القصبة لم يبق سوى أربع ورشات تهتم بالصناعة التقليدية، ومثلما انحسر عدد الورشات انحسر عدد السياح، فبعد أن كان يزيد على أربعمئة سائح يوميًا بين عامي ١٩٥٧م و ١٩٦٠م لا تسجل المتاحف الموجودة بالقصبة، دخول سوى سائح واحد أو اثنين في الشهر، وتذكرة الدخول لا تزيد على ١٠ دنانير بالنسبة إلى الأجانب أي ٠٫٨ دولار.

قصبة الجزائر تصنف الآن ضمن التراث العالمي، معلم، على الرغم من مرور القرون، مازال يقاوم الزمن والإهمال، وككل الأشياء العتيقة يقف بكبرياء ألف فارس مرورًا من هناك ليحتضن آلاف السكان، قد لا يعرفون شيئًا عن تاريخها، وعن قيمتها، فهي بالنسبة إليهم سقف يأويهم في انتظار ترحيلهم للأسمنت المسلح، وبمجرد أن يرحلوا يجيء بعدهم سكان آخرون، وكأنهم ينبتون من رحم الأرض.



بطاقتا مسرح

محيي الدين شيخاني
دمشق ـ سورية

منذ شرائه بطاقتي مسرح، وعشرات من الصور تتراءى له، تدغدغ أحاسيسه، تغريه، تثير كوامنه. وعشرات من الأصوات، تناديه، تحذره، تهيب به، لقد تغيرت حاله منذ شرائه هاتين البطاقتين، أصبح أينما حلّ، وحيثما ارتحل يرى نفسه في مسرح، والناس أمامه ممثلون، بل لقد ذهب به التفكير أبعد من ذلك، فالأرض كلها مسرح يمثل عليه البشر، ويهوله أمر الإحاطة به فيقول: الأرض مسرح تمثل عليه الدول والحكومات، بل الشعوب والثقافات.

قبل قليل كان يتناول طعام الغداء في زاوية من مطعم الطلبة الأجانب، ٤ شارع (إكساكوف) فيقول: وهذا مسرح من نوع خاص.

يدخل أحدهم فيودع معطفه، وما يحمل من لوازم الدراسة عند عاملة المشجب، ثم يقف في مؤخرة طابور يطول ويقصر، يبحث في حيوية عن بطاقة الطعام، يسلمها في الكوة الأولى، ويأخذ من الثانية صينية يضع عليها أطباق الطعام من الكوى التالية.

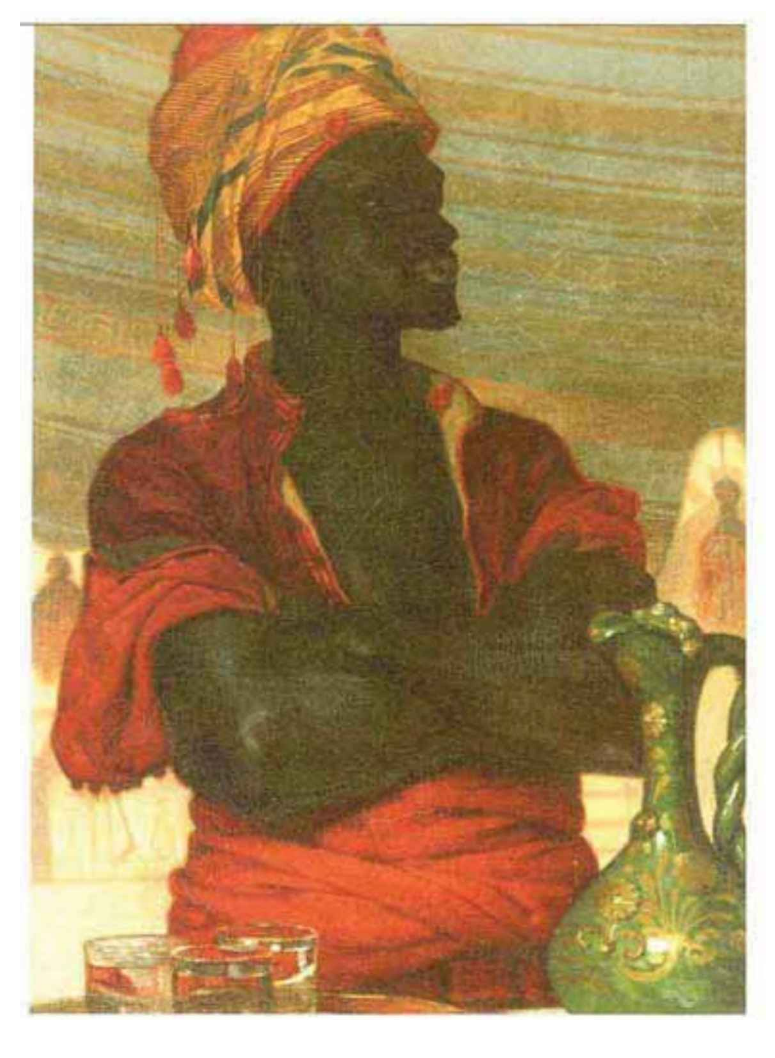
ها هو ذا فتى إفريقي عملاق يحمل طعامه، ويجيل ناظريه بحثًا عن مكان شاغر، ثم يقف أمام طاولة يجلس عليها فتى وفتاة أوربيان. يسأل إن كان المكان شاغرًا، ينظران إليه، ويسرعان في تناول ما بقي من الطعام، ليغادرا وكأنهما يهربان، والفتى فاغر فاه، تتلألأ أسنانه كنجوم الدجى، وعلى ملامحه حشد من معانٍ شتى.

كان يظن أن الأفارقة لا يصلحون للتمثيل، إذ كيف تظهر على ملامحهم الدكناء، تعابير عن خبايا نفوسهم، أما الآن فهو يقر بأن الأفارقة يشاركون الآخرين في الأدوار.

خرج قاصدًا موقف الحافلة إلى المدينة الجامعية، مر بمقهى «برلين»، أكثر الممثلين عرب، والممثلات ماثلات مميلات.. وقف أمام لوحة إعلانات السفارة الصينية لينقل بعض ما فيها لصاحبه جيورجي الذي يغبطه على المتاح له، ويشكره على ما ينقل له من ذلك. ابتسم وهو ينظر إلى صورتين: الأولى لمجموعة من الفدائيين الفلسطينيين كتب تحتها: «إن هؤلاء الفلسطينيين يعلمون أن أفضل وسيلة لتحرير بلادهم، تكون بتطبيق أفكار الرئيس ماو» والأخرى لجراح صيني، وتحتها: «إن عمليات هذا الجراح ناجحة: لأنه يطبق أفكار الرفيق ماو».

تابع المسير، على يساره تمثال «كليمنت اوخريدسكي» على باب الجامعة، يثير في نفسه أكثر من تساؤل، ليس أهمها عن مكانه ودوره في مسرح الحياة.

استقل الحافلة، اجتازت جسر «النسور»، تسير على شارع «لينين» بمحاذاة حديقة الحرية، غازلها الربيع ففارت وفاحت، تجتذب العشاق، يدخلونها من هنا



وهناك، يراهم، يضم بعضهم بعضًا، سائرين أو هم جلوس، ها هي ذي حقيقة بعض ما يتراءى له من صور.

جلس في مقعد: متعبًا مستثارًا. تذكر بطاقتيه، غمض عينيه، يستعيد قصة شرائهما.

لم يستقر على وصف لذلك اليوم الذي قالت فيه المعلمة: . وقد أمضى ورفاقه ثلاثة أشهر في تعلم اللغة البلغارية . إنكم الآن تعرفون كثيرًا من المفردات والقواعد، وما عليكم إلا أن تتحادثوا بها، وقد اتصلت إدارة المعهد لهذا الغرض بمنظمة الكومسمول «الشبيبة»، فتعهدت بإرسال فتيات يساعدنكم في هذا المجال، ثم جاء يوم قرع فيه الباب وفتح، ودخلت مجموعة من الفتيات ما إن رأتهن المعلمة حتى نهضت، تبش في وجوههن مرحبة، تقدمهن لتلامذتها، ها هن أولاء الرفيقات اللاتي حدثتكم عنهن، جئن لمساعدتكم، لن نضيع الوقت، ثم وهي مبتسمة: واحدة لكل واحد. وأشارت إليه إحداهن: أريد أن أكون مع هذا الفتى. حسنًا هذه رفيقتك يا محمد.

فرغت من التوزيع، تلملم أوراقها، وتلبس معطفها وهي تقول: ليجلس كل مع صاحبته للتعارف، لن أحضر هذه الحصة في الأسبوع القادم، ستلتقون لتخرجوا للسير في المدينة وتتحادثوا، المهم أن تتحدثوا أنتم، أليس كذلك يا محمد؟ ثم التفتت إلى مارغريت التلميذة الأمريكية ذات الأصل البلغاري: أما أنت فيكفيك أن تتحدثي مع زوجك.

. اسمي إنطوانيت، أعيش وأمي وأختي.

. اخبري أمك أن قد صار لكما أخ، تابعت كأن لم تسمعه.

. لا أكاد اتحدث مع أمي، إلا في أيام العطل، فهي تذهب إلى العمل قبل أن أستيقظ، وعندما أعود من سهراتي أراها نائمة، إن ارادت إحدانا من الأخرى شيئًا، تكتب لها على قصاصة ورق.

. اسمي محمد، لي خمسة إخوة وثلاث أخوات، أنا أكبر إخوتي، وعندما يكتبون لي يوصونني بالتمسك بالأخلاق والفضيلة.

مضت بضعة أسابيع، وتفاوتت علاقات كل بصاحبته، فبينما لم يتجاوز بعضهم هذه الساعة من اللقاء، ذهب بها بعضهم مدى بعيدًا . ثم كان يوم قالت المعلمة فيه: هؤلاء الفتيات يساعدنكم، وارى أن نظهر لهن التقدير لجهودهن، فندعوهن إلى حفلة باليه أو أوبرا، تعرض الآن في دار الأوبرا باليه «بحيرة البجع»

للموسيقار الروسي الشهير «جايكوفسكي»، ما رايكم أن ندعوهن إليها؟ هلل بعضهم لذلك وبقي صامتًا، وتابعت المعلمة: سنشتري بطاقات المجموعة فنستفيد من الرخص في هذه الحالة، وافق زملاؤه، وبقي صامتًا.

ـ ما رأيك يا محمد؟

ـ لا أذهب إلى الباليه.

ـ ولكن من أجل «إنطوانيت» سيكون محرجًا لها إن دعيت زميلاتها ولم تدع.

ـ ولكني لا أريد مشاهدة الباليه.

ـ حسنًا سأدعوكما إلى هذه الحفلة، آمل أن لا ترفض دعوتي.

ـ لولا ما يحول دون مشاهدتي البالية لدعوتها، ولكن قلت: لا أذهب إلى الباليه. أشاحت مغضبة.

ـ كعهدي بك عنيد دائمًا. سكت مرتاحًا لهذه النهاية، ولم تكفّ عن النظر إليه بين الفينة والأخرى، وهي تجمع النقود من زملائه، يعز عليها أن لا تجد منفذًا إليه.

قبل موعد حفلة الباليه فاجأته في أحد الأيام.

ـ ألم تقل إنك تذهب إلى المسرح يا محمد؟ صمت لحظة، فهم مغزى السؤال، وما وراءه.

ـ نعم.

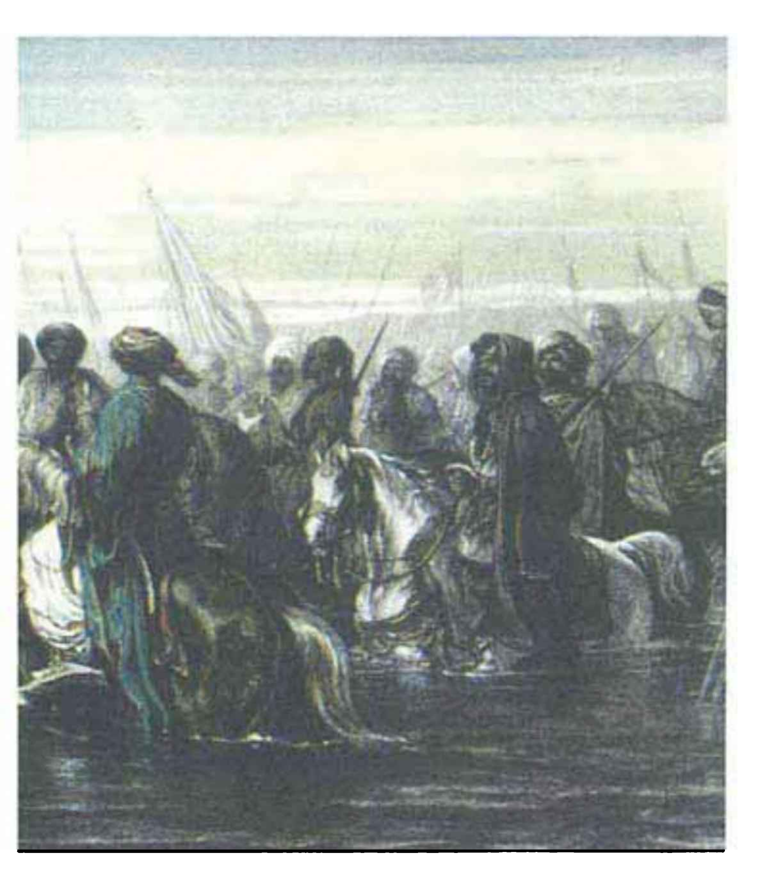
ـ ما رأيك بدعوتها لمشاهدة إحدى المسرحيات؟ قدر موقفها بين زميلاتها، لعل هذا حل مناسب.

وكان أن اشترى هاتين البطاقتين لمسرحية «الملك إيفان شيشمان».

أيقظه صوت قاطعة التذاكر، وهي تنادي مذكرة بالاقتراب من موقف المدينة الجامعية، فغادر مسرح ذاكرته، لينهض مغادرًا مسرح الحافلة إلى مسرح أرحب، ثم عادت المسارح تتداخل عندما تذكر أن موعد المسرحية بعد ساعات، وتداخلت معها ما يرى، وما تتراءى له من صور.

وعلى الرغم من خفوت الأصوات فإنها جعلته لا ينسى البريد عندما مر ببوابة البناية التي يسكن فيها، تسلم رسالة من أخيه، راح يقرؤها، يسرع الخطا وهو يمر بمجموعة من الفتيات الزائرات!. نادته إحداهن باسمه، صاحبة زميله سمير. ـ أرجوك يا محمد أن تبحث عن سمير، وتخبره أنني أنتظره، لقد قرعت البوابة جرس غرفته ولم يجب أحد، لعله عند بعض زملائه.

استلقى على السرير يعيد قراءة رسالة أخيه وفي نهايتها (...... أبي جالس بجانبي، لما علم أني أكتب لك قال: سلم عليه وقل له: أبي يوصيك. سألته بم توصيه



يا أبي؟

فكر قليلاً ثم قال: قل له، وهو يعلم بم أوصيه).

أخرج البطاقتين تتنازعه الصور والأصوات، ما إن يتابع صورة ويشعر بالدفء، ينتقل معها إلى عوالم تكاد تخدره، حتى تعلو الأصوات تذكره وتحذره، يعلو عليها هذا الصوت الجديد «أبي يوصيك».

مسرح الشعب «إيفان فازوف» الصف الثاني، وبالأحمر كتب على البطاقة رقم المقعد «٢٠» هذا المقعد إلى اليسار ليكن لها. أما الرقم «٢١» فإلى اليمين، وسيكون له. ينظر إلى البطاقتين كما ينظر طفل المندل إلى فنجان الزيت.



يرى في الأولى الضباب مختلطًا بهباب الفحم تنفثه مداخن المعامل والمصانع والقاطرات، وفي مقدمة الصورة قضبان السكك الحديدية وقباب الكنائس، وأبراج نواقيسها يعلوها الصليب، وفي الثانية الصحارى، فيها الحداة والظعائن والفرسان؛ وفي مقدمتها المساجد بمآذنها يعلوها الهلال.

تردد بنظره بين البطاقتين، تقلب بين اليقظة والنوم، توزعت نفسه بين الصور والأصوات، والإقدام والإحجام، والرغبة والرهبة، تجذبه الأرض وتدعوه السماء، كأنما سُلب الإرادة، لا يملك منها إلا ما يقتضيه الذهاب إلى المسرح. نظر إلى ساعته، نهض، قام ببعض الواجبات.

وقف أمام المرآة يحلق ذقنه، فتوقف جيورجي عن القراءة يراقبه، ولما بدأ بارتداء ملابسه، قال جيورجي مبتسمًا:

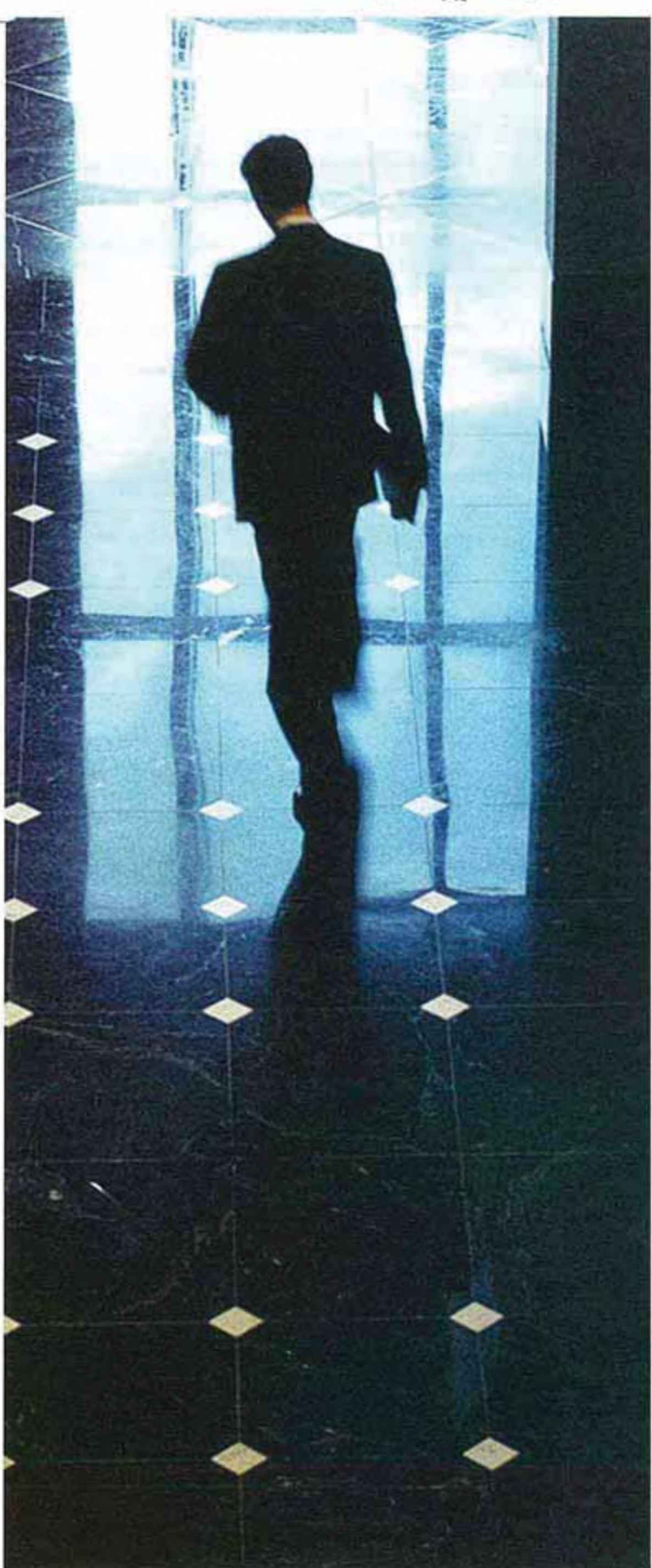
- هذه البدلة كفيلة بإدارة رأس المسكينة.

- ليس هناك ما يثير غيرتك يا جيورجي.

- تعلم أني لا أغار على مثل هؤلاء الفتيات، ولكني ما كنت أريدك أن تلعب بالنار. الناس يتوافدون إلى المسرح، مثنى وفرادى، وهو يذرع الرصيف جيئة وذهابًا، ينظر إلى ساعته. ينتظرها، لا يقر لرغبته قرار، يتساءل إن كان يريدها أن لا تأتي.

لم يبق لبدء العرض إلا دقائق، يستبعد عدم المجيء، وتتعدد الاحتمالات في سبب التأخر. ينظر إلى الساعة ثم إلى باب المسرح ويعود ينظر إلى الشارع من جهتيه، يفكر في العودة وأخيرًا تظهر من بعيد تحمل حقيبة كبيرة بعض الشيء، تبادلا التحية على عجل سألها عن الحقيبة فأجابت وكأنها تمنُّ عليه. كنت في حمام السوق.

خلع كلٌّ معطفه، سلمه لعاملة المشجب، فتمتمت



تستنكر سلوكه:

- ما هذا النوع من الفرسان؟

اشترى نسختين من كراسة تعرف بالمسرحية وكاتبها، ولما استقر بهما المقام أعطاها نسخة وراح ينظر في الثانية، مالت برأسها إليه، تناثر بعض شعرها على كتفه، شم رائحة عطرها، قالت وهي تضع يدها على مسند المقعد بينهما:

- هل تفهم يا محمد؟

- بعض الشيء.

ها هي ذي حقيقة بعض صوره، لحظة انتظرها منذ شرائه البطاقتين، يتطلع إليها ويتهيب ما تحمله إليه. وما يتوقع بعدها، والأصوات خافتة لا يكاد يسمعها، يكفيه أن يرفع يده، يضعها على اليد الممدودة إليه حتى يحسم أمره وينتقل إلى ما تصبو إليه دوافع ونوازع عميقة في كيانه، يهم فيشعر بيده ثقيلة أقرب إلى المشلولة.

يوقظه ارتفاع صوت على المسرح، ينظر، فإذا بالحاجب أمام الملك وحاشيته:

- رسول من السلطان العثماني يا سيدي. يأذن الملك بالدخول، فيدخل الرسول بزيه التركي، يخرج رسالة يمسكها بيديه من أعلاها وأسفلها.

- شروط الهدنة مع البلغار، يتلوها بصوته المرتفع الواثق بندًا بندًا، وفي النهاية يرفع نظره إلى الملك.

- وأن يتزوج سيدي السلطان الأميرة (صوفيا) أخت الملك «إيفان شيشمان» فيمد رجال الملك أيديهم إلى قبضات سيوفهم يقولون:

- السلطان متزوج يا جلالة الملك، ويرد الرسول.

- عندنا في القرآن مسموح الزواج من أربع، يسمع همهمة وضحكات خافتة بين النظارة، وتقول:

- كم تحبون النساء حتى إنكم لتشعلون الحروب من أجلهن.

- ونقدرهن، وقد نتزوج لوقف الحروب أو درئها.

- الصداقة بين الشعوب لم تدع حاجة للحرب من أجل النساء، وسهلت على من يريد أن يتزوج أو يصاحب.

الجولة للأصوات تعلو ويعلوها: «والدي يوصيك». انتهت المسرحية وما زالت، سألته إن كان سيوصلها إلى البيت، أجاب بنعم وهما يخرجان من المسرح، سارت به في شوارع فرعية، عبرت به حديقة خفتت فيها الأضواء، تتباطأ كلما مرت بمقعد، تخفيه الأشجار، ويحدثها عن رسالة أخيه وبعض فقراتها.

استقلا الحافلة ثم الترام، وعندما نزلا أشارت إلى بناية.

وفي هذه البناية في الطابق الثالث بيتنا، توقف دون الباب، فتحته ودعته للدخول.

- سأعود إلى المدينة الجامعية.
- بعد أن تشرب فنجانًا من القهوة عندنا.
- شكرًا، الوقت متأخر، أريد أن أصل قبل أن تغلق الأبواب.
- لا عليك، ستنام عندنا، وهي تقترب منه أكثر، في غرفتي.
- بل سأعود إلى المدينة الجامعية، ليلة سعيدة، متنمرة قالت.
- إن رفضت دعوتي فقد لا تراني بعد الآن.
- آسف لذلك، ولكن علي أن أعود، أحلام سعيدة.

وجد جيورجي ساهرًا مستلقيًا على سريره ينظر في كتاب، يغالب النعاس، اكتفى برد التحية، ينظر إليه بين الحين والآخر، لا يستعجل الحديث، يعلم أن لديه ما يقوم به كالمعتاد، غير ملابسه، توضأ، صلى، أخذ المصحف يقرأ في سورة يوسف، يراقبه جيورجي بفضول.

ولما قرأ ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ سالت الدموع من عينيه، فقال جيورجي:

- ألم أقل لك: لا تلعب بالنار.
- لم يكن شيء مما تظن، كنت أقرأ قصة يوسف، لعلها عندكم كما هي عندنا. برقت عينا جيورجي، نشط، نهض وأتى بعد قليل بتفاحة في صحن مبتسمًا:
- هذه ليست مما آخذه من المطعم الذي أعمل فيه، إنها من غدائي.
- سنأكلها على طريقتكم، نصفها لي ونصفها لك.
- بل كلها لك.
- تعال لنأكل وننام فقد مضى الليل.
- ليلنا طويل يا محمد.
- بل إن الفجر يوشك أن ينبلج.
- لئن أدركنا الصباح فإن لدي الكثير مما أقوله لك، والكثير مما سأسألك عنه.





اللوحة التي لم تكتمل

هشام مصطفى
القاهرة ـ مصر

لرسمي القديم أجرُ خيوطًا
فأيَ النساءِ تُرى قد رسمتُ
وعشقي لحرفٍ يفوقُ انتظاري
وشوقي لرسمِكِ حفرٌ ونَحْتُ
زجاجةُ وعدي.. وكوب ارتوائي
اطلا عليَّ..... بماذا ارتطمتُ!!
ووجهُكِ فوق المرايا حطامٌ
فأيَ الوجوهِ تُرى قد كسرتُ؟!
تراقبُ وجهي شظايا الحنين
ويسكبُ لوني شرودٌ وصمتُ
فماذا سيفعلُ لوني الوحيدُ
لثغركِ بعدي إذا ما انسكبتُ
لأنكِ لونٌ تحاشى الرتوشَ
فآثر هجركِ لحنٌ وبيتُ
وحاربَ ظني إليكِ اشتياقٌ
فمرتْ غيومٌ وخانكِ وقتُ
وهاجرَ خلفكِ لوني ذبيحًا
تُراني أكونُ الذي قد ذُبحتُ؟!
ففَنتْ على لون جُرحي جروحٌ
بدأتُكِ جُرحًا فأينَ انتهيتُ!!



في صمتها الطرب

بهيجة مصري إدلبي

حلب ـ سورية

قـولي: لمن هذه الأمـجـادِ يا حلبُ
ومن إذا صـمـتت في صـمـتـهـا الطربُ

ومن إذا وقـفـت قـال الزمـان لهـا
هـذي خـزائن أسـراري ومـا تهبُ

أنت المسـافـة مـا بين الهـوى ودمي
تسـتـأثرين بروحي والهـوى سـببُ

من كلمـا نزلت في الروح تحـملني
للسـرّ حـيث هناك الحلم يقـتـربُ

شـهـبـاء يا رحلة في نهـر ذاكـرتي
يا منهل الحب والعـشـاق كم شـربوا

أيقظت في دمنا تاريخ نشـأتنا
أنّى ذكـرتِ يكون الشـعـر والأدبُ

أنت البـداية منذ كـان الزمـان فـتى
أسـرفت في الحسن أنت الفـتنة العـجبُ

ضـمّي أسـاطيـر أحـلامي بما حـملت
وعلّمـيني صـلاة مـا لهـا حـجبُ

وأرسـليني إذا مـا الليل أرسـلني
إلى كـتـاب الهـوى إن ضلت الكتبُ



الموت خلف لحظة الرحيل

حمزة قناوي

القاهرة ـ مصر



تنادت الغيوم في السماء..

.. لتلتقي.. وتنسج الظلال

غلالة رقيقة على الشجر..

.. تلفه.. وقد تفتحت وروده على الغصون

وذاع في المدى تضوع الأريج...

وكنت أنتظر

لربما تأتين في بهائك البهيج

وربما تطول وحدتي هنا

ويقبل النشيج

يلف عالما أضاءه الأمل

فيرحل السحاب والنسيم والمروج!

جلست في ترقبي

لعلني أرى منديلك الذي يلف جيدك الجميل

ويمنح النجوم للطريق.. يثير الضياء

لعلني سمعت وقع خطوك الخجول..

... سمعت ذلك الغناء

يسير فوق أرضي التي أصابها الذبول

فينثر النضار والربيع والنماء!

جلست في ترقبي!

جلست خائفًا أرجّي الدقائق الخرساء.

وفجأة..

اذاعت الأنسام سر عطرك القديم

وهللت كواكب زرقاء

لونتها من انفلاتة العيون نحوها

.. وأشعلت نجوم!

أتيت.. جاش كل ما في الأرض بالغناء

وأنت تقبلين في إزارك الشفيف عالمًا من البهاء

نظرت لي فمسني الهيام بالجنون

بعالمين أزرقين يرقصان في العيون

وأنت تمدين كفك الدفوقة الحنان لي

وليت كنت قد مددتها تجاه قلبي الوجيع..

.. لينتهي أساه للأبد!

ولفنا الحديث في انطلاقة الشفاه
تسابق الزمان عبرنا.. ونحن لا نراه
غبنا عن لقائنا الحياة!



لكن ثمة ارتعاشة طفت على العيون
وأنت تنظرين للوجود حولنا
وترقبين في المدى تسلل الظلام
أخافت الفؤاد!
وقد وشى شحوب وجهك الجميل بالرحيل
ها أنت تهمسين بالوداع
وتتركين لي تَيَتُّمي
يرقرق الدموع في العيون
ها أنت ترحلين..
فيرحل الوجود خلف خطوك الذي يشده المدى
لينصب الحنين لي مشانق الأسى
وأنت في غلالة الغروب تختفين
يمزق الفؤاد من تحسري عليك
وقد مضى يشده الوثاق للعذاب
وها هي المباهج التي أحيا مواتها اللقاء في دمي...
تغتالها على شواطئ الرحيل لحظة الغياب





فلسفة جديدة للقمر

ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي

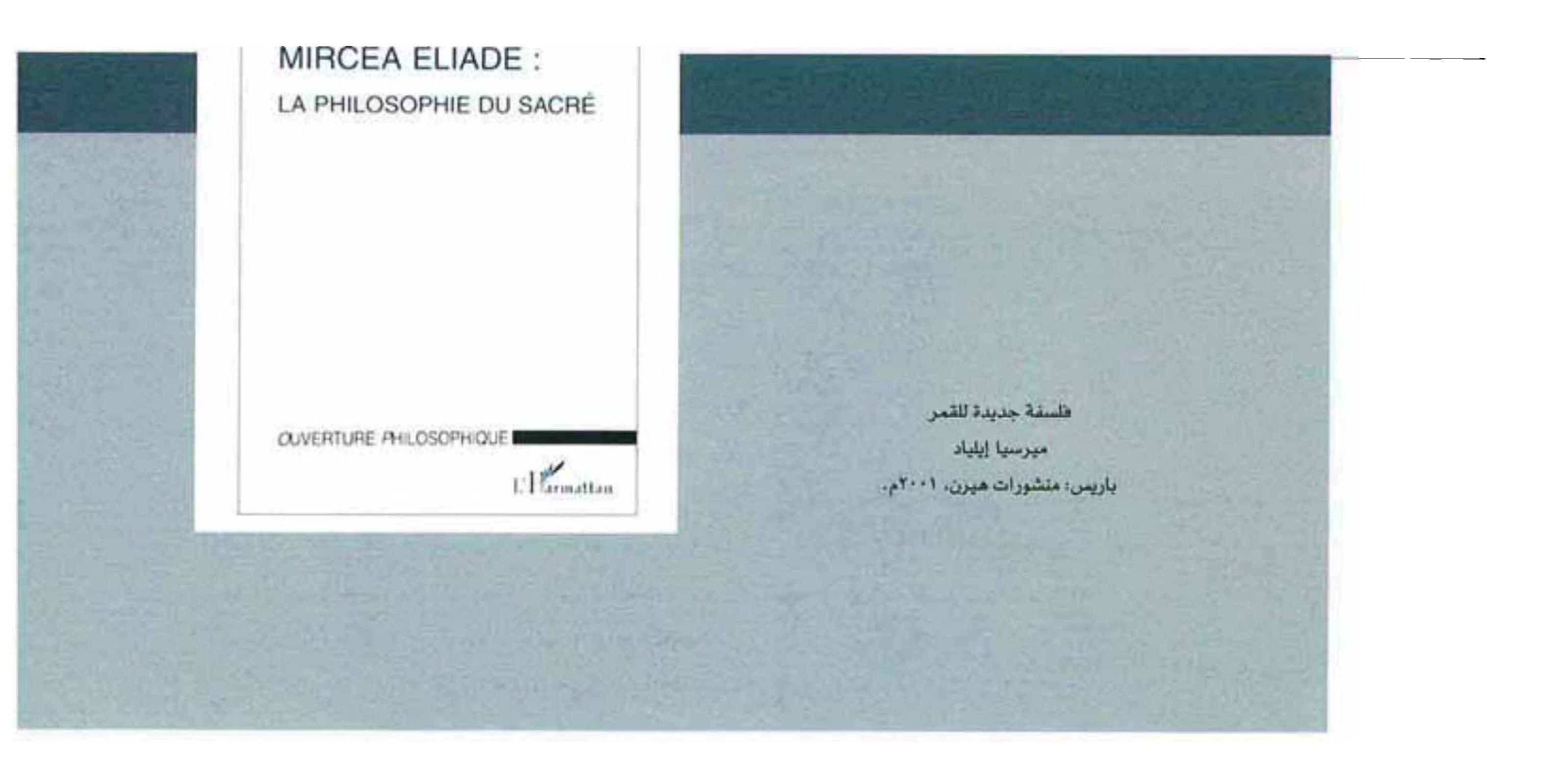
الرياض ـ السعودية

قال الأستاذ حسيب كاسوحة في نهاية مقدمته لترجمة كتاب ميرسيا إيلياد، الأساطير والأحلام والأسرار(١): «إن ميرسيا إيلياد يحتل مكانة بارزة بين قادة الفكر في القرن العشرين. إنه من خلال الأساطير وتاريخ الأديان يسعى إلى معرفة الإنسان في قديم الزمان، والإنسان بالعموم، المتجه من التحرر من الخوف، ومن الألم والقلق، والراغب في الحرية والتعالي، وفي تجاوز الذات إلى الأرقى والأسمى». وأقول: إن إيلياد الذي ولد في بوخارست عام ١٩٠٧م، وتوفي في شيكاغو ١٩٨٦م، يعد الشاهد العلمي على القرن العشرين بموسوعيته، وتداخل الاختصاصات لديه؛ إنه من مؤرخي الأديان المبرزين، وهو أيضاً مؤلف عدد من الروايات، كما أنه كتب سرديات كثيرة عن رحلته التأسيسية إلى الهند بين عامي (١٩٢٨ و١٩٣٢م) إلى الحدود الفاصلة بين المقدس والمدنس(٢).

وكتابه الذي نقدم اليوم للقارئ العربي ترجمة لمقدمته التي تحمل عنوان الكتاب: فلسفة جديدة للقمر(٣)، صدر باللغة الرومانية عام ١٩٤٣م في بوخارست، وترجم إلى الفرنسية، ونُشر ضمن منشورات هيرن L'Herne في باريس عام ٢٠٠١م.

يستدعي إيلياد في هذا الكتاب موهبته البحثية الخارقة ليعالج مسائل هي في الآن نفسه معقدة وآسرة؛ وخصوصاً تأثير التوليفات العقلية القمرية في نشوء الحضارات، وحياة الأرواح في عالم الموتى. وتقوده اختياراته المثيرة إلى معالجة موضوعات متنوعة كل التنوع ليضع بين يدي العلماء والأشخاص العاديين ثمرة أبحاثه واهتماماته.

لقد وجدت من تمام العمل أن أعلق على بعض



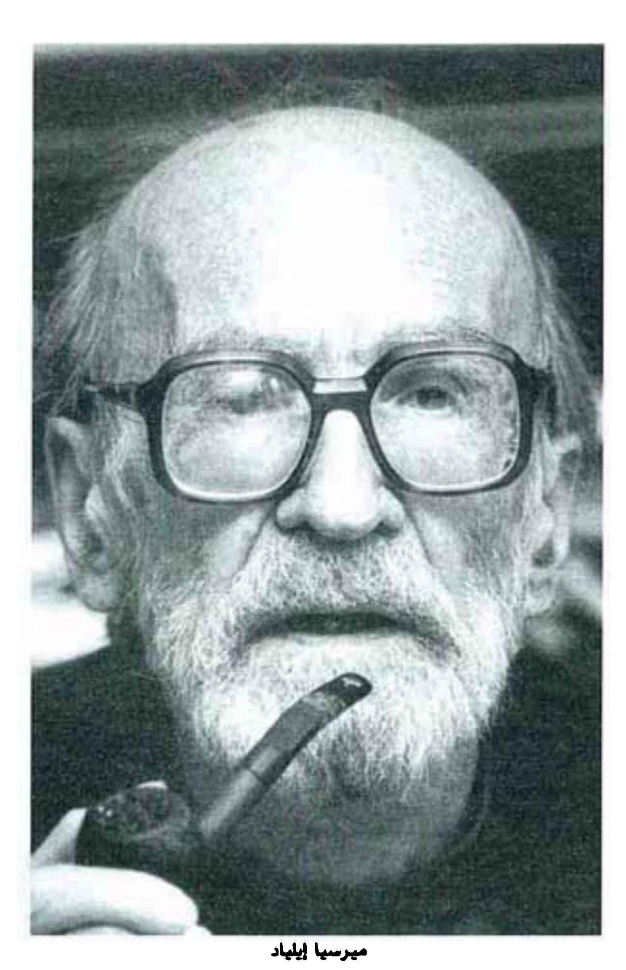
المواضع المستغلقة من هذه المقدمة التي تدل على طبيعة الكتاب وأهميته.

أ.د. محمد خير محمود البقاعي

الرياض ١٤٢٧/٣/٢٤هـ

النص المترجم

لا يشكل تفوق الجماعات في الحياة السياسية والاجتماعية المعاصرة ظاهرة معزولة: لأن النزعة نفسها تظهر في علوم الثقافة كلها. فالعالم المعاصر يعيش تحت وطأة «الشمولية»، مما يؤكد التغيرات التي حدثت منذ عشرين سنة خلت ليس لمفهوم التاريخ فحسب، ولكن أيضاً وعلى وجه الخصوص الأهمية التي اكتسبتها بعض العلوم الهامشية: الفلكلور والإثنوغرافيا(٤)، وما قبل التاريخ. وقد حاز هذا العلم الأخير على وجه الخصوص (علم الأميين) كما قال بسخرية مومسين (٥)-Mommsen على اهتمام عدد كبير من الباحثين. ولن نتفحص هنا الأسباب «الروحية» (أهمية فلسفة الثقافة، والحاجة إلى «أسلوب»)، وفي بعض الأحيان السياسية (العنصرية في ألمانيا، رفع شأن الثقافة غير الأوربية في روسيا السوفييتية على سبيل المثال) التي أسهمت في تزايد الاهتمام بعلم ما قبل التاريخ. لنكتف بالقول: إن الفضول لمعرفة «الظواهر الأصلية» هو ميزة عصرنا(٦). وسواء بحث عنه الفلاسفة في عصور موغلة في القدم (البيلازغ في دراسات كلاغيس والهيبربوريان عند إيفولا) (٧)، أو أن المؤرخين أسبغوا ميزات «فلسفية» استثنائية على بعض الشعوب القديمة (جيريمياس Jeremias بخصوص النظام



ميرسيا إيلياد

الفلسفي المتناغم عند السومريين) ، فإن المقصود في الحالتين كلتيهما الدلالة نفسها: محاولة لترميم (وفي بعض الأحيان تقريظ) القيم الإنسانية الماقبل تاريخية؛ والإشادة بالحدْس الجوهري، والحدْس التركيبي، والحدس التوحيدي. ومن هنا جاء الاهتمام بالرمز، وخصوصاً البدائي والماقبل تاريخي. وإن وظيفته الماورائية والكونية هي في راينا إحدى أكثر المشكلات التي تطرح نفسها على الإنسان المعاصر إثارة (يشير عدد من الـ لامات إلى أننا نلج عـ..راً سيسيطر عليه الرمز، وليس التحليل). ولعلنا نخصص له كتاباً خاصاً في المستقبل. إن للتعاليق الحالية هدفاً أكثر تواضعاً: أنْ تعرّف الجمهور الروماني (٨) ببعض الكتب المهمة التي تحدثت عن الدور الذي يؤديه القمر في التوليفات العقلية الأولى للإنسانية، وهي توليفات كانت ثمرة جهد عظيم من المعرفة، ونحن، غالباً دون أن ندري، مدينون لها حتى يوم الناس هذا.

إنه لمن السهل أن نختار من عشرات الكتب، التي انجزها إثنوغرافيون ومستشرقون أو مؤرخو أديان، أكثرها تمثيلاً وغنى في النتيجة. وإن من بين الذين اهتموا بتلك المسائل في السنوات العشر الأخيرة البروفيسور كارل هينتز Carl Hentze ، من جامعة غاند(٩) Gand ، الذي توصل إلى أكثر النتائج أهمية. وكارل هينتز: عالم في الدراسات الصينية، مختص بالفن في الشرق الأقصى، وهو أيضاً باحث إثنوغرافي بارع. نشر بعض كتاباته في مجلة الفن الآسيوي(١٠)، وأسهم في كثير من مجلات الاستشراق. ولنشر إلى بعض كتبه الكثيرة: التصاوير على القبور الصينية(١١)، ونشير على وجه الخصوص إلى كتابه: أساطير ورموز قمرية. الصين القديمة، حضارات آسيا القديمة، وشعوب الباسيفيك المجاورة(١٢) وإلى كتابه: أدوات طقسية، معتقدات وآلهة

يستدعي إيلياد في هذا الكتاب موهبته البحثية الخارقة ليعالج مسائل هي في الآن نفسه معقدة وآسرة: وخصوصاً تأثير التوليفات العقلية القمرية في نشوء الحضارات، وحياة الأرواح في عالم الموتى. وتقوده اختياراته المثيرة إلى معالجة موضوعات متنوعة كل التنوع ليضع بين يدي العلماء والأشخاص العاديين ثمرة أبحاثه واهتماماته

الصين القديمة وأمريكا(١٣). ويشكل كتاب: أساطير ورموز قمرية لمن يريد معرفة أعمال هينتز أفضل مدخل للمسألة المعقدة والأسرة. إنها مسألة تأثير التوليفات العقلية القمرية في بداية الحضارات، خصوصاً أن نصوص العالم البلجيكي مذيلة بملحق بالألمانية لهيربرت كوهْن Herbert Kühn أستاذ ما قبل التاريخ في جامعة كولونيي(١٤) Cologne، وواحد من أفضل العارفين بفن ما قبل التاريخ ورمزيته.

ونشر طبيب وبيولوجي إيطالي هو ف. كاباريللي V. Capparelli مجلدين ضخمين بعنوان: التوافق بين الزمن والشكل في الطبيعة(١٥)، حول القمر والإيقاع القمري، وحول الدورة الأسبوعية في العالم العضوي، وفي علم الأمراض البشرية. وقد جمع فيه عدداً كبيراً من المعطيات المأخوذة من النباتات والحيوانيّات، وعلم الأجنة، وعلم الأمراض، وكلها تنحو نحو إيقاع قمري أسبوعي يتحكم في العالم العضوي. إن نمو الأنسجة النباتية والحيوانية، والدورات الفيزيولوجية في الحياة البشرية، والعودة الدورية للسيرورات المرضية («الأزمة» الأبوقراطية: وأهمية بعض الأيام في تفاقم الأمراض: ثلاثة أيام

ونصف بعد الإصابة، سبعة أيام، اربعة عشر يوماً...)، كل ذلك مراقب عبْر إيقاع كوني، وعبْر الدورية القمرية. إذاً إن لكوكبنا المهمل والميت تأثيراً جوهرياً في الحياة العضوية الأرضية كلها. وإذا أخذنا في الحسبان الوحدة الموجودة بين عدد كبير من الظواهر، فإن أهمية الإيقاع القمري تظهر أيضاً ظهوراً حتمياً. ولكن الدراسات الإثنوغرافية والمورفولوجية الثقافية، التي رأينا أن دراسة كارل هينتز تتبوأ بينها مكاناً متميزاً، ألقت الضوء على تأثير آخر للقمر: دوره الأساسي في أولى التوليفات العقلية البشرية.

نعلم أن «البدائيين» ما زالوا حتى اليوم يقيسون الزمن بأحوال القمر. وإن الكلمة التي يسمى بها القمر في اللغات الهندية -الألمانية هي من أقدم أسماء الكواكب كلها. والجذر هو me، الذي يصبح في السنسكريتية «مامي mami» ومعناه «أقيس» مما يثبت مرة أخرى أيضاً أن القمر يُستخدم في قياس الزمن. فقد كان الجرمان، كما ذكر تاسيت(١٦) Tacite، يُحَدِّدون الفصول من خلال بعض الليالي. ويمكن أن نورد عدداً لا نهائياً من الأمثلة. ومع ذلك فإننا لا ينبغي أن نسلك هذه الطريق في البحث عن تأثير القمر في الوعي البشري، ولكن نبحث بادئ ذي بدء في واقعة أن الظاهرة القمرية استخدمت وحدة قياس، أو بدقة أكثر، جسراً بين وقائع مختلفة كل الاختلاف.

وإنه لمن السهل أن نفهم لماذا أولى الإنسان «البدائي» الأقل تحضراً، القمر أهمية أكثر من الشمس (على الأقل في بعض المراحل التاريخية). فالشمس كوكب ليس للإنسان معه أي نقطة التقاء: فهو لا يتغير أبداً، يحافظ على مستواه، إنه محروم من أي «مستقبل». أما القمر فهو على العكس كوكب يزيد، وينقص، ويختفي: كوكب يخضع لقوانين الصيرورة

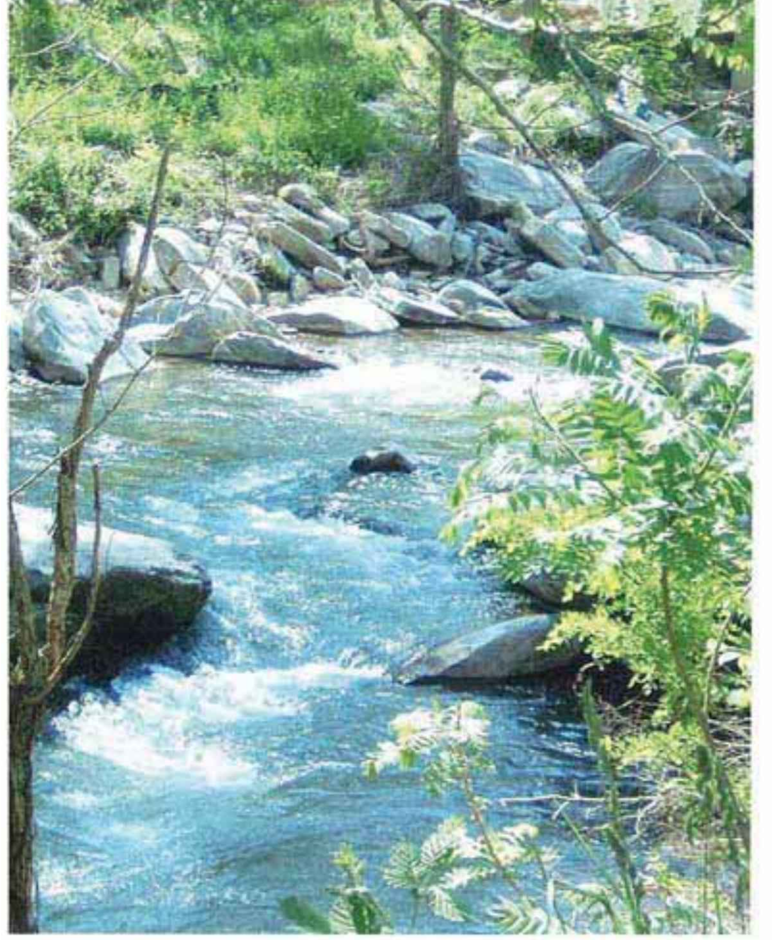
لا يشكل تفوق الجماعات في الحياة السياسية والاجتماعية المعاصرة ظاهرة معزولة؛ لأن النزعة نفسها تظهر في علوم الثقافة كلها. فالعالم المعاصر يعيش تحت وطأة "الشمولية". ما يؤكد التغيرات التي حدثت منذ عشرين سنة خلت ليس لمفهوم التاريخ فحسب، ولكن أيضاً، وعلى وجه الخصوص الأهمية التي اكتسبتها بعض العلوم الهامشية



ربط الإنسان الإيقاعات القمرية بخصوبة الأرض

نفسها التي يخضع لها الإنسان، للولادة والموت. إن «حياة» القمر هي في النتيجة أكثر قرباً إلى الإنسان من المجد الجليل للشمس. وفي زمن متأخر، مع بداية الزراعة في عصر الحجر المصقول ربط الإنسان الإيقاعات القمرية بخصوبة الأرض. فالقمر هو موزع الأمطار، ومصدر الخصوبة الكونية. وفي هذا العصر تشكلت بدقة أول الرموز الكونية، التي هي توليفات عقلية حقيقية توحد مستويات مختلفة: القمر، والمرأة، والأرض، والخصوبة. لقد أصبح للإنسان منذ ذلك الوقت «مفهوم» توحيدي للعالم، وحدْسه يحتوي مفاهيم كلية: وهي ليست كلية مجردة، اكتُسبت جدلياً، ولكنه كلية حية، درامية، وإيقاعية(١٧). وإن السحر الذي عُرف منذ عصر الحجر المصقول يعتمد على هذا الحدس المركزي. إذا كانت هناك ولادة وموت، وإذا كانت الخصوبة (القمر، المطر،

من السهل أن نختار من عشرات الكتب، التي أنجزها إثنوغرافيون ومستشرقون أو مؤرخو أديان، أكثرها تمثيلاً وغنى في النتيجة. وإن من بين الذين اهتموا بتلك المسائل في السنوات العشر الأخيرة البروفيسور كارل هينتز Carl Hentze – من جامعة غاند Gand – الذي توصل إلى أكثر النتائج أهمية

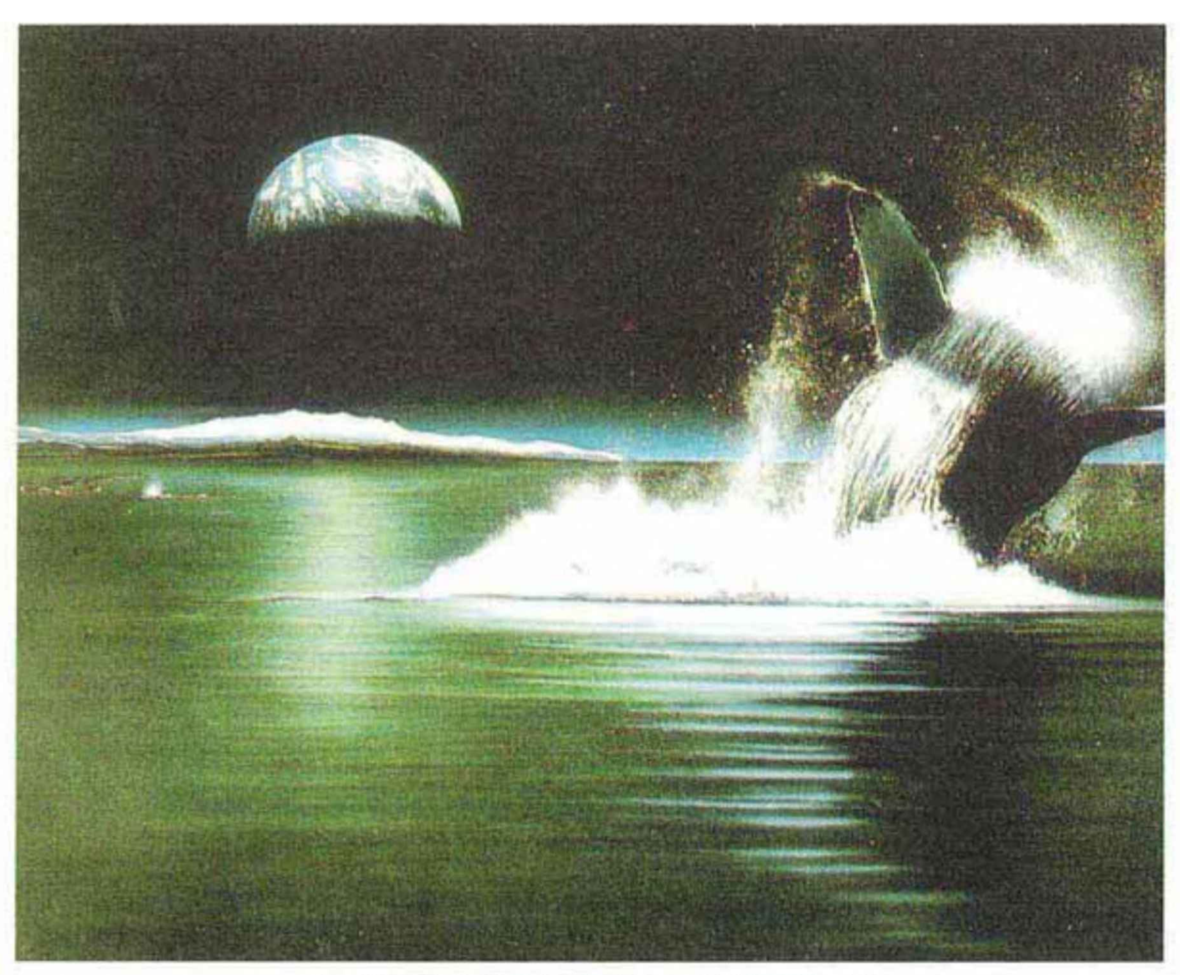


الخصوبة والماء مرتبطان بالقمر في اعتقادات حضارات قديمة

المرأة) و«الاختفاء» (ليالٍ بلا قمر، قحط، عقم) موجودين فإن مناطق أو أدوات مباركة أو ملعونة ينبغي أن توجد أيضاً. وثنائية الخير والشر، والنور والظلمة، التي ينسب إليها الفُرس وظيفة روحية وماورائية تضرب جذورها في عمق هذه المعتقدات القمرية القديمة. ففي حضارات ما قبل التاريخ الواقعة حول الباسفيك يُعبَّر عن الضوء والظلمة وعالم السماء وعالم الأرض عبْر رموز قمرية (هينتز، أدوات طقسية Objets rituels).

ولنسجل عرضياً أن تلك الرمزيات ذات التعبيرات الأيقونية أو الأسطورية تشكل اليوم أكثر الوثائق دقة لدراسة هجرات الشعوب، التي عاشت في عصر الحجر المصقول إلى أمريكا. وبالاعتماد على تردد بعض الأنماط الأيقونية، وعلى المفاهيم الدينية التي تتلاقى استطاع هنتز أن يقدم الدليل على العلاقات التي كانت موجودة بين ثقافات أمريكا الماقبل كولومبية (سان أُغُستان، شافان ... إلخ San Agustin.Chavin.etc) والثقافة الصينية القديمة. وواقع الأمر أن اللغة الرمزية والتصويرية تستجيب بفاعلية

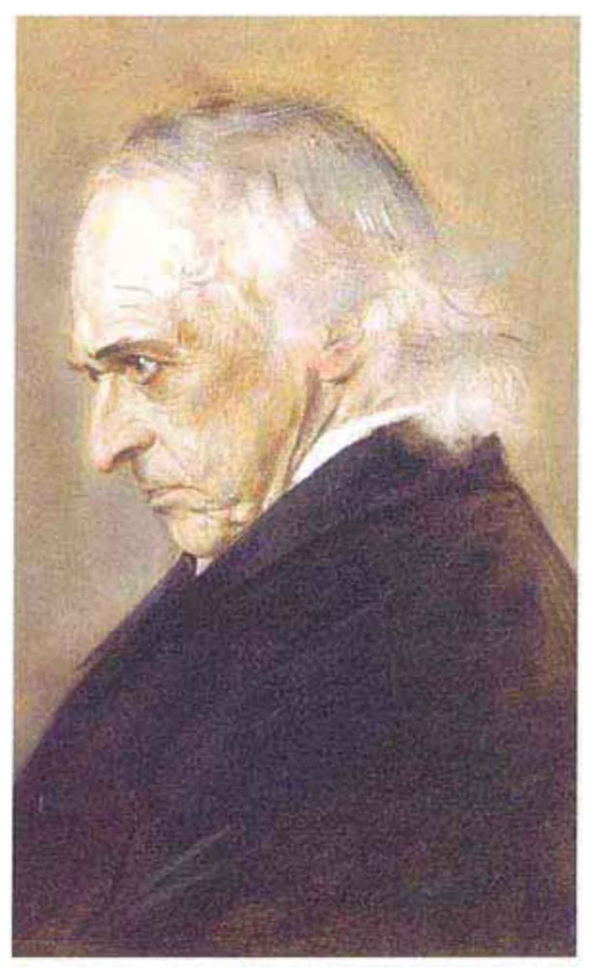
إن "البدائيين" ما زالوا حتى اليوم يقيسون الزمن بأحوال القمر. وإن الكلمة التي يسمى بها القمر في اللغات الهندية -الألمانية هي من أقدم أسماء الكواكب كلها. والجذر هو me. الذي يصبح في السنسكريتية "مامي mami" ومعناه "أقيس" مما يثبت مرة أخرى أيضاً أن القمر يُستخدم في قياس الزمن



القمر يخضع لقوانين الصيرورة نفسها التي يخضع لها الإنسان.. الولادة والموت

للدراسات المقارنة. واستطاع هنتز، من خلال تحليل التواتر الأيقوني «لإلهة القمر الباكية» (وهو مفهوم أسطوري وديني عُبِّر عنه بخطوط عمودية تحفر وجه الصنم)، أن يبرهن، بما لا يقبل الشك، على وجود علاقات تاريخية ملموسة بين كل الثقافات حول الباسفيك. «وانطلاقاً من العبادات القمرية البدائية في آسيا، ومن تراثها المنقول على مستويات ثقافية

من السهل أن نفهم لماذا أولى الإنسان "البدائي" الأقل تحضراً، القمر أهمية أكثر من الشمس (على الأقل في بعض المراحل التاريخية). فالشمس كوكب ليس للإنسان معه أي نقطة التقاء؛ فهو لا يتغير أبداً، يحافظ على مستواه إنه محروم من أي "مستقبل". أما القمر فهو على العكس كوكب يزيد وينقص ويختفي



موسين

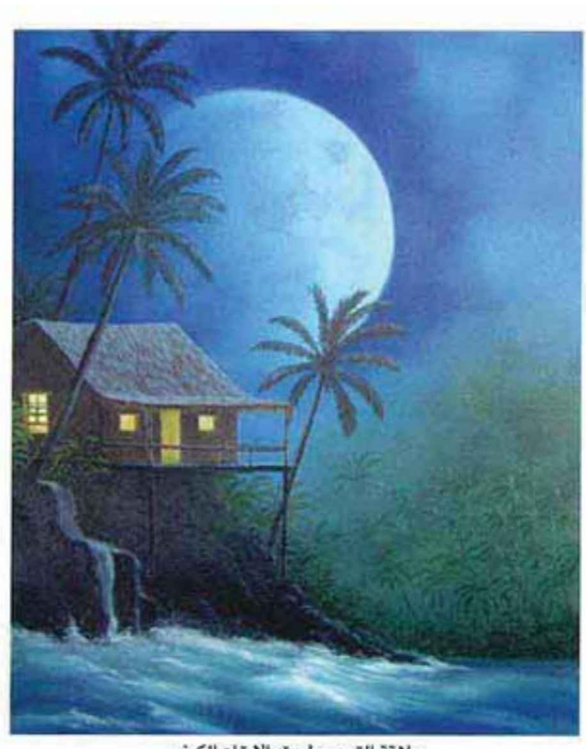
متباعدة في الزمن نستطيع أن نجد في أمريكا الماقبل كولومبية مظاهر تشبه كل الشبه المظاهر التي رأيناها في آسيا: حملتها إليها الهجرات في عصر الحجر المصقول أو أيضاً في انتقال بعض الأساطير القمرية من منطقة ما حول الباسفيك». (أساطير ورموز.) أما فيما يخص المسألة المختلف عليها كثيراً، وهي مسألة العلاقات بين آسيا وأمريكا، فإن منهج عمل كارل هنتز يفضي إلى نتائج تكاد تكون نهائية. لنعد مع ذلك إلى فرضية التعليقة الحالية: التوليفات العقلية التي أوجدتها الإيقاعات القمرية.

إن التشابه بين خصوبة الأرض وخصوبة المرأة: ذلك التشابه الذي اكتشفته الثقافات الزراعية في عصر الحجر المصقول، يُعبر عنه بإيقاعات وأعداد قمرية. القمر يزيد خلال تسع ليال، وهناك تسع ليال يكون فيها القمر بدراً، ويتراجع القمر خلال تسع ليال، ويختفي خلال تسع ليال: ومدة ما قبل الولادة تستمر تسعة أشهر. القمر هو أول الموتى (كتب المختص بالدراسات الأمريكية سيلر E. Seler منذ زمن طويل قائلاً: «إن القمر أول الموتى» (١٨)، وفي هذا المعنى يُشبه القمر بأول إنسان فان. إن فكرة اختفاء القمر (اختفاء النور) تمثّل أيقونياً بثعبان وهو يبتلع أرنباً (حيوان قمري). ومما يجدر ذكره أن هنتز يبرهن متابعاً ستريغوفسكي Strygowski على مدى الخطأ في تأويل بعض «المشاهد الفنية» الصينية: إن ما يبدو أول وهلة أنه من ابتداع «مخيلة الرسام» هو في واقع الأمر موتيف أيقوني قديم يرتبط بأفكار ثقافية شائعة (الصراع بين الظلمة والنور، وبين الخير والشر).

إن أول الحدوس الكونية عن المرأة، وإن الخصوبة والماء مرتبطان بالقمر، شأنهما شأن المفاهيم الأولى عن الموت التي ترتبط أيضاً بهذا الكوكب «الحي». يموت القمر، يظل ثلاثة أيام في الظلمات، ثم يولد من جديد. والحبوب التي تُطمر في الأرض تظل بعض الوقت في باطنها (ليل، ظلمة، أحشاء)، ثم تظهر نبتة جديدة. يموت الإنسان، يُدفن، وتطير روحه نحو القمر في بعض الأحيان، ولكنه يولد من جديد. وهو يذكر بهذا بـ «نهوض» القمر والنبات. ونجد في بعض معتقدات التنسيب الدينية البدائية التي درسها بيتر

شـمـيـث Peter Schmidt أن من كـان حـديث عـهـد بالانتسـاب إلى مـعـتـقـد بدائي مـا يخـرج من القـبـر بالطريقة نفـ ـا التي يظهر فيها القمر بعد أن يحتجب مدة ثلاث ليـال. والرمـزية الجنائزية دقـيقـة كل الدقـة بهـذا الـ ـدد. أظهرت هـانا ريد Hanna Rydh . العالمة السويدية . عام ١٩٢٩م أن المزمدات(١٩) الجنائزية كانت تتميز بتزيينات خاصـة، وهي في الأعم الأغلب تزيينات تختلف كل الاختلاف عن زخرفة المزهريات المخصصة للاستعمالات الدنيوية(٢٠). يؤدي الرمز دوراً رئيساً في الفن الجنائزي، وهو شيء يسهل فهمه: ينبغي أن يكون لكل مـا يخص الحـيـاة في الدار الآخـرة، الموت، دلالة وفاعليـة سـحـرية. فـالميت ينبغي أن يكون متضـامناً مع أحد «أسلافه»، وهو على العموم حيوان قمري، وينبغي عليه أن يعود إلى الوحدة الكبرى التي انفـ ـمل عنها. وبعض الرمـوز، كالحلزون، على سبيل المثال، لها دلالات واسعة كل الاتسـاع، ولكن أصلها يعود على الدوام إلى الشبه مع القمر. وبذلك كان الرمز الكوكبي للحلزون، الذي كان مـعروفـاً منذ عصـر الحجـر المصـقـول يستند إلى التمـاثل بين الحلزون والقمـر (فـالقمـر شـأنه شـأن الحلزون يظهـر ويختـفي، يخرج وينزوي... إلخ)، أو بين الحلزون والفرّج (عنصر قمري).

وإن للقـمـر عـلامـات مـتـعـددة: السـمكة، العـجلة المقسومة إلى أربعة أقسام، خط منكسـر (ماء يسيل)، سفاستيكا(٢١) (وأقدمها يعود إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميـلاد، وقـد اكـتـشـف في سـوس Suse في بلاد الرافدين) (٢٢) ... إلخ. وإن عـلامـة «المشط» التي تتردد على كل السيـراميك الجنائزي ترمـز إلى الغيوم؛ إذاً هذا رمـز قـمـري. وهناك تمثيلات أيقـونيـة قـمـرية أخـرى. القرون، الزخـارف الحلزونية الشكل، الحلزون. يمكن أن يكون لهـا أصل مـشـتـرك، هو عـجـول البـقـريات، وهي


علاقة القمر وطيدة بالإيقاع الكوني

حيوانات قمرية. (ونحن نعرف العلاقات بين الثقافات الزراعية والإلهة الكبرى، والطقوس التهتكية، البقريات أو أيضاً التيس في ثارس Thrace)(٢٣).

إن غنى الرمـزية القـمـرية تفـوق الخـيـال. وتؤدي الحـدوس الأولى للوحـدة الكونيـة دوراً مـهـمـاً في التطورات اللاحقة للعقل البشري. لقد أُنجزت بهَدْي من القمر توليفات عقلية على قدر كبير من الأهمية، حـتى إن مـحـاولات «وحـدة العـالم» لدى الفـلاسـفـة الماقبل سقراطيين تبدو مقارنة بتلك التوليفات شيئاً في غـاية الضـآلة. الولادة، الخصـوبة، الموت، القـمـر، الماء، المرأة، ازدياد القمـر، نمو النبات، نمو الإنسان؛ الموت بوصفه ولادة ثانية، بوصفه لحظة إيقاع كوني،

بوصفه استراحة (عودة إلى الظلمات، إلى الأرض، إلى ما قبل الولادة)؛ الظلمة، المصيبة، القحط، «الشر»؛ النور، المطر (النور يصدر عنه برق يعلن قدوم المطر، ويشبه بإضاءة القمر)، الغنى النباتي، «الخير»، الأرض والسماء، البعث... تلك هي فقط بعض التوليفات العقلية من السلسلة المرتبطة بالقمر. وينبغي أن نلح على طبيعتها التركيبية، التوحيدية. وآية ذلك أن العقل الذي أوجدها يمتلك حقاً حدْساً أولياً للعالم؛ إنه لم ينتقل من نسق إلى آخر، من شعار إلى آخر، كما نفعل ذلك اليوم عندما نفك كنه هذه الرموز الأساسية.

وإذا كنا نستطيع الحديث عن فلسفة ما قبل السقراطية التي كانت تحاول أيضاً اكتشاف وحدة العالم، فإننا نستطيع أيضاً الحديث عن «فلسفة» للقمر، للدور الذي يؤديه القمر في إيجاد التوليفات العقلية في رمزية الوحدة العالمية. إننا نلمح وراء تلك الرموز جهداً معرفياً خارقاً؛ أليس إيجاد عناصر وحدة الحياة والعالم عملاً معرفياً؟ ألا نلمح في ذلك إرادة لتشكيل العالم ولتوحيده بطريقة سحرية، وحيوية، وإنسانية؟ ثم ألا تكمن أصول المثالية السحرية في هذا، في تلك المحاولة لتشكيل العالم لكي نفهمه ونسيطر عليه؟

ميرسيا إيلياد ١٩٣٦م.

المراجع والهوامش

١. نشر وزارة الثقافة السورية، دمشق ٢٠٠٤م، ص٩.
٢. لقد ترجم الأستاذ حسيب كاسوحة من كتبه إلى العربية ضمن منشورات وزارة الثقافة السورية الكتب التالية: أسطورة العودة الأبدية ١٩٩٠م؛ ملامح من الأسطورة ١٩٩٥م؛ صور ورموز ١٩٩٨م؛ التنسيب والولادات الصوفية ١٩٩٩م؛ الأساطير والأحلام والأسرار ٢٠٠٤م، وصدرت لكتبه ترجمات أخرى في أماكن متفرقة من الوطن العربي.
٣. العنوان الفرنسي: Mircea Eliade, Une nouvelle philosophie de la lune, L'Herne, Paris, 2001, p. 7-14
٤. Ethnographie تعرب فيقال: إثنوغرافيا، أو تترجم فيقال: علم المرّاقة؛ وهو علم يبحث في خصائص الشعوب. (المترجم).
٥. تيودور مومسين Theodor Mommsen (١٨١٧-١٩٠٣م) مؤرخ ألماني، حصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٢م. (المترجم).
٦. انظر: «ما قبل التاريخ أو القرون الوسطى»، في مجلة: فراغمانتاريوم (حاشية للمؤلف).
V. "Protohistoire ou Moyen-Age?", dans Fragmentarium (N.d.A.)
٧. لودفيغ كلاغس Ludwiges Klages: (١٨٧٢-١٩٥٦م) ، مؤرخ ألماني. (المترجم).
والبيلازغ les Pelasges: أحد الشعوب التي كانت تعيش في بحر إيجة في آسيا قبل قدوم اليونان. (المترجم). يوليوس إيفولا Julius Evola (١٨٩٨-١٩٧٤م)، مؤرخ إيطالي. (المترجم).
والهيبربوريان= les Hyperboreens أحد الشعوب المعروفة لدى قدماء اليونان (من خلال الميثولوجيا=الأساطير) منذ أوائل الزمن كانوا يعيشون في بلد غير محدد في أقصى شمال البلاد اليونانية. (المترجم).
٨. نسبة إلى رومانيا بلد إيلياد. (المترجم).
٩. في بلجيكا. (المترجم).
١٠. Artibus Asiae: مجلة نصف سنوية صدر عددها الأول عام ١٩٢٥م، عن جمعية العلماء. (المترجم).
١١. لندن ١٩٢٨م، وهناك نشرة فرنسية بعنوان: تصاوير السيراميك الجنائزي، مجلد للنصوص، وآخر للوحات.
١٢. أنفير Anvers (بلجيكا)، ١٩٣٢م.
١٣. أنفير ١٩٣٦م.
١٤. في ألمانيا. (المترجم).
١٥. عنوان الكتاب بالإيطالية:
V. Capparelli, L'ordine dei tempi et delle forme in natura (Bologne, 1928 et 1929) ونشر في بولونيي، إيطاليا ١٩٢٨م و ١٩٢٩م.
١٦. بيبلوس كورنيلوس تاسيتوس Publius Cornelius Tacitus (١١٨-٥٥ ق. م؟)، مؤرخ وخطيب روماني (روما). (المترجم).
١٧. انظر دراستنا "التشابه الكوني واليوغا"، في مجلة الجمعية الهندية للفن الشرقي، ١٩٣٧م. (حاشية المؤلف).
V. notre étude, "Cosmical Homology and Yoga", dans le Journal of the Indian Society of Oriental Art, 1937 (N.d.A.)
١٨. وردت العبارة بالألمانية Der Mond ist der erste Gestorbene
١٩. المرْمَدات: جمع مرْمدة، وهي إناء كان القدامى يجعلون فيه رماد الموتى بعد حرقهم. (المترحم).
٢٠. «الرمزية في السيراميك الجنائزي"، في نشرة متحف آثار الشرق الأقصى القديمة، ستوكهولم، ١٩٢٩م. (حاشية المؤلف).
Symbolism in Mortuary Ceramics", Bulletin of the Museum of Far Eastern Antiquities, Stokholm, 1929. (N.d.A.)
٢١. Swastika صفاستيكا: شعار ديني هندي يرمز إليه بصليب معقوف. (المترجم).
٢٢. مدينة قديمة تقع في جنوب غرب إيران، كانت عاصمة العيلاميين. (المترجم).
٢٣. ثارس: منطقة وبلد قديم كان يقع في جنوب شرق شبه جزيرة البلقان. (المترجم).



الدكتور محمود المناوي:

التعريب اختراق والتغريب احتراق!

أجراه: حسين حسن حسين

قسم التحرير

احتلت قضية تعريب العلوم مساحة كبيرة من الاهتمام، ولكن لا تزال هناك عوائق كثيرة تعرقل عملية التعريب، وتحول بينه وبين أن تكون واقعًا، ومع ذلك يوجد من يتحمس لها، ويراها ضرورة للحاق بركب العصر. والدكتور محمود فوزي المناوي ـ أستاذ أمراض النساء والولادة ـ من أكثر المتحمسين للتعريب، وقد وضع كتابين في هذا الموضوع، هما: "أزمة التعريب" و"في التعريب والتغريب"، وفيهما آراء مجموعة كبيرة من دعاة التعريب ومسوغاتهم، وردودهم على من يعارضون التعريب، ويرونه انكفاءً على الذات، وتراجعًا عن مواكبة العصر.

وقد ألقى في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية محاضرة بعنوان «متى يتكلم العلم العربية؟».

في هذا الحوار نحاول الوقوف على رؤية الدكتور المناوي، وأسباب اهتمامه بالعربية، وهو الطبيب الذائع الصيت في ميدان تخصصه.

لماذا هذه الدعوة المتكررة منكم إلى التعريب ؟

في ظني أن العلم ركيزة التطور الحضاري، وعليه قامت قوة الغرب، وبواسطته تمكن من السيطرة على مقدرات العالم كله، وتوجيهه نحو أغراضه ومصالحه واقتصاده، وما كان تفوق الغرب إلا لأنه درس العلوم بلغته الخاصة، فاللغة تتيح قدرات واسعة في فهم التجارب ومكونات المواد، ويتيح للعالم آفاقًا واسعة، تجعله قادرًا على التمثل والهضم والتميز بالدقة والإبداع.

وتمزق العرب الفكري، والاضطراب الروحي في بعض أقطارهم، أضاعا الثقة باللغة العربية، وسبّبا الانبهار بالغرب، والإعجاب بحضارته.

ورأيي أن التعريب عكس التغريب، والفارق الظاهر



للعيان بينهما (نقطة)، إلا أنه في جوهره، إما أن يكون اختراقًا أو احتراقًا، إننا إذا استطعنا أن نصل إلى درجة التعريب الكامل، فسوف نخترق الثقافات الأجنبية السريعة التطور يومًا بعد يوم، وإذا لم نستطع أن نبلغ هذه الدرجة، فإننا - لا مناص - سوف نحترق بتفوق الأجانب علينا علميّاً، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى تفوقهم الاقتصادي، والعسكري والتكنولوجي، بدرجة تجعلنا في عداد الدول المتخلفة، إلى حد ألا نستطيع اللحاق بهم بعد ذلك.

وإذا لم نستطع استيعاب هذه المرحلة الدقيقة من تاريخنا، فإن شخصية الأمة سوف تضيع بنسيان تراثها وحضارتها، والتيه في خضم الحضارة الجديدة.

أرى أنكم تربطون بين اللغة والعولمة؟

المخططون للعولمة يعلمون أن اللغة هي أم المرجعيات، في بناء الحضارة والثقافة، واللغة هي الوسيلة التي تحرك المشروع الثقافي والحضاري المعاصر.

قد يبدو للوهلة الأولى أن العولمة موجهة نحو المال



الدكتور المناوي يستمع إلى أحد أسئلة الزميل حسين حسن

والاستهلاك، ولكن الواقع يؤكد أن سلاحها الحقيقي موجه نحو عقل الإنسان، فهي غزو ثقافي كامل؛ لأنها موجهة إلى فكر الإنسان ولغته وثقافته، بفضل حيازتها معرفة منظمة، ووسائل فاعلة لنشر هذه المعرفة.

إن التعليم باللغة القومية، يعد محورًا للحفاظ على الثقافات الموروثة وتنميتها، ومن هذا المنطلق يجب تأكيد ضرورة الارتقاء باللغة والتعريب، حفاظًا على القيم المكتسبة على مر العصور.

ويستخدم مهندسو العولمة اللغة وسيلة إلى الاختراق الحضاري، وإلى التأثير في الهوية الثقافية، ثم خلخلتها من الداخل، تمهيدًا للقضاء على الموروث الثقافي، الذي هو أهم مقومات الدول، وهناك هجوم منظم على لغتنا العربية، يتخذ شكل الحرب الذكية، تتكشف حينًا، وتتخفى أحيانًا أخرى.

واللغة العربية هي المستهدف الأول، لأهميتها، بوصفها سمة من سمات الهوية، وملمحًا أساسيًا من ملامح الشخصية.

علينا أن نبحث عن الوسائل التي تقنع السياسي في أي بلد من بلادنا، بأن الحفاظ على هويتنا قاعدة للحفاظ على المكانة السياسية لأي نظام من أنظمة الحكم، وأن المدخل إلى ذلك هو الحفاظ على لغتنا القومية، في حومة الصراع العالمي

يستخدم مهندسو العولمة اللغة وسيلة إلى الاختراق الحضاري، وإلى التأثير في الهوية الثقافية، ثم خلخلتها من الداخل، تمهيدًا للقضاء على الموروث الثقافي أهم مقومات الدول. وهناك هجوم منظم على لغتنا العربية يتخذ شكل الحرب الذكية، تنكشف حينًا، وتختفي أحيانًا أخرى



د. شوقي ضيف

تقولون في كتاباتكم: إن العربية هي السلاح الوحيد الذي بقي لنا. كيف؟

لم تعد لنا أسلحة غير اللغة العربية، فالعلم والتكنولوجيا والتعليم ودراسة التراث وغير ذلك من أنواع المعارف، سبقنا إليه الغرب، وإذا أضعنا اللغة العربية نكون قد أضعنا تراث ١٥ قرنًا، ليأتي جيل جديد بلا هوية، جيل الهمبورجر والكولا. فاللغة العربية هي حبل النجاة الوحيد الباقي لنا.

ولا يختلف اثنان في أن العلم واللغة كائنان حيان متلازمان لا يفترقان، فلا حياة لعلم من دون لغة تؤديه، ولا سبيل إلى النهوض والانطلاق نحو آفاق رحبة من التقدم إلا بتدارس المشتغلين به بلغتهم الوطنية.

يمكن لي هنا أن أتحدث عن تجربة تركيا التي كانت تحكم العالم العربي، فعندما قرروا إنهاء الخلافة الإسلامية، كان الحل إلغاء الحروف العربية، وإبدال الحروف اللاتينية بها، والمقصود بذلك إلغاء تراثهم، وعلاقتهم بالتراث العربي والإسلامي على مدى قرون، وقد تمّ ذلك، فكانت النتيجة أن الشعب التركي أصبح بلا هوية.

ولي تجربة شخصية تثبت ما أقوله، فعندما كان كتابي الأخير «في التعريب والتغريب» في مرحلة التصميم، وجدنا نجمة إسلامية مكتوبًا عليها بحروف عربية، ولم نكن نعرف هذا الكلام باللغة التركية أم باللغة الفارسية، فكان عليّ أن أذهب إلى أساتذة اللغتين التركية والفارسية، وعندما ذهبت إلى رئيس قسم اللغة التركية في إحدى الجامعات، وهو رجل عظيم، ولكن تخصصه كان في اللغة التركية الحديثة، فلم يستطع فك طلاسم الكتابة، وحولني إلى مختص باللغات في كلية الآثار، فقال لي: إن الكتابة ليست باللغة التركية، وإنما باللغة الفارسية. وهذا يبين أن الأستاذ المختص باللغة التركية مفتقد القدرة على التعامل مع تراث ممتد لقرون؛ لأن تغيير الحروف أضاع مثل هذا التراث العظيم، وجعل من الصعوبة على

كل الدول تدرس العلوم بلغاتها

المختصين الاستفادة منه.

ونرى أيضًا أن تركيا تجد صعوبة في أن تكون في منظومة الدول الأوربية، كأنها تقف في منتصف السلم، لا مع هؤلاء، ولا مع أولئك.

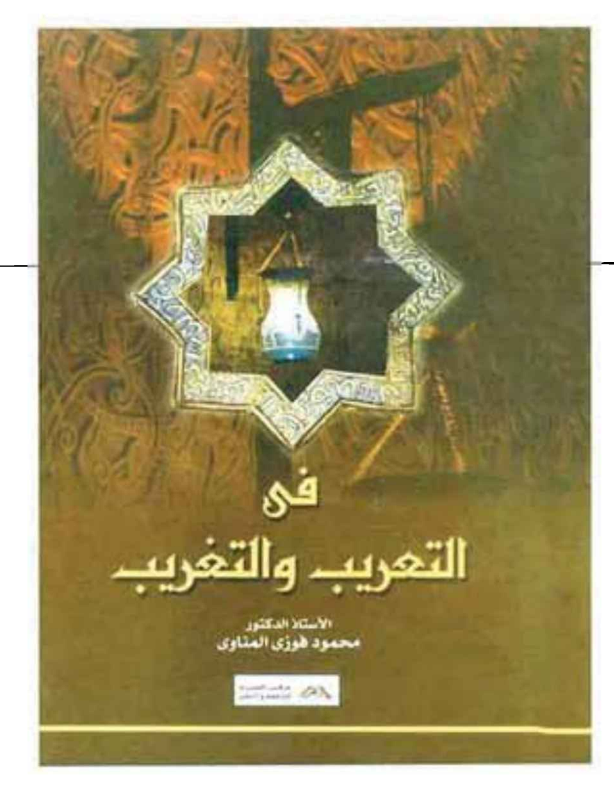
كيف يمكن المواءمة بين الانفتاح والانتصار للغتنا العربية؟

اللغة هي مرادف التفكير، فإذا ألغينا لغتنا، نكون قد ألغينا تفكيرنا، والتفكير بلغة أجنبية يسبب صعوبة شديدة جدًا.

لا يمكن أن نطور أنفسنا، ونمشي في الطريق السريع الذي يسير فيه عالم المعرفة اليوم، إلا إذا عرفنا لغات بجانب اللغة الأم.

ونحن بوصفنا أعضاء مجمع لغة عربية، نطالب بأن يتعلم أبناؤنا أكثر من لغة أجنبية، على أن يكون التعليم بلغتنا العربية، ولكن من المغالطة الادّعاء بعدم ملاءمة اللغة العربية العصر، وليقل لنا أصحاب هذا الادّعاء: كيف تدرّس اليونان أو إسبانيا، أو اليابان، أو فيتنام، أو الصين، أو روسيا طلابها؟





وعلينا أن نتمثل تجربتنا الحضارية التي تألقت في سمائها نهضة علمية زاهرة، بلغت أوجها منذ ألف سنة ونيّف، في عصر الخليفة المأمون، حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم، ويترجمون الكتب الإغريقية، والهندية، والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة - التي امتدت بعد ذلك بضعة قرون - عدد من العلماء العرب الأعلام قدموا أروع الإنجازات العلمية، وكتبوا أعظم المؤلفات، وأضافوا إلى هذه التراجم كثيرًا من مبتكراتهم. فمثل هذا الادعاء ضيق الأفق، وعلينا أن ننظر إلى الأمور بصورة صحيحة.

كيف نحقق الدعوة إلى التعريب لتصبح واقعًا معيشًا ؟

علينا أن نبحث عن الوسائل التي تقنع السياسي في أي بلد من بلادنا، أن الحفاظ على هويتنا قاعدة للحفاظ على المكانة السياسية لأي نظام من أنظمة الحكم، وأن المدخل إلى ذلك هو الحفاظ على لغتنا القومية، في حومة الصراع العالمي، وفي مواجهة حركة العولمة، أيًا كانت القوى المحركة لها.

وإذا قلنا الآن: إننا يجب أن ننشط في مجال تعريب العلوم، فهذا يعني أن يكون التعريب مرحلة ممهدة لمرحلة تالية، هي مرحلة التأليف بلغتنا القومية، وهي مرحلة تتلو الترجمة والتعريب يقينًا، ولا بد أن يكون ذلك مدعومًا بموقف سياسي، بل أن يكون «تبنيًا» من السياسي.

والسبب هو: أن الدعم السياسي، أو المساندة السياسية، بل الموقف السياسي القومي، هو الذي يفتح الطريق إلى الدعم المالي، وتيسير النفقات، وتحمل أعباء التكاليف.

نعم هناك جهود مشكورة من أهل العلم، والمفكرين، والمثقفين في مجال تعريب العلوم، والمصطلحات العلمية، والحديث عنها معاد، ولكننا لكي نحقق الانتفاع المنشود بهذه الجهود نحتاج إلى أشياء لا تقل أهمية عما يتم تحقيقه، وأهمها أن تكون لدينا «موازنات» سخية للإنفاق على البحث العلمي، كمدخل مهم، لأن تكون لنا إبداعاتنا وابتكاراتنا في مجال العلوم، نعرف بها، وتزهو بها لغتنا.

ولننظر إلى «موازنات» البحث العلمي في دولنا، ولنقارنها بموازنات دول أخرى - أحدث منا تاريخًا، وأقل عددًا، ولا تقارن مساحتها بعشر مساحة أرضنا العربية، ولا مواردها بمواردنا - لنعرف خطورة الأمر





التجربة اليابانية تؤكد أهمية تدريس العلوم باللغة الأم

في هذا الجانب.

فهل يمكن أن تكون لنا على المستوى العربي، مؤسسات تكنولوجية متقدمة، بموازنات مشتركة، تتيح لنا قدراتها المالية والتنظيمية والبحثية، أن ندخل سراعًا هذا الميدان، ومن ثم نستطيع مستقبلاً، أن نسهم في القرار التكنولوجي العالمي، وريادة العالم علميًا مرة أخرى؟

ولنا أن نتساءل عن كيفية تطبيق هذه الآمال العريضة وتنفيذها؟ والإجابة عن هذا التساؤل تتركز حول ممارسة التدريس الجامعي في الكليات العلمية، والبحث العلمي، والتأليف باللغة العربية، التي تعدّ السبيل الوحيد الذي يمكننا من تنفيذ تعريب العلم في الوطن العربي بأسره.

ما المشكلات التي تواجه عملية التعريب؟

لا شك أن كثيرًا من المشكلات سيبدو لنا عند الشروع في عملية التعريب، ويجب أن ندرس هذه المشكلات ونحللها مسبقًا، كي نضع لها الحلول المناسبة لإمكاناتنا، ومواردنا البشرية، والمادية والتقنية، وأولى هذه المشكلات هي اللغة من حيث كونها وسيلة للطالب في التلقي والاستيعاب والتعبير، والتفكير والتصور أيضًا، وعلى ذلك يجب ألا نكبل هذه اللغة بقيود تحد نشاطها، واستمرار التعليم بها، ولعل أهم هذه القيود هو المصطلحات العلمية التي تتسم في معظمها بالعالمية، حتى كادت تكون متماثلة في كل اللغات الحية، وهنا يمكننا الإبقاء على المصطلح باللغة التي وضع بها حتى نتفق فيما بيننا على مقابل له باللغة العربية، يمكن



ترسيخ الثقافة العلمية يتطلب تأهيل المحاضرين الإعلاميين

استخدامه في المحافل العلمية المختلفة.

إن كثرة هذه المصطلحات العلمية الحديثة تعد أيضًا قيدًا آخر، يمكن أن يعوقنا عن النهوض بالمستوى العلمي، في مؤسساتنا العلمية والتطبيقية، ولذا فإن التخطيط لاستيعاب هذا الكم الهائل المتدفق علينا باستمرار، يصبح ضرورة لا غنى عنها حتى نستطيع التعامل معه، والاستفادة منه إلى أقصى حد ممكن، وحتى لا تصبح قضية المصطلحات ذريعة يتعلل بها أولئك الذين يعملون - عن قصد أو غفلة - على تأجيل تعريب العلم في المرحلة الجامعية والعالية.

كذلك سوف تظهر إحدى المشكلات الجوهرية التي تتعلق بالأساتذة الذين لهم الدور الرئيس والمحوري في هذا الشأن، فمعظمهم لا يعرفون شيئًا عن المعجمات اللغوية العربية، ولا طرائق استخدامها بدقة، بل إن كثيرين منهم لم تسنح لهم الفرصة للاطلاع على المصطلحات العلمية في تراثنا العلمي العربي، سواء ما كان منها عربيًا أصليًا أو دخيلاً ومعربًا.

إن معظم المشكلات ليست نابعة من ذات اللغة العربية، ومدى قدرتها على استيعاب ما هو جديد وحديث، في مختلف جوانب العلوم وتخصصاتها، فتراثنا وتاريخنا يشهدان على أن اللغة العربية قد استوعبت كل ما هو جديد، على مر العصور السالفة عندما كان العلم يتكلم بالعربية.

ولذا، فإن حل هذه المشكلات وغيرها، يستوجب الاعتماد على تعريب العلوم، بحيث يتحقق الغرض منه، وهو جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم في تقدمها،

وملائمة لحاجات الحياة العصرية، ولهذا يجب ألا يكون التعريب للنقل - فقط - من اللغات الأخرى إلى العربية، بل أيضًا لتكوين وحدة علمية عربية، قوامها توحيد المصطلح العلمي، بحيث نتمكن من المشاركة الفعالة في التقدم العلمي العالمي، ومواكبة المتغيرات العالمية، التي فرضتها تحديات العولمة، وسرعة الاتصالات، وثورة المعلوماتية، والبيولوجية الجزيئية.

ما تأثير وسائل الإعلام في اللغة؟

عند وضع إستراتيجية الثقافة العلمية في الوطن العربي بإشراف المنظمة العربية، وبمشاركة نخبة من المثقفين والمفكرين المختصين، أثبتت الدراسات أن نسبة الثقافة العلمية في وسائل الإعلام العربية تراوح بين ٢ و ٥٪، وحتى هذه النسبة نجد أن من يعدونها ويقدمونها غير مختصين،. فهم ممن لا عمل لهم، فيسند إليهم مثل هذا العمل الذي يستقون مادته من أي كتاب.

والمجلس التنفيذي للثقافة العلمية في أكاديمية البحث العلمي في مصر، برئاسة الدكتور مصطفى طلبه، يدرس هذا الموضوع منذ أربع سنوات، حتى يمكن تأهيل المحاضرين في الثقافة العلمية الذين يستطيعون تقديمها بلغة عربية سليمة؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك ثقافة علمية وسط الجمهور من دون اللغة العربية.

ومما يؤسف أن بعض الصحف، ولا أريد وصفه بالصفراء بدأ يكتب باللغة العامية، وهناك بعض صحف المعارضة في مصر، وهي واسعة الانتشار يستخدم العامية في نحو ثلث الصحيفة.

ونجد أيضًا جوائز الدولة بدت تهتم بالشعر العامي، ونحن إذ لا نعارض هذا النوع من الشعر، لكن يجب ألا تخصص له مساحة كبيرة في وسائل الإعلام، حتى يغطي على الشعر الفصيح.

بعض المسؤولين يخلطون موضوع تغيير المناهج بالسياسة. فهم يعتقدون أن تغيير المناهج حسب ما يريده الغرب، ودعاة العولمة، هو تقليل جرعات اللغة والتاريخ. ومثل هذا الفهم سيؤدي بنا إلى مزيد من الانهيار. ومن المؤسف أن هناك جامعات في بعض الدول العربية ألغت أقسام اللغة العربية

ماذا عن وسائل الإعلام المرئية وهي ذات تأثير طاغ؟

في وسائل الإعلام المرئية اليوم عامية جديدة تخدش الحياء، وهي ركيكة، وتستخدم فيها وسائل جذب وإغراء، وقد نظمت كلية دار العلوم بجامعة القاهرة مؤتمرًا عن قضية اللغة العربية والإعلام، ولكن، كالعادة، تأخذ التوصيات طريقها إلى الأضابير لتحفظ من دون الاستفادة منها.

أسئلة كثيرة تثار حول صعوبة أساليب تدريس اللغة العربية. ما رأيكم؟

أنا عضو مجمع اللغة العربية، ولكنني غير مختص باللغة العربية، ولكن أقول: إن هناك قواعد للغة لا يمكن

يبدو للوهلة الأولى أن العولمة موجهة نحو المال والاستهلاك. ولكن الواقع يؤكد أن سلاحها الحقيقي موجه نحو عقل الإنسان. فهي غزو ثقافي كامل: لأنها موجهة إلى فكر الإنسان ولغته وثقافته



عامية وسائل الإعلام تخدش الحياء

الخروج عنها؛ لأن اللغة من دون قواعد تعدّ لغوًا. ولكن يجب ألا نصعب اللغة على أولادنا.

يوجد عدد من الأساتذة، من أمثال الدكتور شوقي ضيف، والدكتور إبراهيم مدكور وآخرين من الدول العربية الأخرى، لهم دراسات في تبسيط النحو للأجيال الجديدة، من غير أن نحاول إسقاط سيبويه، كما يدعو بعض قصيري النظر، ومن المهم أن تدرس اللغة العربية في جميع الجامعات.

ماذا عن الدعوة إلى تغيير المناهج؟

بعض المسؤولين عن تنفيذ مثل هذا التوجه، يخلطون موضوع تغيير المناهج بالسياسة، فهم يعتقدون أن تغيير المناهج حسب ما يريده الغرب، ودعاة العولمة، هو تقليل جرعات اللغة والتاريخ، ومثل هذا الفهم سيؤدي بنا إلى مزيد من الانهيار.

ومن المؤسف أن هناك جامعات في بعض الدول العربية ألغت أقسام اللغة العربية، وأصبحت جزءًا من أقسام اللغات عامة. وقد نجح التغريبيون إلى أبعد مدى في محاصرة اللغة العربية في مدارسنا، وفي جامعاتنا الرسمية والخاصة، وإنه لمن المؤسف والمحزن، أن المدارس الأجنبية الخاصة التي يلتحق بها أبناء النخبة، تقدم كل شيء باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وهذا أمر في غاية الخطورة على أمتنا سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

نحن لا نعادي اللغات الأجنبية الحية، بل ندعو إلى تجويدها، وإلى ديمقراطية التعلم وإشاعته بين الجماهير العريضة.



التعليم باللغة القومية ضرورة للحفاظ على الموروث الثقافي

وبات من الواجب إدخال اللغة العربية في صلب تدريس الحاسوب، وأساليب الربط المعلوماتي بين المدارس والجامعات والمراكز البحثية، وحتى في عمليات الربط مع المواقع الإلكترونية العالمية، من أجل المساهمة في الارتقاء باللغة العربية بالطرائق المتجددة عالميًا، ولتصبح اللغة العربية هي أساس المعرفة والهوية.

ما تقويمكم للتجربة السورية في عملية تعريب العلوم؟

هذه التجربة عظيمة، وقد ظلمت ظلمًا شديدًا ممن يكرهون العربية والتعريب، وعندما نكون بصدد تجربة ما، فلا بد من تحليلها ودراستها، وإخضاعها للتقويم بموازنتها. والتجربة السورية يمكن تقويمها بموازنتها بالكليات العلمية المثيلة، التي تدرس باللغة الإنجليزية، والملاحظ أن الخريجين في سورية يجتازون الامتحانات في الدول الغربية، ويحرزون تقدمًا واضحًا.

والتجربة في سورية تماثل تجربة التحديث في عهد محمد علي باشا، فمع أن التدريس يكون باللغة العربية، فلا بد من إتقان لغة أجنبية حتى يتمكن الطالب من الاطلاع على المراجع العلمية، بالإضافة إلى أن المصطلحات تكون باللغتين العربية والإنجليزية.

وأقول: إن من الظلم مهاجمة هذه التجربة الرائدة، ومن يهاجمها، هو ضد التعريب في الأساس.

سؤال كان ينبغي أن نبدأ به: ما الذي دفعكم إلى الاهتمام باللغة العربية؟

نلت درجة الدكتوراه في عام ١٩٦٤م، ثم البورد

الأمريكي في عام ١٩٧٣م و ١٩٧٦م، وقد عملت الامتياز في مصر، وأمريكا، وزميل أبحاث في المركز القومي للبحوث بمصر، وفي جامعتي ميزوري، وكاليفورنيا بأمريكا، وعشت مع عدد كبير من الجنسيات في أمريكا، وتعاملت معهم، وقد سألت زملائي الأجانب جميعًا عن اللغة التي يتعلمون بها، فوجدت أنهم نالوا دراساتهم بلغاتهم الأم، ولم أجد أحدًا يدرس بغير لغته إلا العرب. وقد وجدت أن من درسوا العلوم بلغاتهم فاهمون بتعمق المادة التي يدرسونها، مع أن معلوماتهم قد لا تكون كثيرة.

وقد قضيت سنة في قرية اسمها ميزوري، وفيها نحو ٢٦ ألف طالب، ونحو ٣ آلاف أستاذ وموظف، وبها أكبر مركز مختص بالسرطان، وفرع لجامعة ميزوري، وثلاث كليات للبنات، لأن في وسط الولايات المتحدة الأمريكية هناك محافظون أكثر من عندنا، وبها مكتبة من أكبر المكتبات، اطلعت فيها على مجلة متخصصة The Christian Science Monitor، تشتمل على أفضل الدراسات عن الشرق الأوسط، وإفريقية، والدول العربية لخمسين عامًا مقبلة، فخرجت من هذه الدراسة بنتيجة خلاصتها أن منطقتنا مستهدفة، وأن المخطط لنا خطير، لذا يجب أن نحافظ على لغتنا وتراثنا.

وهناك تأثيرات أسرية في توجهي نحو دراسة اللغة العربية: لأنني من أسرة مهتمة باللغة العربية، وخالي الدكتور عبدالرحمن بدوي الذي أثر فيَّ كثيرًا: لأنني عشت معه ١٢ عامًا، وكان من عشاق اللغة العربية، وكان العلماء والمفكرون يجتمعون عنده.

وبفضل تشجيع الوالدة بحثت في تراث الأسرة، ووجدت أن أكثر أفرادها علاقة باللغة والتراث هو الشيخ محمد عبدالرؤوف المناوي صاحب كتاب «فيض القدير» الذي يتكون من ١٠ آلاف و ٣١ حديثًا، وهذا كله، مجتمعًا، كان من أسباب اهتمامي باللغة العربية.

كيف تجدون الوقت لوضع كتب عن اللغة العربية؟

هناك كثيرون يساعدونني، ويستحقون مني الشكر، فمثلاً علاقتي بالمرضى جيدة جدًا، وقد ساعدوني كثيرًا، فمثلاً كتاب «حكماء وشعراء» الذي يتناول العلاقة بين الطب والشعر منذ قدماء المصريين، ومن ضمن ما يشتمل عليه الكتاب ثماني أراجيز، منها ثلاث أراجيز تنشر أول مرة، وساعدني عليه الدكتور عصام أحمد عيسوي مدرس الوثائق والمعلومات بكلية الآداب في جامعة القاهرة، وكانت زوجته تعالج عندي.

وفي كتابي الثاني طلبت من مرضاي في مصر، والدول العربية، إرسال كل ما يكتب عن اللغة العربية والتعريب، وتجمعت لديَّ مادة هائلة من مراسلين في كل الدول العربية، بلغ عددها نحو ٤٠٠ دراسة ومقالة، مما يدل على اهتمام واسع بقضية التعريب.

كما أجد دعمًا كبيرًا من أساتذتي، فمثلاً عندما بدأت في وضع كتاب «أزمنة التعريب»، سألني أستاذي الدكتور شوقي ضيف هل قرأت كتاب «لسان العرب» لابن منظور: فأجبته.. نعم، فسألني: هل قرأت المقدمة؟ قلت: في العادة أمر سريعًا على المقدمة، قال لي: لا بد أن تقرأها اليوم، ثم نتناقش غدًا. فقرأتها، فشعرت أن التاريخ يعيد نفسه، فابن منظور يقول: جئت إلى مصر، ووجدت الناس يتحدثون بلغات أعجمية، وبلهجات بعيدة عن العربية السليمة، فقررت وضع هذا المعجم، وخشيت أن يضحكوا عليَّ كما ضحك الناس على نوح حين صنع سفينته. بعد أن قرأت المقدمة، قابلت الدكتور شوقي ضيف، الذي كتب تصديرًا للكتاب، ووجدت دعمًا من الأساتذة الدكتور محمود حافظ، والدكتور محمود مكي، والدكتور أحمد مرسي، وغيرهم.

ومن الذين يقدمون الدعم للباحثين بعلمهم الغزير،



يجب إدخال اللغة العربية في صلب تدريس الحاسوب

نجد الأستاذ طاهر المتبولي، الذي كان سكرتيرًا للدكتور طه حسين، فهو عضو المجالس القومية المتخصصة، ويستطيع بغزارة علمه أن يجد أجوبة لكثير من الأسئلة.

ألم تكتب شيئًا عن خالك الفيلسوف الدكتورعبدالرحمن بدوي؟!

عندما مرض الدكتور عبدالرحمن بدوي ثم توفي، حدثت

عندما مرض الدكتور عبدالرحمن بدوي، ثم توفي، حدثت ضجة إعلامية مثيرة، وتم استغلالها بصورة لم تعجبني. وفي الكتابات التي تناولت سيرته كان هناك تركيز في هجومه على الرموز المصرية، بينما هناك جزء غير معروف لكثيرين، وهو الجانب الإنساني

ضجة إعلامية مثيرة، وتم استغلالها بصورة لم تعجبني، وفي الكتابات التي تناولت سيرته كان هناك تركيز في هجومه على الرموز المصرية، بينما هناك جزء غير معروف لكثيرين، وهو الجانب الإنساني المستقى من تربيته الريفية.

ولعل السبب في غياب هذا الجانب أن الرجل كانت له رهبة، إلى حد أن إخوانه وهم أساتذة كبار لم يكونوا يستطيعون مواجهته، والحديث إليه، مع أنه كان فيه حنان غامر، وقد شعرت ذلك؛ لأنني نشأت في بيته من سن ١٢ عامًا، حتى تخرجت في كلية الطب، فكان كثير التشجيع لي، وكان له تقدير خاص لوالدي ووالدتي، فكان حتى في مرضه شديد الاحتفاء بي، وبإخواني، وآمل أن أضع كتابًا يتناول الجانب الإنساني في شخصيته، الذي غيب في الكتابات التي تناولت جوانب هذه الشخصية الفذة.

الضيف في سطور

◆ من مواليد دمياط (مصر) عام ١٩٣٦م.

الدرجات العلمية:

- تلقى تعليمه الجامعي في جامعة القاهرة وحصل، على شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة عام ١٩٥٨م.
- استكمل دراسته العليا في جامعة القاهرة، وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٦٤م في أمراض النساء.
- حصل على البورد الأمريكي في أمراض النساء عام ١٩٧٦م.
- نال زمالة الكلية الأمريكية للمولدين وجراحي أمراض النساء من الكلية الأمريكية عام ١٩٧٨م.

الخبرات العملية:

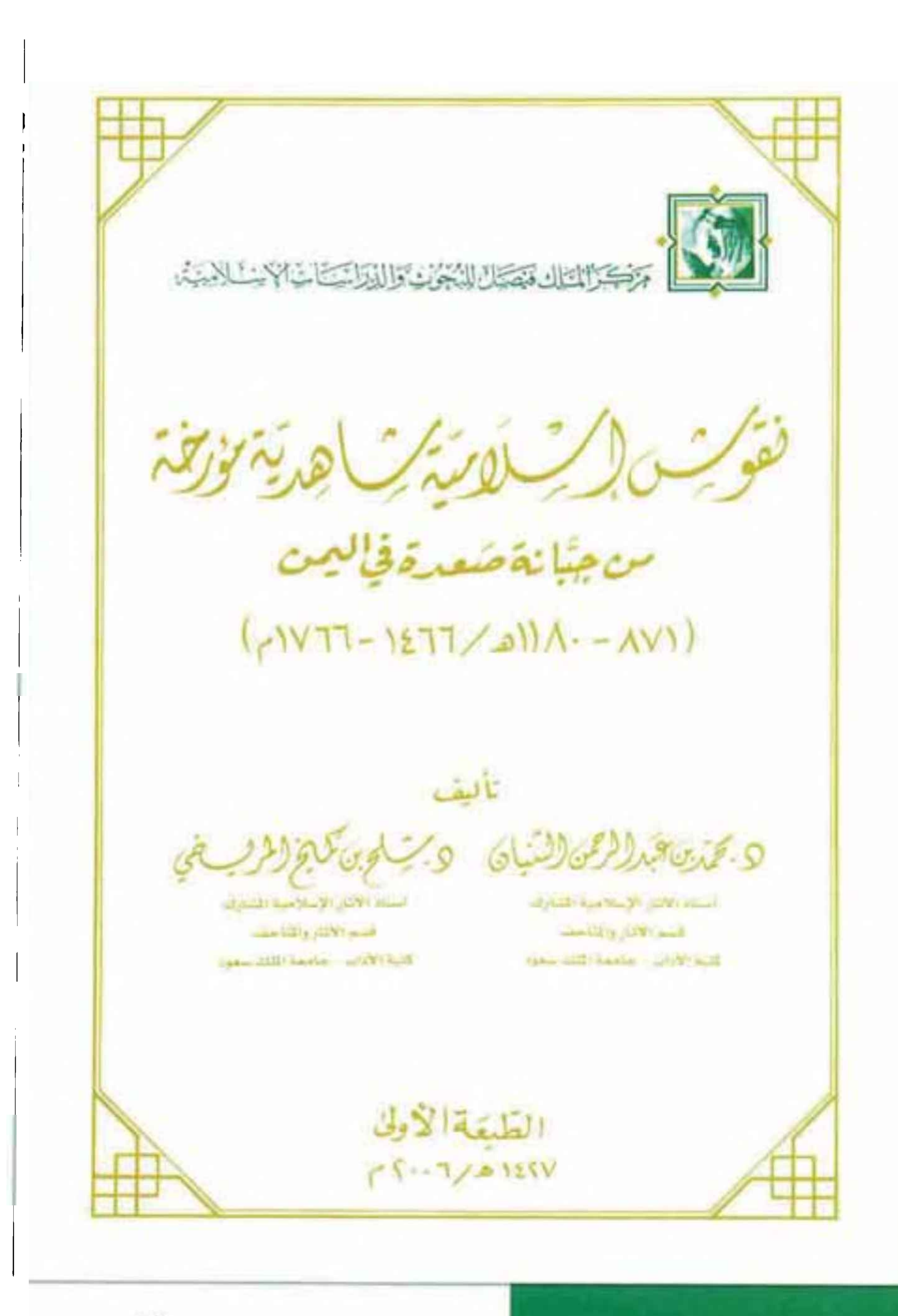
- أستاذ أمراض النساء والتوليد بكلية الطب في جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.
- أستاذ متفرغ بقسم التوليد وأمراض النساء بكلية الطب في جامعة القاهرة عام ١٩٩٦م.
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.
- عضو الجمعية الأمريكية لجراحة المناظير منذ عام ١٩٧٥م.
- عضو جمعية أمراض النساء والولادة بولاية ميرلاند الأمريكية عام ١٩٧٣م.
- مستشار دولي للاتحاد الفيدرالي العالمي لجمعيات جراحة مناظير أمراض النساء عام ١٩٩٦م.

الإنتاج العلمي:

- نشر له أكثر من ستين بحثاً علمياً في المجلات العلمية الطبية.
- أشرف على أكثر من ثمانين رسالة (ماجستير ودكتوراه).

من مؤلفاته:

- العمليات والآلات في أمراض النساء والولادة عام ١٩٦٥م.
- تاريخ الحركة العلمية في مصر الحديثة (بالاشتراك) عام ١٩٩٥م.
- تاريخ النهضة الطبية المصرية (بالاشتراك) عام ٢٠٠٠م.
- أزمة التعريب عام ٢٠٠٣م.
- في التعريب والتغريب عام ٢٠٠٥م.
- تعريب التعليم الجامعي والعالي عام ٢٠٠٤م.
- استراتيجية نشر الثقافة العلمية والثقافية في الوطن العربي (بالاشتراك) عام ٢٠٠٤م.
- التعليم الجامعي والعالي وتحديات العولمة عام ٢٠٠٢م.



مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
نقوش إسلامية شاهدية مؤرخة
من جبانة صعدة في اليمن
(٨٧١ - ١١٨٠هـ/ ١٤٦٦ - ١٧٦٦م)
تأليف
د. محمد بن عبد الرحمن الثنيان
د. سالم بن أحمد المريخي
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

صدر حديثاً عن:



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٨) ربيع الآخر ١٤٢٧هـ/ مايو ٢٠٠٦م

الفائز الأول: سهام إبراهيم أبو دان . أبو ظبي . الإمارات.
الفائز الثاني: حمدي علي عبده صالح . صنعاء . اليمن.
الفائز الثالث: حماد سالم الشمري . الدوحة . قطر.
الفائز الرابع: عائشة محمد عمر الحربي . مكة المكرمة . السعودية.
الفائز الخامس: محمد السيد محمد عبدالرحيم . محافظة الشرقية . مصر.
الفائز السادس: نجيه سليمان أبو عقل . دمشق . سورية.
الفائز السابع: جبر أمين أحمد . عمان . الأردن.
الفائز الثامن: جمال عبدالله . بنان . تونس.

حل مسابقة العدد (٣٥٨)

١- الكلدانيون هم الشعب الذي غزا بلاد ما بين النهرين في القرن ١١ ق.م.
٢- في سنة ١٣٧٩هـ بدأ منح جائزة الملك فيصل العالمية.
٣- كلمة بورصة ترجع إلى اللقب الذي كان يلقب به تاجر: كان يمتلك فندقًا في مدينة بروجس البلجيكية، وكان اسمه فان دي بورص. وقد كان الفندق ملتقى التجارة في هذه المدينة في القرن الخامس عشر.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦١)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) متى صدر العدد الأول من مجلة الفيصل؟
(٢) من هي لاكشمي؟
(٣) ماذا يعني وادي الملكات؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسـائل الكثـيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

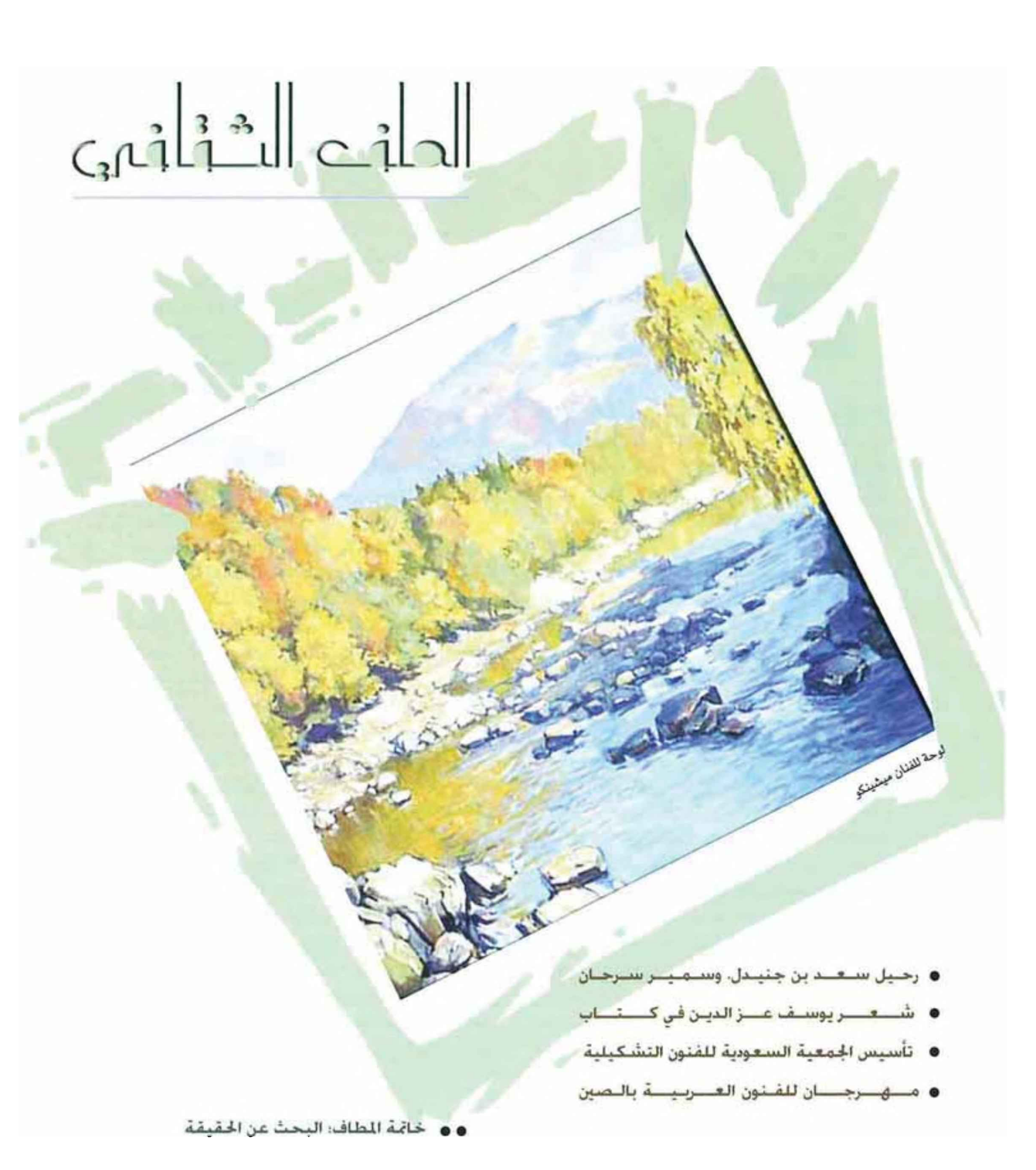
طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



لوحة للفنان ميشينكو

- رحيل سعد بن جنيدل، وسمير سرحان
- شعر يوسف عز الدين في كتاب
- تأسيس الجمعية السعودية للفنون التشكيلية
- مهرجان للفنون العربية بالصين

•• خاتمة المطاف: البحث عن الحقيقة



رحيل الأديب سعد بن جنيدل

توفي في مدينة الطائف في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٤٢٧هـ (الموافق ٢٠ يونيو/حزيران عام ٢٠٠٦م) الشيخ الأديب المحقق السعودي سعد بن جنهدل؛ عن عمر ناهز الـ ٨٤، ويعدّ الراحل سعد بن جنيدل؛ أحد الرواد الموسوعيين المحققين في تاريخ جزيرة العرب وجغرافيتها وآدابها، فهو حجة في القضايا التراثية، والجغرافيا الأدبية، والتاريخ المعاصر والوسيط للجزيرة العربية، وبالأخص في منطقة نجد كافة.

ولد الشيخ سعد بن عبدالله بن إبراهيم بن جنيدل - رحمه الله - في بلدة الشعراء في عالية نجد سنة ١٣٤٣هـ/عام ١٩٢٢م، وبدأ دراسته بالمدارس القديمة، على أيدي بعض العلماء، في ما كانوا يعقدونه من حلقات الدرس ومجالس التعليم على الطريقة القديمة، وكانت الدراسة في هذه الحلقات والمجالس تقتصر في أغلبها على القرآن الكريم، والعلوم الشرعية، واللغة العربية: علومًا وأدبًا، ثم واصل دراسته فحصل على بكالوريوس الآداب من قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض، وعلى دبلوم عالٍ في التربية العامة، من كلية التربية، من الجامعة نفسها، ثُم عمل في مجال التعليم والإشراف بإدارة التعليم، ثم موجهًا تربويًا في المعاهد العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد تفتحت مواهب ابن جنيدل منذ صغره، إذ نظم عددًا من القصائد الفصيحة في عدد من المناسبات، كما مارس الكتابة في الصحف، ونشر أول مقال له في صحيفة (البلاد) السعودية سنة ١٣٧٣هـ، وكان بعنوان (إلى منبر النقد).

وقد أغنى الراحل المكتبة بعدد من المؤلفات الجليلة في المجالات التاريخية، والبلدانية، والتراثية، والدينية، ومن أبرز هذه المؤلفات: «عالية نجد»: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية؛ ٣ أجزاء، و«بلاد الجوف أو دومة الجندل» منشورات دار اليمامة ١٤٠١هـ، و«من أعلام الأدب الشعبي» ١٤٠١هـ، و«بين الغزل والهزل»، وهو تحقيق لديوان الشاعر الشعبي هويشل الهويشل، أصدرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون سنة ١٤٠٠هـ، و«خواطر ونوادر تراثية» - نصوص تاريخية وجغرافية واجتماعية، و«الساني والسانية»، و«أصول التربية الإسلامية» الرياض: دار العلوم ١٤٠١هـ، و«معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم» الرياض:١٤٢٣هـ، و«معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري»، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ، و«معجم الأماكن الوارد ذكرها في المعلقات العشر» الرياض: ١٤٢٥هـ، و«بلاد العرب في المعاجم القديمة وبحوث المتأخرين» الرياض: ١٤٢٥هـ، و«معجم التراث» ٨ أجزاء، سلسلة بدأت في سنة ١٤١٧هـ.



سعد بن جنهدل

وله عدد من المؤلفات تحت الطبع، منها: «معجم التراث: البيت السكني»، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، و«معجم التراث: الأطعمة والمشروبات» الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، و«معجم الأمكنة وتوارد ذكرها في صحيح مسلم مدمجًا مع صحيح البخاري».

كذلك نشر الشيخ ابن جنيدل عددًا من المقالات والبحوث في مجلة العرب، ومجلة الدرعية، والصحف المحلية، وبخاصة صحيفة الرياض، وله متحف تراثي قيم، يحتوي على أكثر من ألفي قطعة، تشمل: أدوات حرب، وزراعة، وصناعة، وأدوات طعام. ولم يكن ابن جنهدل مجرد جامع لهذه المحتويات، وإنما كان على علم بتاريخ هذه المقتنيات الأثرية النادرة ومدلولاتها. وقد انتهج ابن جنيدل في البحث الجغرافي منهجًا تراثيًا، يقرن الجغرافيا بالشعر الفصيح، والشعر العامي أيضًا، وهذا المزج بين الجغرافيا والأدب، هو بعينه منهج الجغرافيين العرب القدماء، أمثال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»، والبكري في «معجم ما استعجم»، وقد قصد ابن جنيدل من ذلك أن يكون كتابه موسوعة متنوعة، تربط المكان بتاريخه وملامحه الحضارية والثقافية في مزيج واحد .

مؤلفة هاري بوتر تعلن أسفة قرب انتهاء الملحمة

أسفت الكاتبة جيه كيه رولنج لاقتراب انتهاء ملحمة الصبي هاري بوتر، رافضة الإفصاح عن أي شيء يتعلق بالقصة، بينما كانت في حفل حضره ألفا طفل احتفالاً بالمناسبة الثمانين لمولد الملكة إليزابيث.

والتف أطفال الحفل حول رولنج التي تكتب الآن القصة السابعة والأخيرة من ملحمة هاري بوتر؛ التي باعت بالفعل أكثر من ٣٠٠ مليون نسخة، وطلبوا منها توقيعها، ثم جلسوا في صمت وخشوع عندما بدأت تقرأ مقاطع من آخر كتاب لبوتر.

وفي ركن خاص أطلق عليه اسم «ركن المؤلفين» في خيمة على عشب حديقة القصر، صعدت رولنج على المسرح مع مايكل بوند مبتكر شخصية الدب بادينغتون، والمؤلف فيليب بولمان، مشيدة بما أسمته العصر الذهبي لأدب الطفل.

وختمت حديثها قائلة: اعتقد أن هذا هو أروع أسلوب للاحتفال بميلاد الملكة، أعتقد أنها فكرة جيدة، وأنه لمن الرائع رؤية هذا العدد الكبير من الأطفال هنا.



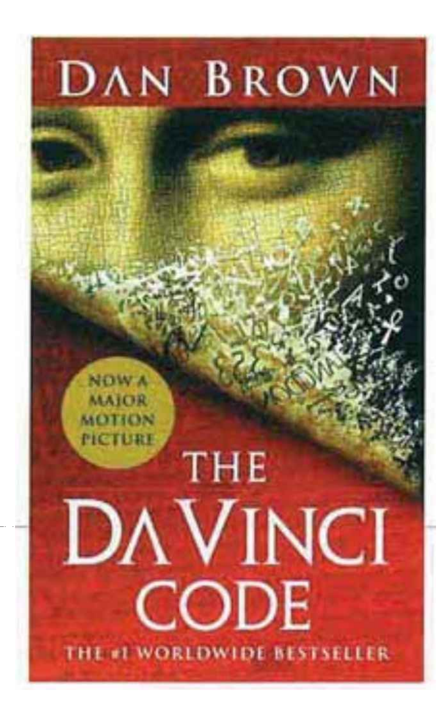
القاهرة تصادر مئات النسخ من شفرة دافنشي

صادرت الأجهزة المصرية المختصة في مطار القاهرة ٣٠٠ نسخة من كتاب «شفرة دافنشي» الذي حظرت وزارة الثقافة المصرية تداول الفيلم المقتبس عنه بحجة أنه يمس بالديانة المسيحية.

وقد صادرت الإدارة العامة للرقابة على المطبوعات طرداً يحتوي على نسخ الكتاب الواردة من باريس، على متن الخطوط الجوية الفرنسية، لحساب دار نشر مصرية.

وكان وزير الثقافة فاروق حسني أعلن يوم ١٣ يونيو/حزيران الماضي منع عرض فيلم «شفرة دافنشي» في مصر بدعوى أنه «يمس بالديانة المسيحية»، وأعلن حينها أنه سينظر في مسألة منع الكتاب، وهو إجراء يدخل ضمن اختصاصات وزارة الإعلام.

ويستند الفيلم إلى رواية للكاتب الأميركي دان براون، وزعت منها ملايين النسخ، وترجمت إلى عدة لغات، وتعرضت لهجوم شديد من الأوساط الكنسية؛ لتعرضها لحياة المسيح عليه السلام، الذي قالت: إنه تزوج من مريم المجدلية، وأنجب منها ذرية ما زالت تتناسل حتى اليوم.



تأسيس الجمعية السعودية للفنون التشكيلية

صرح الدكتور عبدالعزيز السبيل - وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية - بتأسيس جمعية خاصة للفن التشكيلي بالمملكة العربية السعودية، وفق الأنظمة والقوانين المعتمدة للجمعيات بوزارة الثقافة والإعلام.

وقد تم تشكيل لجنة تحضيرية من عدد من الفنانين والفنانات من مختلف مناطق المملكة؛ لصياغة اللوائح والأنظمة الخاصة بهذه الجمعية، ضمّت الفنان عبدالله الشيخ، والدكتور فؤاد مغربل، والدكتور صالح الزاير، والدكتور حمزة باجودة، والفنان عبدالله نواوي، والفنان عبد الرحمن السليمان، والفنانة إعتدال عطيوي، والفنان محمد المنيف، والفنانة زهرة بوعلي، والفنان عبدالله شاهر، والفنان ناصر الموسى، والفنانة مها السنان، والفنان سمير الدهام مستشار الفنون التشكيلية بالوزارة أميناً للجنة.

واجتمعت اللجنة خلال الفترة الماضية، وأنهت وضع اللوائح التنظيمية المقترحة للجمعية التي شملت الاسم المقترح لها، وأهدافها، ونظام العضوية، والقوانين المتعلّقة بنظام الترشيح، والانتخاب، والفروع، وكذلك الأنظمة الإدارية، والمالية.

وتهدف الجمعية إلى إقامة المعارض التشكيلية، وإقامة الندوات والمحاضرات، والعمل على إصدار المطبوعات بأنواعها، وإقامة الورش الفنية، والدورات التدريبية، وإقامة المسابقات، واقتناء الأعمال المتميّزة، ورصد الجوائز للأعمال الإبداعية، وتبادل إقامة المعارض، والزيارات بين المناطق، وإقامة ملتقى سنوي ضمن الدعوة إلى الجمعية العمومية، وإنشاء منتدى إلكتروني للتواصل بين الأعضاء، وتبادل الأنشطة مع الجهات ذات الاهتمام المشترك، والانتساب للجمعيات الدولية ذات العلاقة، وإنشاء أرشيف لتوثيق الأعمال الفنية، وإصدار شهادات أصالة للعمل الفني، بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة، والسعي إلى تثمين العمل الفني وتقويمه، وإصدار وثيقة بذلك، وتشكيل اللجان التي تمثل الفنان أمام الجهات ذات العلاقة، وإنشاء مكتبات ومصادر للمعلومات عن الحركة التشكيلية في المملكة العربية السعودية، والتعاون مع الجهات الحكومية، والأهلية؛ للاستفادة المادية والمعنوية، وتقديم الدعم المعنوي والمادي

وفاة سمير سرحان رئيس هيئة الكتّاب المصرية

بوفاة الدكتور سمير سرحان - الذي رحل عن دنيانا في مطلع يوليو - تفتقد الحياة الثقافية المصرية والعربية كاتباً وناقداً ومترجماً متميزاً، وقيادة من قيادات العمل الثقافي العام، على مدار سنوات طويلة، في مواقع متعددة.

وقد جاء فوز الدكتور سرحان بجائزة الدولة التقديرية في الآداب قبل رحيله بأيام قليلة؛ ليكون «ستار الختام» في حياته بعد رحلة حافلة بالعطاء.

وقد شغل د. سرحان كثيرًا من المواقع الثقافية المهمة، فعمل رئيسًا لمجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، على مدار عشرين عاماً، بموجب تعيينه في عام ١٩٨٥م بقرار جمهوري، كما عمل محاضراً بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة من عام ١٩٦٨م إلى عام ١٩٧١م، وأستاذاً مساعداً بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة في عام ١٩٧١م، وعميداً للمعهد العالي للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون بوزارة الثقافة المصرية من عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨١م، ورئيساً لتحرير مجلة المسرح التي تصدر عن وزارة الثقافة من عام ١٩٨١م إلى عام ١٩٨٤م، ورئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة من عام ١٩٨٢م إلى عام ١٩٨٥م، ووكيلاً لوزارة الثقافة من عام ١٩٨٢م إلى عام ١٩٨٥م، ومديراً ورئيساً لتحرير عدة مجلات ثقافية. كذلك كان عضواً في كل من المجلس الأعلى للصحافة، وأكاديمية الفنون، والجمعية الأمريكية للأدب المقارن، وغيرها من الهيئات الثقافية.

وقدم الدكتور سمير سرحان للمكتبة العربية عددًا من المؤلفات الإبداعية والنقدية، والترجمات المهمة، منها: «الشعر والأخلاق»، و«أيام العمر الجميل»، و«صعود وانهيار إمبراطورية الأخلاق»، و«على مقهى الحياة»،



لوحة للفنانة منى النزهة

للأعضاء، وحماية حقوقهم الفكرية والإبداعية.

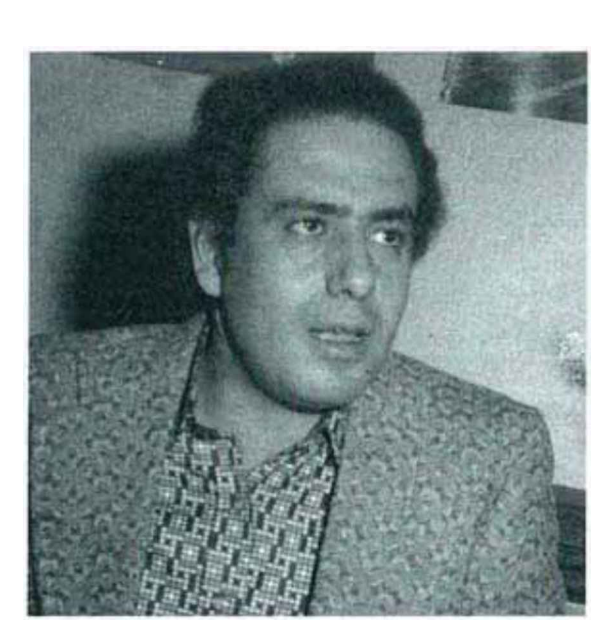
أمّا المجالات التي يشملها نشاط الجمعية فهي الرسم، والتصوير التشكيلي، والنحت بالخامات المختلفة، والخزف، والحفر، والخط العربي، وتاريخ الفن، والنقد الفني، وفنون التصميم، والحاسب الآلي، وما يتفرع من المجالات المذكورة، ونحوها.

ودعت وكالة وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية الراغبين من ذوي الاختصاص من السعوديين إلى الانضمام إلى الجمعية التأسيسية، مبيّنة أنّه يشترط للعضوية انطباق أحد الشروط الآتية:

- الحصول على مؤهّل علمي تخصُّصي معترف به - دبلوم - بكالوريوس - في المجالات الفنية.
- ممارسة النشاط الفني من خلال إقامة معرض شخصي واحد، أو المشاركة في ثلاثة معارض جماعية على الأقل.
- الإسهام في كتابات دورية، أو بحوث، أو إصدارات في مجال النقد الفني، أو تاريخ الفن في مطبوعات محلية، أو خارجية، على أن يقوم المتقدم. أو المتقدمة. بإرسال كل الأوراق الثبوتية، وتعبئة استمارة طلب المشاركة في عضوية الجمعية التأسيسية.

يتم تلقي طلبات العضوية حتى الخامس عشر من شهر رجب سنة ١٤٢٧هـ الموافق التاسع من شهر أغسطس/آب من عام ٢٠٠٦م، على العنوان الآتي: ص. ب ٦٧٠ الرياض ١١١٦١، وللاستفسار الاتصال على الأرقام الآتية: ٠١٢٩٣٤٩٠٠ تحويلة ١٠٦٣ فاكس ٤٦٣٣٤٩٧ جوال ٠٥٦٥١٢٤١٥٧

«والشعوب أيضاً تضحك»، وغيرها. وقد طرح د. سرحان في مؤلفاته كثيرًا من الأفكار والرؤى الجديدة، ففي «الشعر والأخلاق» على سبيل المثال: قدم د. سرحان قراءته الخاصة لمجموعة من الكتب والمسرحيات، التي تبرز أهم التيارات الأساسية في الأدب الحديث، وفي كتابه «والشعوب أيضاً تضحك» كشف د. سرحان ما مرت به شعوب العالم من مواقف مريرة، وأزمات عتيدة، وما زالت المشكلات تتفاقم والمعضلات تتعاظم، ولكن هذه الشعوب دائماً وأبداً تحاول أن تخرج نفسها من محبس الهموم، وتحرر ذاتها من أغلال القلاقل والمنغصات، فتعمد إلى أن تنحت نفقاً ضيقاً للسعادة؛ وفي «صعود وانهيار إمبراطورية الأخلاق» أوضح د. سرحان أن التطور الطبيعي لأي كاتب بدأ حياته متخصصاً أو مبدعاً؛ هو أن ينتهي إلى الانشغال بالأمور الفكرية والقضايا الكبرى المؤثرة في مجتمعه.



سمير سرحان

مهرجان الفنون العربية بالصين

افتتح السيد سون جياتشنج - وزير الثقافة بجمهورية الصين الشعبية - في الشهر الماضي فعاليات مهرجان الفنون العربية بالصين، بحضور سفراء الدول العربية، وألقى عددًا من الكلمات في مقدمتها كلمة السيدة مون شياو سي - نائبة وزير الثقافة الصيني - التي قالت: «إنه لمن دواعي الغبطة والسرور لنا أن نجتمع أنا وزملائي بضيوفنا الكرام، تحت سقف واحد لاستقبال افتتاح المعرض المصاحب لمهرجان الفنون العربية»، وأضافت: «يعدّ المهرجان المقام هذه المرة في بكين ونانجين أعظم حدث للفنون العربية من حيث الحجم، والمحتويات، وعدد الدول المشاركة، وهو جدير بان يكون عملاً مبتكرًا في تاريخ التبادل الثقافي الصيني العربي».

ويستهدف هذا المهرجان تعريف الجمهور الصيني بالثقافة والفنون العربية المتميزة، مما يتيح للجمهور الصيني فرصة التمتع بالعروض الفنية الرائعة، وعروض الأزياء، كما يتيح لها أن تستمتع بالأطباق العربية، وتتعرف إلى التقاليد والعادات العربية.

وألقى الأستاذ محمد يوسف عبدالله - وزير الثقافة والشباب والرياضة السوداني - كلمة الجانب العربي في الحفل، موضحًا أن الوطن العربي كان مهدًا لحضارات إنسانية عريقة، ترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد، وما يؤكد عراقة الصلات العربية الصينية؛ أن الدراسات أثبتت أن جميع الحضارات التي قامت في أجزاء أخرى من الوطن العربي، لها صلات تعاون ثقافي وتجاري قوية مع الحضارات، التي قامت على أرض الصين خلال تلك الفترة، وخير دليل على ذلك طريق الحرير.

ثم ألقى الأستاذ المنجي بو سنينة - المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - كلمة أوضح فيها سروره بأن يتوافق تنظيم هذا المهرجان مع مرور خمسين عامًا على بداية تبادل العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين العربي والصيني.

بعد ذلك قام وزير الثقافة الصيني، ووزير الثقافة السوداني بافتتاح المهرجان، الذي شاركت فيه السعودية، وقطر، وسلطنة عمان، والمغرب، والسودان، والأردن، والبحرين، والجزائر، وليبيا، وسورية، وفلسطين، وجزر القمر، ومصر.

المستشرقة أوديت بيتي تصدر كتابًا عن شعر يوسف عز الدين

أصدرت دار النشر الفرنسية ببليسود في باريس كتاب المستشرقة الفرنسية أوديت بيتي؛ عن الأديب العربي الدكتور يوسف عز الدين.

وقد ترجمت الدكتورة أوديت - الأستاذ في جامعة السوربون الجديدة - مختارات من شعره في دواوينه: «في ضمير الزمن»، و«ألحان»، و«لهاث الحياة»، و«همسات حب مطوية»، و«من حلة الحياة»، و«ليس يدري مصير»، التي نجد فيها آثار بغداد، والإسكندرية، والرياض، والطائف في حياة الشاعر.

وقد تحدثت المترجمة عن حياة الشاعر وتجاربه الإبداعية، بصورة مركزة، وبطريقة علمية متقنة ودقيقة. وساعدت الدكتورة فشن - الأستاذ في الدراسات العليا - شقيقتها أوديت؛ التي لديها فهم عميق للأدب العربي، الذي يصعب ترجمته إلى اللغات الأجنبية، إلا لمن كان واسع الاطلاع، عميق الفهم للبلاغة العربية.

وقد أوقفت الدكتورة أوديت حياتها لخدمة لغة الضاد، وترجمت عددًا كبيرًا من الشعر العربي القديم والحديث مثل: عمر بن أبي ربيعة، وأبي فراس، وأبي تمام، والمعري، وابن زيدون. واهتمت اهتمامًا كبيرًا بالعلاقة الوطيدة بين التراث الإسلامي واللغة العربية، وأثر الحضارة الإسلامية في تطور المجتمع. كما درست القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن شدة حبها العربية سمت نفسها «وداد»، وفي كتابها «حضارة الإسلام» دليل على فهمها الواسع لتطور هذه الحضارة، وسعة اطلاعها على التاريخ العربي والإسلامي.

وقد ولدت أوديت في القاهرة، ونالت الدكتوراه من جامعة باريس، وتلمذت للمستشرق جاك بيرك. وكتابها عن الدكتور يوسف عزالدين يأتي ضمن

مكتبة الإسكندرية تحتفل باليوبيل الذهبي لتأميم قناة السويس

نظمت مكتبة الإسكندرية الشهر الماضي احتفالاً باليوبيل الذهبي لتأميم قناة السويس، يشتمل على ندوات علمية وفكرية، إضافة إلى معرض للوثائق الخاصة بالقناة تحتفظ بها المكتبة.
وشارك في الاحتفال الذي امتد ثلاثة أيام ابتداء من ١٤يوليو مسؤولون مصريون، وممثلون أوربيون عن جمعية أصدقاء قناة السويس.
وكان الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر قد أعلن في يوم ٢٦ يوليو/تموز عام ١٩٥٦م في مدينة الإسكندرية على ساحل البحر المتوسط تأميم القناة، التي أصبحت شركة مساهمة مصرية؛ مما كان سببًا في العدوان الثلاثي على مصر، الذي شاركت فيه بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل.
وتضمنت الاحتفالية ندوات منها: «ذكريات قناة السويس»، «وتاريخ القناة وأهمية قرار التأميم»، و«قناة السويس في خدمة التجارة والاقتصاد العالمي».

سلسلة من الكتب عن العرب والإسلام، استطاعت أن تنشرها بفضل سمعتها الواسعة، ومكانتها الجامعية الكبيرة.

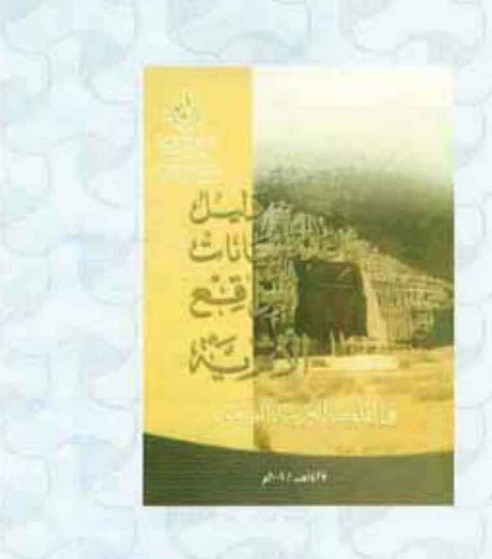


من مقتنيات مكتبة الإسكندرية

جدل حول تكريم الجامعة الأميركية ببيروت الصحافي فيسك

ثار جدل بشأن منح الجامعة الأميركية في بيروت مؤخرا شهادات دكتوراه فخرية إلى خمس شخصيات دولية بينهم الصحافي البريطاني الشهير روبرت فيسك، ورجل الأعمال الفلسطيني سعيد الخوري.
وقد ترددت بعض الأنباء عن احتمال إقالة جون وتربوري . رئيس الجامعة الأميركية في بيروت . من منصبه لكون الجامعة كرمت فيسك ورئيس مجلس إدارة اتحاد المقاولين العالمية سعيد الخوري بوصفهما صوتين مناوئين للسياسات الأميركية في منطقة الشرق الأوسط.
وقد نفى إبراهيم الخوري . مدير الإعلام والعلاقات الخارجية بالجامعة . ما تردد من أنباء حول إقالة وتربوري، أو مساءلته من طرف مجلس أمناء الجامعة على خلفية منح شهادات الدكتوراه الفخرية لهذا العام.
وقد اختار مجلس أمناء الجامعة هذا العام تكريم فيسك والخوري، إلى جانب رجل الأعمال الكويتي ناصر الخرافي، والمهندسة العراقية زهاء حديد، وأستاذ الاقتصاد البنغالي محمد يونس، لتميزهم في ميادين عملهم، وذلك في إطار تقليد راسخ لدى الجامعة منذ أواخر القرن التاسع عشر.
والمعروف أن فيسك مراسل لكبريات الصحف البريطانية على مدى أكثر من ثلاثة عقود، غطى خلالها أهم الأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية، إلى جانب عدة نقاط ساخنة في أوربا.
ومن الشخصيات التي حصلت على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأميركية ببيروت في الماضي، الدبلوماسي الجزائري الأخضر الإبراهيمي، والأكاديمي الفلسطيني إدوارد سعيد. والروائي اللبناني أمين معلوف، والعالم المصري أحمد زويل.





الطلحي، ضيف الله (وآخرون) / دليل قاعدة بيانات المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ـ الرياض: وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٧هـ، ٩٥ص.

يعدّ هذا الإصدار النواة الأولى لمشروع قاعدة بيانات المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية، التي بموجبها سيتم تحديد المواقع الأثرية بدقة، وستسهم المعلومة المتاحة في حماية هذه المواقع، والمحافظة عليها، ودراستها، والتعريف بها.

وكانت هذه المواقع قد سبق الإشارة إليها في تقارير المسح الأثري المنشورة في حولية الآثار «أطلال»، ولكن وجود هذا العمل مبوبًا، ومرتبًا في ثلاثة عشر مجلدًا بعدد مناطق المملكة؛ سيتيح الوصول السريع إلى المعلومة بيسر وسهولة، وهو ما تسعى وكالة الآثار إلى الوصول إليه.

ويحوي هذا الإصدار ثلاثة آلاف وستمئة وثمانية وستين موقعًا أثريًا، تم حصرها ضمن برامج المسح الأثري المبدئي الشامل، تتباين في فتراتها التاريخية، وأنواعها، وثرائها. وكان هذا البرنامج، الذي أطلق عليه اسم برنامج المسح الأثري المبدئي الشامل، قد انطلق منذ سنة ١٣٩٦هـ/ عام ١٩٧٦م، بمشاركة بعثات علمية أجنبية من جامعات عريقة لها باع طويل في مجال الآثار، مثل جامعة هارفارد، ومعهد الآثار التابع لجامعة لندن، وغيرها واستمر مدة خمسة أعوام.

وتكمن أهمية هذا المشروع في تسهيل مهمة البحث عن المواقع الأثرية، ومواقع التراث العمراني، التي شملها البحث، والاستفادة من المعلومات الأثرية لوضع خطط مستقبلية، ومراجعة المعلومات وتدقيقها وإدخالها آليًا، بالإضافة إلى معرفة كل التفاصيل المتعلقة بالمواقع الأثرية والتاريخية التي تم تسجيلها.

ويهدف المشروع إلى التعرف إلى حجم المعلومات الأثرية الموجودة لدى مركز الأبحاث، ومعالجة النواقص واستكمالها وفق خطط مستقبلية، ومعرفة أعداد المواقع الأثرية وأنواعها بالمملكة، وتوجيه الدراسات المتخصصة وفقًا للمادة المتوافرة، وعمل قوائم محددة لمعرفة مواقع الآثار حسب أزمنتها وأنواعها، بما في ذلك مواقع الرسومات الصخرية والكتابات القديمة.

ونوه القائمون على هذا العمل بأن هناك بعض الأخطاء التي تتعلق بأسماء المواقع، إذ إن كثيرًا من المواقع قد تم تسجيلها باللغة الإنجليزية، ثم تمت ترجمتها بعد ذلك، كذلك بالنسبة إلى الإحداثيات التي كانت توضع بشكل تقريبي قبل اختراع أجهزة الـ (GPS)، وغير ذلك، وأوضحوا أن أحد أهداف إصدار هذا العمل؛ هو تلقي الملاحظات المفيدة لتعديله في وقت لاحق.





المطوع، إقبال عبدالعزيز عبدالله/ الفقه السياسي للمرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة النبوية، تقديم: ميمونة خليفة العذبي الصباح ـ الكويت: معهد الكويت للدراسات القضائية والقانونية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٢٦٦ص.

يجيء هذا الكتاب في طبعته الثانية إسهامًا في تهيئة المجتمع الكويتي لمساندة مشاركة المرأة السياسية وترسيخ هذه المشاركة بانتخاب من يجد فيهن الكفاءة والقدرة على شرف تمثيله، وذلك بعد أن وافقت الحكومة الكويتية على إقرار قانون يمنح المرأة حقوقها السياسية كاملة.

وقالت المؤلفة: «اتخذت في هذا الموضوع منهجًا واضح المعالم، إذ كنت أعرف أن كل مصطلح يرد في أي مبحث لغة واصطلاحًا من مثل: الولاية، والإمامة، والافتاء، والوزارة، والقضاء، والمهر، والنفقة، والحضانة، والخلع... ثم ألج الحديث عن الموضوع من الناحية الشرعية، وما جاء به الشارع من تشريع في هذا المقام، مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وآراء الفقهاء».

ويقع الكتاب في فصلين، وعدد من المباحث، ويتكون الفصل الأول، الذي جاء بعنوان «مكانة المرأة في الإسلام» من ثلاثة مباحث هي: حال المرأة قبل ظهور الإسلام، والمرأة ومكانتها في القرآن والسنة النبوية، وحقوق المرأة في الإسلام.

وجاء الفصل الثاني بعنوان «الفقه السياسي للمرأة المسلمة» في ستة مباحث هي: حق المرأة في تولي الوظائف العامة، وتولي المرأة الإمامة العظمى، وحق المرأة في الانتخاب والترشّح، وحق المرأة في تولي الإفتاء، وحق المرأة في تولي الوزارة، وحق المرأة في تولي القضاء.

وأوردت المؤلفة في خاتمة الكتاب عددًا من النتائج التي توصلت إليها، ومنها:

ـ أعطى الإسلام المرأة المكانة والسيادة التي افتقدتها في الشرائع السابقة.

ـ للمرأة حقوق وواجبات مقارنة بأخيها الرجل.

ـ اتفق جمهور أهل العلم على عدم جواز تولية المرأة الإمامة العظمى، بخلاف إمامتها في الصلاة، فأجاز بعضهم إمامتها لمثيلاتها من النساء.

ـ أجاز بعض الفقهاء قضاء المرأة فيما يتعلق بالحمل والولادة، وما نسميه الآن قضايا الأحوال الشخصية، أما قضايا القود والحدود فلا أرى جواز إسنادها إليها، لما في ذلك من مخالفة لما اقتضته الفطرة الإلهية لها، فالمرأة بطبيعتها عاطفية، حنون، طيبة، لا تستطيع أن تكون قاضية في مسائل لا يسعفها تكوينها في الوقوف عليها، وغير ذلك من النتائج.



لانكستر، ف. و، وآمي وارنر / تقنيات الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة في تطبيقات المكتبات وخدمات المعلومات، ترجمة: مساعد بن صالح الطيار ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٦هـ، ٢٣٦ص.

يناقش هذا الكتاب تطبيقات تقنيات الذكاء الاصطناعي، والنظم الخبيرة في المكتبات، وخدمات المعلومات، وقد ناقش المؤلفان مجالات التطبيق لهذه التقنيات وحدودها، والوضع الراهن، واستشرفا المستقبل القريب لها في حقل المكتبات ومراكز المعلومات، وتطرق الكتاب إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والنظم الخبيرة في مجال الفهرسة، والتكشيف، والتزويد، والخدمات المرجعية، واسترجاع المعلومات، علاوة على ذلك، غطى الكتاب التقنيات الذكية خارج نطاق المكتبات، ولكنها ذات صلة بقضايا المكتبات وخدمات المعلومات، مثل: المعالجة الذكية للنصوص، وتصنيف النصوص آليًا، واقتطاف النصوص وتلخيصها آليًا، والترجمة الذكية، وغير ذلك.

يضاف إلى ذلك تقنيات أخرى في مجالات أخرى، مثل تطبيقات النظم الخبيرة في مكاتب المساعدة، والتشخيص الطبي، وأنظمة النقد.

وجاءت خاتمة الكتاب وتوصياته؛ لتناقش التطبيقات المكتبية في الوضع الراهن، وتبرز التقنيات المتقدمة لمكتبة المستقبل، كما قدّم المؤلفان توصيات لمديري المكتبات وخدمات المعلومات، حيال استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة، وما المعايير التي ينبغي التزامها عند تطبيق أسلوب النظام الخبير في أي مجال من المجالات.

وجاء الكتاب في مقدمة وخمسة فصول، ركز المؤلفان في المقدمة في هدف الدراسة والمنهجية المستخدمة، وجاءت فصوله على النحو الآتي: «التطبيقات في المكتبات وخدمات المعلومات»، و«تطبيقات وثيقة الصلة بالمشكلات المكتبية»، و«التطبيقات في المجالات الأخرى»، و«التقنيات العامة»، و«النتائج والتوصيات».

الشيان، محمد بن عبدالرحمن، ومشلح بن كميخ المريخي/ نقوش إسلامية شاهدية مؤرخة من جبّانة صَعدة في اليمن (٨٧١ ـ ١١٨٠هـ/ ١٤٦٦ ـ ١٧٦٦م) ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ١٣٧ص.

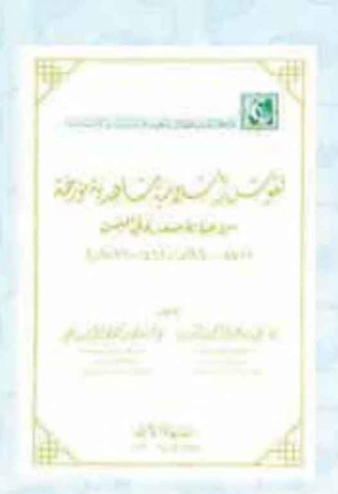
يجيء هذا العمل العلمي المتميز ليكون إحدى الحلقات المهمة في منظومة دراسة النقوش الإسلامية الشاهدية بجزيرة العرب، وقد جمع بين دفتيه أسماء عشر من الشخصيات التي عاشت في هذه المدينة، ودفنت في مقبرتها، وهذه

الشخصيات لم تصل إلى علمنا من خلال المصادر الأدبية المعهودة، وإنما من خلال ما اضطلع به المؤلفان من دراسة علمية لعشرة من النقوش الشاهدية؛ المنسوبة إلى هذه المقبرة، وتوصف هذه النقوش بكونها من روائع ما وصلنا من النقوش المنسوبة إلى مدينة صَعدة خاصة، واليمن بصفة عامة، سواء في شكل الخط والزخرفة، أو في مضامين النصوص التي تشتمل عليها.

وأوضح المؤلفان أن جميع الشواهد - موضوع هذه الدراسة - مكتملة، وتحمل أسماء أصحابها، وتواريخ وفياتهم، منها ما حمل أسماء نساء، ومنها ما حمل أسماء رجال، ومن خلال هذه المجموعة يمكننا تتبع العلاقات الاجتماعية بين الأسر وأفرادها، في مجتمع مدينة صَعدة، وربط بعضها ببعض.

وتعدّ هذه الجبّانة بشواهدها المؤرخة، والمحلاة بالزخارف الإسلامية الغنية، سِفرًا من أسفار التاريخ الإسلامي للمدينة، وخير شاهد على ما وصل إليه المجتمع الصعدي من رقي حضاري. كما أن المضامين النصية لهذه الشواهد مجتمعة تقدم سجلاً توثيقيًا لجميع الفئات الاجتماعية من سكان المدينة.

ويذكر المؤلفان أن شواهد جبّانة صَعدة تعرضت لدراستين منشورتين، تتضمن الدراسة الأولى مجموعة من شواهد جبّانة صَعدة المؤرخة، التي يبلغ عددها خمسة عشر شاهدًا، وتقع تواريخ هذه المجموعة في الفترة ما بين سنة ٨٤٧هـ/عام١٤٤٣م وسنة ١٠٢٧هـ/ عام ١٦٢٧م، وكانت الدراسة بعنوان: «دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجبّانة مدينة صَعدة في اليمن» من تأليف: محمد سيف النصر أبو الفتوح، وتلت هذه الدراسة، دراسة ثانية لمجموعة جديدة من شواهد الجبّانة نفسها بعنوان: «شواهد قبور إسلامية من جبّانة صَعدة في اليمن» من تأليف: مصطفى عبدالله شيحة، ويبلغ عدد شواهدها ٩٠ شاهدًا مؤرخًا، أبكرها منفذ بتاريخ ١٢رمضان سنة ٧٠١هـ/ عام ١٣٠١م، وآخرها منفذ بتاريخ ٢٨ربيع الأول سنة ١٠٧٧هـ/ عام ١٦٦٦م.



وتأتي الدراسة الحالية لهذه المجموعة الجديدة من شواهد جبّانة صَعدة المؤرخة، مكملة، ومعززة للدراستين السابقتين، ويبلغ عدد شواهد هذه المجموعة الجديدة عشرة شواهد مؤرخة، تتناول تواريخها أربعة قرون، بدءًا من القرن التاسع الهجري، وانتهاءً بالقرن الثاني عشر الهجري.

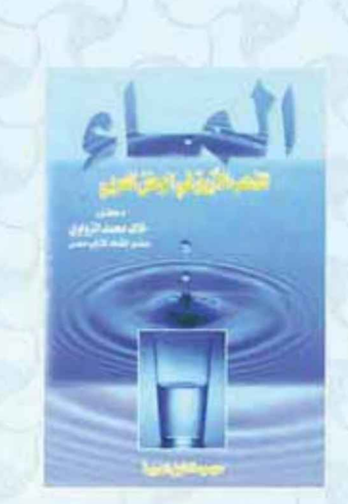
وبإتمام هذه الدراسة يصبح العدد الكلي للشواهد المؤرخة من جبّانة صَعدة في اليمن التي تمت دراستها، ونشرها إلى الآن ١١٥ شاهدًا، وهي في مجملها تمثل نماذج خطية لخمسة قرون هجرية من تاريخ بلاد اليمن (من بداية القرن الثامن

حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الرابع عشر إلى الثامن عشر الميلادي)، وهي حصيلة علمية ثرية بالمعلومات السكانية، والتاريخية عن مدينة صَعدة.

جاء الكتاب في ثلاثة فصول: اشتمل فصله الأول على: توطئة ومقدمة، والآيات القرآنية، والأدعية الدينية، وأسلوب التاريخ، والخط والزخرفة، وجاء الفصل الثاني من الكتاب عن: شواهد القرنين التاسع، والعاشر الهجريين «الشاهد رقم ١. الشاهد رقم ٥»، وكان الفصل الثالث بعنوان: «شواهد القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين «الشاهد رقم ٦ . الشاهد رقم ١٠»، وقدّم للكتاب الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي.

وورد في آخر الكتاب عددًا من الجداول واللوحات والأشكال التوضيحية، والصور الفوتوغرافية للشواهد موضوع الدراسة.

الزواوي، خالد محمد/ الماء: الذهب الأزرق في الوطن العربي ـ القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٤م، ١٩٣م.



يهدف هذا الكتاب إلى الإسهام في حفز الاهتمام العربي العام والخاص إلى قضية خطيرة يجب ألاّ نفاجأ بنتائجها، ويجب ألاّ تغيب عنا، وألاّ نغيب عنها، وهي تتعلق بالمياه والقضايا المتعلقة بها. ويعدّ الاهتمام والإدراك، وإعادة النظر في الاتفاقيات والاستهلاك والترشيد، الخطوة الأولى، واللازمة نحو إنضاج آليات مؤسسية عربية متقدمة؛ للتعامل الكفء مع مشكلة المياه في المنطقة؛ التي تمثل الشرط الأول لإعمال مشروع مائي عربي، يحقق الأمن المائي على جميع المستويات، مما يفضي إلى تحقيق الطموحات العربية الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، ومن ثم الارتقاء بمستوى معيشة الإنسان العربي.

ويتضافر عدد من العوامل النابعة من الحقائق الجغرافية، والتاريخية، والاقتصادية، والسياسية، والإستراتيجية لتجعل من مشكلة المياه في المنطقة العربية مشكلة متعددة الأبعاد، ولا تقتصر على مصدر مائي بعينه، بل تسري على كل المصادر المائية في المنطقة.

ويدور هذا الكتاب حول المشكلة المائية متعددة الأبعاد من منظور متعدد أيضًا، كمحاولة لفتح الباب أمام القارئ لينطلق عبر عملية تجسيد متتال، بدءًا بالإحاطة بسائر جوانب الموضوع وأبعاده، وانتهاء باستشراف المستقبل المائي للمنطقة. وقد آثر المؤلف أن يدلل على أهمية الماء وقيمته من خلال القرآن، ليعلن إلى أي مدى يجب ألاّ نغفل عن قضية القضايا، وأن هناك مشكلات

أخرى ترتبط بالمياه، قد تؤدي إلى حرب في الغد، ولا بد من أن نجد الحل.

ويقع الكتاب في أربعة فصول هي: «مدخل إلى عالم الماء»، و«دلالة الماء في القرآن الكريم»، و«دورة الماء حول الأرض»، و«السنة العالمية الأولى».

السلومي، محمد بن عبدالله/ ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب.- الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٠٤ ص «كتاب البيان؛ ٦٣».

هذا الكتاب محاولة لإبراز حجم المشكلة الكبيرة التي حلت بالعالم؛ حكومات وشعوبًا في مطلع القرن الحادي والعشرين، وتركيز في نوع من أهم أنواع الضحايا البريئة؛ من خلال الرصد لقضية كبيرة اتسع نطاقها، فاصبحت قضية سياسية تتناولها البحوث والدراسات، كما تناقشها الدوائر السياسية وتتعقبها المؤسسات الأمنية، وتمارس بسببها الضغوط السياسية والاقتصادية.

وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب كشف الحقيقة أكثر من الدفاع عنها، حقيقة دعاوى المتعصبين من تجار الحروب والسلاح والبترول، الذين جعلوا من امتلاك القوة دلالة على الحق، علمًا أن العكس هو الصحيح. وقد جاء الكتاب بعد زيارات ميدانية لنحو «١٥٠» مؤسسة إسلامية في «١٧» دولة في العالم، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بحثًا عن حقيقة الدعاوى الأمريكية.

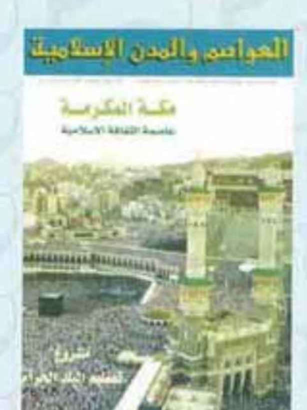
وقد وثّق المؤلف جميع الأخبار والرؤى والتحليلات والتفسيرات من مصادرها، وحرص أن تكون معظمها من أقوال غربية وأمريكية مع أهمية المصادر العربية في هذه القضية المشتركة، إضافة إلى المقابلات الشخصية والميدانية، لتكون الرؤية والنتائج في هذا الكتاب غير أحادية الجانب.



وكان قد سبق للمؤلف أن أصدر كتابه الأول «القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب» تحدث فيه عن المرحلة الأولى للحملة الأمريكية «الحملة الإعلامية الدعائية»، ويأتي هذا الكتاب «ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب» ليكون مكملاً للسابق وليس بديلاً عنه؛ لأن هذا الكتاب يتناول مرحلة تاريخية جديدة لهذه الحملة، اتسمت بالمستجدات في الإجراءات الإدارية والمالية التي تؤكد ما سبق بيانه.

وجاء الكتاب في مقدمة وسبعة فصول، جاءت كالآتي: «المنافسون الجدد وتحولات القوة»، و«الحملات الأمريكية والدولية بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م»، و«انتصار الحقيقة»، و«قضايا ومواقف تكشف الأهداف الحقيقية»، و«حالات دراسية»، و«الأخطاء والتجاوزات بين المنظمات الإسلامية وغير الإسلامية»، و«حقيقة الدوافع والأهداف: أدلة وقرائن».





العواصم والمدن الإسلامية (ع٣٨، صفر ١٤٢٧هـ / مارس ٢٠٠٦م)

مجلة محكّمة نصف سنوية تصدرها منظمة العواصم والمدن الإسلامية من مكة المكرمة.

جاءت موضوعات هذا العدد من الدورية ضمن اهتماماتها الخاصة بالتنمية المتواصلة للعواصم، والمدن الأعضاء بالمنظمة، وقضايا التخطيط والعمارة، والمرافق العامة، والإسكان، وتطوير المدن، والنقل الحضري، وغيرها من الحقول، بدأت بأخبار العواصم والمدن تصدرها خبر «مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة ١٤٢٦هـ»، و«مكة المكرمة تحتضن الدورة الاستثنائية الثالثة لمؤتمر القمة الإسلامي»، و«توقيع مذكرة تفاهم بين العاصمة عمان ومدينة موستار»، و«المدينة المنورة تشهد انعقاد ندوة مدن المعرفة»، و«تونس تحتضن القمة العالمية لمجتمع المعلومات»، و«بناء جسر جديد للجمرات في منى»، وغيرها من الأخبار، ثم جاءت بعد ذلك «أخبار المنظمة وأنشطتها» التي جاءت فيها أخبار عن مشاركة المنظمة في عدد من الفعاليات الإقليمية والدولية، بالإضافة إلى الأخبار الأخرى، ومنها: «الدورة السابعة لجوائز منظمة العواصم والمدن الإسلامية»، و«المنظمة تصدر الطبعة الأولى من الدراسة التحليلية على العاصمة صنعاء».

وجاء الموضوع الرئيس لهذا العدد بعنوان: «مكة المكرمة: عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة ١٤٢٦هـ»، وذلك إيمانًا وتقديرًا من منظمة العواصم والمدن الإسلامية لمكانة مكة المكرمة الدينية، والحضارية، والثقافية، وكونها مهبط الوحي، ومنطلق الرسالة الإسلامية الخالدة التي شعّ نورها في أرجاء الكون كافة، واحتضانها المسجد الحرام والكعبة المشرفة؛ قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومقصد ملايين الحجاج والمعتمرين، وذلك من أجل إبراز مكانة هذه المدينة المقدسة، والتعريف بما قدمته من عطاءات للثقافة العربية والإسلامية، عبر العصور المتعاقبة، وعرض أهم معالمها الدينية والحضارية، وذلك لتجديد وعي الأجيال الصاعدة، بأهميتها والتعرف إلى معالمها الخالدة.

ومن موضوعات العدد أيضًا: «مشروع تعظيم البلد الحرام»، الذي يهدف إلى تعزيز قداسة هذا البلد وعظمته في نفوس أهله، وزائريه؛ حتى ينعكس ذلك ليكون سلوكًا واقعيًا يعيشونه في حياتهم، ويتمحور هذا المشروع تحت خمسة أبعاد هي: البعد الديني، والبعد الوطني، والبعد الأمني، والبعد الاجتماعي، والبعد الإعلامي.

وموضوعات أخرى منها: «من التراث» الذي أورد عددًا من الصور الفوتوغرافية لمعالم إسلامية، وتجارية بارزة منها: جامع الأبواب الثلاثة ـ القيروان ـ تونس، وقلعة حلب ـ سورية، والمدخل الرئيس لمسجد عقبة بن نافع ـ القيروان ـ تونس، والأسواق القديمة ـ العاصمة تونس، وغيرها.

وختمت المجلة بـ «مؤتمرات وندوات»، وجاءت كل موضوعاتها باللغتين العربية والإنجليزية.

العنوان:

ص.ب: ٢٩١٩ مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٦٩٨١٩٥٣

ناسوخ: ٦٩٨١٠٥٣

عالم الفكر «مج ٣٤، ع٤، أبريل/ يونيو ٢٠٠٦م»

مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

خصصت المجلة محور هذا العدد لقضية العمارة، فقد ناقش نخبة من أساتذة، هندسة العمارة وفنونها العرب جماليات العمارة الإسلامية والعربية ومفرداتها، وأثر العمارة في تشكيل المدينة الحديثة، وبناء الهوية الوطنية، والعلاقة بين العمارة والتنمية والبيئة والشمس، وغيرها من العوامل ذات العلاقة.

وجاء تحت باب العمارة: «مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية في القرون الوسطى» للدكتور ناصر الرباط، و«الجمالية الفنية في مفردات العمارة الإسلامية» للدكتور عفيف البهنسي، و«قراءة نقدية للعمارة الإسلامية في سياقات جغرافية واجتماعية جديدة» للدكتور هاني محمد علي الجواهرة.



وكتب الدكتور يحيى حسن وزيري عن «جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية والإسلامية: سلطنة عمان أنموذجًا»، وتناول الدكتور خالد عصفور «التناظر الجمالي والوظيفي في البيئة والعمران»، والدكتور علي رأفت «العمارة البيئية الخضراء والتنمية العمرانية»، كما تناول الدكتور علي مهران هشام «العمارة الخضراء والتنمية العمرانية المستدامة»، والدكتور عدنان عبدالله حريش العنزي «العمارة والشمس»، وختمت موضوعات العمارة ببحث عنوانه: «تشكيل المدينة الحديثة وبناء الهوية الوطنية» كتبه الدكتور مشاري النعيم، والدكتور محمد المنصوري.

وفي آفاق معرفية جاء: «استراتيجيات التجنيس في الرواية العربية الحديثة: تجربة إدوارد الخراط أنموذجًا» للدكتور يوسف شكير، و«مبدأ الكلية بين كانط وهابرماس» للدكتور محمود سيد أحمد.

العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي ١٣١٠٠ دولة الكويت.

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب









عبدالمؤمن بن عبدالله القين

جدة ـ السعودية

تتراءى خيالاتك ياليل في خاطري المكدود.. تتساقى معه أحلامًا، وتمضي معه في سفر مجهول.. من دون رابط أو وثام، لكنها ـ على الرغم من ذلك ـ لا ترهق خاطري.. لا تكدّره، لأنها ـ أولاً، وأخيرًا ـ لا تعني شيئًا في أحلام يقظة، أو شبيهة بها، تنفّس فيها الذات أو «الأنا» عن أشياء مكبوتة لم تتحقق؛ نتيجة لعدم الأخذ بالأسباب، والتعجل في القفز فوق الكلمات والأماني، حيث نسبقها ولا تسبقنا، أو ـ على الأقل ـ تسير إلى جانبنا، فلا تخدش طموحنا أو تعيقه بأي مثبّط أو إعاقة..

لكن ـ على الرغم من ذلك ـ تظل الحقيقة في معزل عن هذا الوهق، الذي نستشعره في كرب موصولة، تفتّت الكبد، وتدمي القلب؛ لأنها ـ أي: الحقيقة ـ مصطفاة من أي خيال، وبعيدة عن أي مزايدة، ولا تحتمل التأويلات الكثيرة، بل تعني تأويلاً واحدًا يستنبطه من يعلم، ويجهله من لا يعلم.. يتعرّف كنهه من أوتي الحكمة: فأوتي خيرًا كثيرًا..

ليت خطاي التي أخطوها اليوم كانت بالأمس، ولكن لا تثريب؛ فهي خُطًا كتبت علينا، «ومن كتبت عليه خُطًا مشاها» كما يقول الشاعر..

لقد تخبّطت تلك الخطا في دروب الحياة، بيد أنها لم تكن خرقاء ياليل، فلم تنم عيناي فيك.. بل امتد سهري حتى ظننتك نهارًا، وظننت النهار أنت، حينما غفت عيناي فيه!! وظلّت أمانيّ معلقة في حدقاتك، وأنت توجه نظراتك لي بلوم شديد، وكأنني أحد العابثين في هذه الحياة.. السامدين في دروبها.. الشاردي الذهن، في حين أن العابثين أنفسهم يعجبون من نظراتك إلي؛ لأنك لا تهم أحدًا منهم بشيء، فأنت بالنسبة إليهم كهف يسكنون فيه؛ لإخفاء عبثهم عن العيون الفضولية، وغير الفضولية، فيستدرجون بكيدهم فيه الأبرياء، وما دروا أن الله هو الذي يستدرجهم إلى كيده المتين، بالإملاء لهم، لم يشعر أحد منهم ـ ولو مرة ـ بأنك تلهم المتأمل فكرًا وشعورًا؛ لأنه لا فكر ولا شعور لهم، فهم عابثون، طاغون، يبنون مجدهم فوق حياة الآخرين، ومشاعرهم ومقاصدهم.. يتواصون بهم شرًا، واحدًا تلو الآخر، فيصدق قوله سبحانه فيهم: ﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ الذاريات: ٥٣.

وهم لا يأبهون إلا بمصلحة عاجلة، بعيدًا عن المصلحة العامة، لم تطحنهم الحياة؛ ليعرفوا قيمة الشيء ومعناه في نكران الذات والإتصاف بالنظرة الشاملة.. ولم يقتصروا على «اللمم» في ممارستهم الباغية، بل إن قوتهم الناشئة من ضعفهم حملتهم على الإضرار بالآخرين، والانتقام منهم.. وما كان ذنب هؤلاء الأبرياء إلا أن آمنوا بالله العزيز الحميد، وجاهدوا في سبيله.. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنت صامت ياليل.. ساكت عنهم، تستر عليهم.. طويل طويل، وكأنه لا نهار يلج فيك البتة.. تكمن الحقيقة في أحداقك وإهابك.. بطيء تحرّك الزمن فيك، لا يريد خلافًا معك، فيحث خطاه كما كان في بدء الخلق، لا يتجاوز فيك أربع ساعات كالنهار، ثم تباطأت الأرض بالتدريج حتى أصبح زمنك اثنتي عشرة ساعة متساويًا مع النهار، فتهيأت الأرض للخلق، قال تعالى: ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾ الأعراف: ١٥٤. فما بالك لو تحوّلت فجأة نهارًا عليهم، وعدت قصيرًا كما كنت، أو لو تبادلت مواقعك بأزمانها على الأرض، فأصبحت في شمالها وأنت ليل جنوبها، وفي غربها، وأنت ليل شرقها؟ إذن سينكشف من في الشمال، لمن في الجنوب، ومن في الغرب لمن في الشرق، صالحًا كان أم طالحًا، فالصالحون والصالحات أثنى الله عليهم،

والطالحون والطالحات نمّهم، ولكنها حكمة الله الذي لم يأذن لك بذلك حينما غشاك بالنهار، فلم ينكر أنك تطلبه حثيثًا إلا مرة واحدة في كتابه العزيز، بل تباطأت الأرض ولا تزال حتى تكاد تقف عن الدوران فتطلع الشمس من مغربها. إنني أشعر بأنك غير سعيد، بل شقي بقيود البطء، التي أثقلت رسغيك فأثخنتهما دمًا نازفًا أبدًا!!

وعلى أية حال شاءت حكمة الله أيضًا، ألا يجعلك سرمدًا، ولا النهار أيضًا، قال سبحانه: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ القصص:٧١، ٧٢.

إن غبطة الإنسان فيك ياليل؛ تتمثل في تجدد أمله بالله عز وجل، حينما يذكره في هزيعك الأخير، فما الذي تحمله من أجلي ياليل؟.. وليتني أحمل لك ولو قدرًا يسيرًا مما تحمله أنت.. ففيك الشعور بالقرب من الخالق عز وجل: استغفارًا وتسبيحًا وحوقلة وحمدًا.. إلخ، فليتني أستطيع «أنسنة» الوجود فيك، فلا يمارس فيك الناس الخطايا والآثام، ولا يتخذك بعضهم كهفًا يأوي إليه!! لكن الحقيقة صماء. أحيانًا. عن «الصدق» على الرغم من براءتها من كل الخطايا والذنوب، فهي ليست صدقًا، بل «حرباء» تتلون حسب انتمائها إلى الإنسان نفسه، فهي صادقة. أحيانًا. إذا ما كان كذّابًا!!

أما المعاني الماحية شر النفوس؛ فإنها تكمن في صفايا الكلام.. وهي تلك التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً﴾ الكهف:٤٦، وفي قوله: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير مردًا﴾ مريم:٧٦، وهذه الصفايا هي التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير..

وتتقشع ظلمتك يا ليل، ويأفل نُجاك حينما تبزغ شمس الفجر الأشم على كل ما يخص ويعم، وعندئذ يأتي كل صالح من الحقيقة؛ التي سداتها الصدق، ولحمتها اليقين وجوهرها الاستيقان، فلا يروم الصالحون عن ذلك بديلاً.. وهذا هو معنى الخيرية في هؤلاء الصالحين؛ من المخبتين، أو القائمين، أو التائبين، أو الحامدين، أو السائحين، أو القانتين، أو الراكعين، أو الساجدين، أو الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أو العافين... إلخ، الذين كانت التقوى مطيّتهم إلى طلب العلم. مثلاً. فيعلّمهم الله، يقول سبحانه: ﴿ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ البقرة:١٥١، وهو القائل أيضًا: ﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾ البقرة:٢٨٢. وهنا تتضح حقيقة العلاقة بين التقوى والعلم، ويتفضل الله بالعلم على نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى: ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ النساء:١١٣.

أما الرزق فالتقوى أيضًا هي سببه الجوهري، قال سبحانه: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ الطلاق:٢، ٣. ومن أسباب الرزق في هزيعك الأخير ياليل الاستغفار والصدقة يسبقهما التقوى والإحسان، كما جاء في قوله عز وجل: ﴿إن المتقين في جنات وعيون. آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم. وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون. فوربِّ السماء والأرض إنه لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون﴾ الذاريات: ١٥-٢٣، أما قوله تعالى: ﴿فما الذين فُضلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾ النحل:٧١، ففيه المساواة بالرزق بين الغني والفقير، كما يقرر الإمام البيضاوي في الصفحة ٥٥١ في الجزء الأول من تفسيره.

ولكن ما وجه الحقيقة فيك ياليل؟ فإذا كان هذا هو حال الأخيار فيك، فما حال الأشرار؟ إن هذا الوجه يتمثل في بأس الله الذي يأمن منه المتقون، ويدمر الفاسقين، ويأتي بياتًا فيك أو ضحًى، قال تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون. أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ الأعراف:٩٧، ٩٨.

إن الصادقين الأخيار لم يستخفهم استفزاز الذين لا يوقنون. فقد توكلوا على الله فقال عنهم: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا﴾ الطلاق:٣، فكل شيء عنده بمقدار فلا يجب أن يستعجل العبد ما أخره الله من إجابة، ولا يستأخر ما عجله له من إجابة، فهو أدرى بنفسه منه، فسبحان من جلت قدرته وهو علام الغيوب!! والحمد لله، وسلام على عباده المصطفين الأخيار.



رسالتنا
ليست الحصول على رضاكم فقط !!
بل و على إمتنانكم أيضاً.
صرح جديد في عالم
الطباعة و النشر
تليفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨
ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥
المملكة العربية السعودية
E-mail apph@apph.com.sa
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE